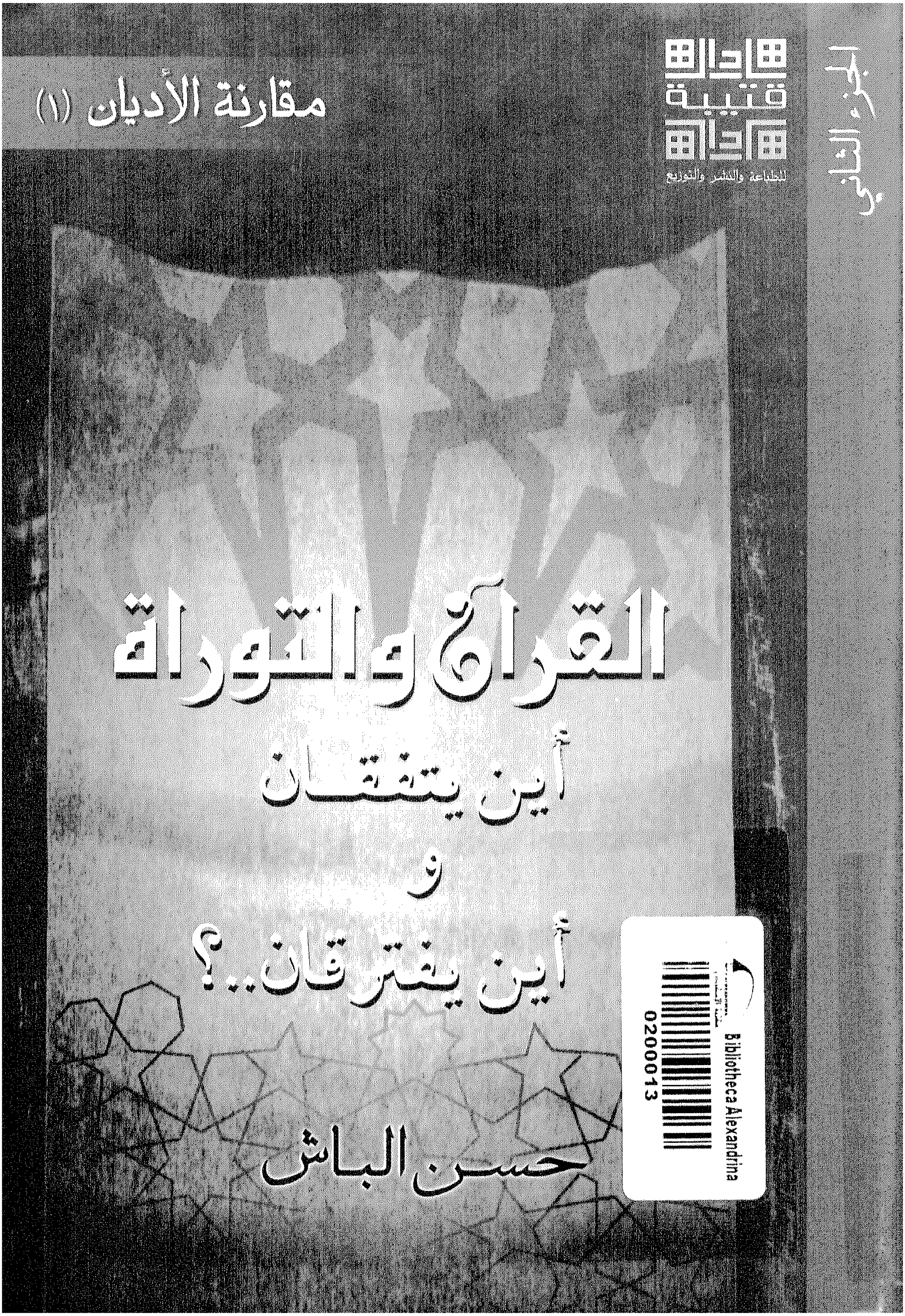

الجزء الثاني

دار قتيبة
للطباعة والنشر والتوزيع

مقارنة الأديان (١)

القرآن والتوراة

أين يتفقان
و
أين يفترقان..؟

حسن الباش

Bibliotheca Alexandrina
02000013

القرآن والتوراة

أين يتفقان
و
أين يفترقان؟

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

1420 هـ / 2000 م

دار قتيبة

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت – ص.ب: 14/6364

دمشق ص.ب: 13414

مقارنة الأديان
١

القرآن والتوراة

أين يتفقان
و
أين يفترقان ؟

الجزء الثاني

حسن الباش

دار قتيبة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

درجت كلمة عقيدة على ألسنة الشعوب منذ زمن بعيد، واتخذت لدى الديانات الكتابية مسارا محددا، حتى أصبح يطلق على اليهودية والمسيحية والإسلام مصطلح عقيدة. وفي الإسلام اتسمت بقضايا الإيمان الواسعة، الصغرى والكبرى. وقد فهم المسلمون مباحث العقيدة، على أنها ترتبط بالتوحيد أولا، والمعاد، والجزاء والعقاب واليوم الآخر، وقد وصلت بحوثهم قمتها زمن الجدال الفكري، والاجتهاد الفلسفي، أيام المأمون في العصر العباسي، فتوسعت هذه المفاهيم وتفلسفت.

وكان لعلم الكلام دوره المهم في تطوير مفاهيم العقيدة ومصطلحاتها، ولا نبالغ إذ نقول: إن بحوث العقيدة في الإسلام هي من أكثر البحوث دقة وتعقيداً وتفلسفاً.

وقد اهتمت الدراسات الإسلامية الأكاديمية ببحوث العقيدة اهتماماً بالغاً، كونها تعتبر الأساس الديني في الإسلام.

لقد درج الباحثون منذ زمن بعيد أيضاً على إضفاء مصطلح عقيدة وعقائد، على ديانات الشعوب والأمم، وتداخلت بحوثهم مع علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) بجانبه الفكري والثقافي والديني. وبرز كثير من العلماء والباحثين في تناول هذه الدراسات، أمثال إدوارد تايلور. وأميل دوركهايم. وجيمس فرايزر. وغيرهم.

وصفوا عقائد الشعوب المتعددة، خاصة تلك التي تعيش في نظام قبلي متخلف عن الحضارة الحالية، وخاصة شعوب بعض مناطق أفريقيا، وأستراليا.

ومع هذه الدراسات التي اختلطت فيها العقائد بالعادات والتقاليد والمعتقدات السحرية، برزت دراسات على مساحات واسعة من العالم الغربي، تناولت العقائد الكبرى بالبحث وأنتجت عدداً لا يحصى من الكتب، ولاسيما تلك التي تتناول ما يسمى الكتاب المقدس، بشقيه العهد القديم، والعهد الجديد، وما يرتبط بهما من عقيدتي اليهودية والمسيحية. لكن المفكرين، وبدءاً من نهاية العصر الأموي، أولوا مسألة العقيدة عناية فائقة، وما إن بلغت الحضارة العربية الإسلامية، أوجها، زمن الرشيد والمأمون، حتى أصبح علم العقيدة من أخطر العلوم الدينية، وبرز المعتزلة كأهم فرقة كلامية تحدثت بالعقيدة، وكذا الأمر بالنسبة للأشعرية، والمرجئة، والقدرية، والماتردية، والظاهرية.

ولما كان المسلمون الأوائل في المدينة المنورة، على احتكاك مباشر باليهود، وهم أصحاب عقيدة معروفة، برز جدل لم يتوقف بين المسلمين واليهود، وتناول جدلهم العقيدة في أدق تفاصيلها. واستمر الاهتمام بهذا الجدل، حتى برزت مناقشات ومناظرات بحضور الخلفاء، بين منظري الفكر

الإسلامي، وكبار الربانيين اليهود وغيرهم وتبع ذلك بروز كتب كثيرة، تناولت مفاهيم العقيدة اليهودية، ومقارنتها بما جاءت به العقيدة الإسلامية، من مفاهيم عقيدية.

ولعل من أهم الأسباب التي أججت الجدل والحوار، كون اليهودية تمتلك كتاباً يسمى التوراة وهو من أقدم الكتب الدينية التاريخية، التي تتناول في أسفارها ذات الله، وصفاته، وعالم الغيبيات الأخرى كالملائكة، والجن، والبعث، والموت واليوم الآخر، وما إلى ذلك. وكون القرآن الكريم كتاباً سماوياً فقد حفل بمسألة الخلق والبعث، والدنيا والآخرة، ومواضيع أخرى، تقع في صلب العقيدة.

وبمعنى آخر فقد ارتبطت مفاهيم العقيدة بالكتب السماوية بالدرجة الأولى. القرآن، والتوراة والإنجيل. وباعتبار التوراة - رغم تحريفها - مصدر التشريع، حتى بالنسبة للعقيدة النصرانية، فإن الاهتمام بدراسة ما جاء فيها من قضايا عقيدية، كان الأساس الذي بنيت عليه الدراسات والبحوث المخصصة لقضايا العقيدة في الإسلام وكل من اليهودية والنصرانية.

لقد وقف العلماء والمفكرون المسلمون من التوراة واليهودية، موقفاً واضحاً عبر التاريخ. هذا الموقف يتجلى في نقد التوراة ونقد اليهودية. وما كان يتسنى لهم ذلك، لولا وجود القرآن الكريم، الذي لم يترك شاردة أو واردة في العقيدة اليهودية بشتى نواحيها، وبيّن ما جاء به النبي موسى عليه السلام، وما زيد عليه أو حرّف فيه. ومما قوّى حجة هؤلاء العلماء في الرد على الأفكار اليهودية، صحة قوة الحجج والبراهين القرآنية المتوافقة مع المنطق العلمي، والمنطق التاريخي، والمنطق الاجتماعي الإنساني، إضافة لكون التوراة خضعت في كتابتها وتدوينها لفترات زمنية طويلة ومتباعدة، ومن ثم اقتراب قضايا العقيدة التوراتية، من التركيبة الأسطورية، غير المتوافقة مع الفطرة الدينية

التوحيدية البشرية، والمنسجمة وثنياً مع الواقع التاريخي لأصحاب العقائد الوثنية الأسطورية في التاريخ القديم.

وقد ظهر لدى الدارسين التناقض في عقيدة اليهود، بعد أن دحض القرآن الكريم كثيراً من افتراءاتهم، وتحريفهم للعقيدة الموسوية الصحيحة، وهذا التناقض برز بشكل جلي في صفات الله، وعالم الغيبيات، حيث التجسيم والتشبيه، والقدرة الكلية المطلقة والأخرى النسبية. وكذلك الأمر بالنسبة لعمل الإله، وأعمال الملائكة والجن وإبليس، وما إلى ذلك.

لقد أثبتت غالبية العلماء على شتى أجناسهم، عدم ثبات العقيدة اليهودية على الأسس المعروفة في العقائد السماوية، ولم يعتبروا ذلك التغيير أو التحول تطورا في الفكر العقيدي، إنما اعتبروه انحرافا، باعتباره يخص العقيدة وأسسها ولا يخص التشريع، والمعاملات والمفاهيم الاجتماعية، من علاقات مع البشر، ومع المخلوقات.

وحين ينظر الدارس في أسفار التوراة، سيرى أن أسس العقيدة تتغير وتتبدل بأسلوب انحرافي واضح، فما يرد في سفر التكوين نفسه مثلا يدلل بشكل مباشر على الانحراف والتعرج العقيدي. وكذا الأمر ينطبق على بقية أسفار التوراة. غير أن القرآن الكريم، حين يتحدث عن العقيدة لدى بني إسرائيل واليهودية، يشير مباشرة إلى طبيعة النفسية اليهودية، التي ترفض الثبات في العقيدة. فمنشأ العقيدة التي نادى بها موسى عليه السلام هو منشأ الوحدانية، وكذلك هي طبيعة العقيدة السماوية. لكن الملفت للنظر، أن اتباع النبي موسى عليه السلام، لم يكونوا اتباعه في العقيدة، على الرغم من أنه كان يدعو حثيثا إلى الثبات على العقيدة التي نادى بها. لقد كانوا أتباعا له في الرغبة في الهروب من الفراعنة. ولذلك نرى آيات القرآن الكريم تركز على مجريات

الأحداث، وعلاقتها بالعقيدة، بقدر ما يكونون على علاقة قوية أو ضعيفة بالخالق، وبقدر قربهم من الاستجابة لعقيدة موسى أو بعدهم عنها.

وفي كافة الأحوال، فقد أولى الباحثون والمهتمون بدراسة التوراة العقيدة اليهودية كثيرا من البحث والدراسة، حتى صار لدى القارئ مجموعة كبيرة من الكتب قد يختلف أسلوب المعالجة فيها، ولكنها تتفق جميعها في الأساسيات العقيدية والفروع في العقيدة اليهودية.

لقد سبق ورأينا بعض المفكرين العرب الذين صنفوا العقائد والديانات في العصور السابقة، قد تناولوا العقيدة اليهودية بأشكال مختلفة، وقد وصلتنا كتبهم، مما ساهم في زيادة معرفتنا للعقيدة اليهودية تحديدا.

صنّف في العقائد الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، وتحدث عن اليهودية وفرقها ومذاهبها. وكذلك صنّف في العقائد والفرق الخطيب البغدادي وذلك في كتابه الفَرْقُ بين الفِرَقْ. وتبع الاثنين الفيلسوف ابن حزم الأندلسي الظاهري، وذلك في كتابه المهم. الفصل بين الملل والأهواء والنحل، وقد غلب عليه الحس النقدي والتحليل أحيانا بخلاف ما جاء به الكتابان السابقان على الرغم مما يشوبه من تهكم وإسفاف أحيانا.

ولم تقتصر البحوث في العقائد ـ خاصة العقيدة التوراتية ـ على هذه الكتب، إنما تأتي أهمية ذكرها، بسبب شمولها للعقائد، وإظهار ما فيها من أجزاء عقيدية متعددة.

ويطالعنا العصر الحديث بعدد من الكتاب والباحثين الذين تناولوا اليهودية وذلك ضمن عدة مناهج واتجاهات. ولا نستطيع أن نحصر جميع ما كتب حولها، إنما يمكن الإشارة إلى كتاب العرب واليهود في التاريخ للدكتور احمد سوسة وإلى كتاب (الله) لعباس العقاد. وكتاب مقارنة الأديان لاحمد شلبي وكتاب اليهود في القرآن لعبد اللطيف طبارة. وكتاب التراث الإسرائيلي

للدكتور صابر طعمه، وكتاب نقد التوراة للدكتور حجازي السقا. وكتاب القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم لموريس بوكاي. وكتاب لمحمد عزة دروزة. وكتاب للمفكر الإسلامي الفرنسي رجا غارودي.

وهناك الكثير من الكتب التي تناولت العقيدة اليهودية، وكثير من المقالات والدراسات التي تبث في الصحف والمجلات، والتي تهتم بمثل هذه القضايا.

لقد ألقى الباحثون الأضواء على العقيدة اليهودية، غير أن الدراسات تشابهت في المضمون، وإن اختلفت في الشكل والأسلوب، وكانت جميعها لبناتٍ تعمّر فوق بعضها بعضاً لبناء رؤية واضحة، لما كانت عليه وما آلت إليه العقيدة اليهودية. وعلى الرغم مما أتى به من إيجابيات بحثية جادة، إلا أنه يحتاج دوماً لتسليط الضوء والكشف. وأعتقد أن علم مقارنة الأديان كفيل أن يدرس العقيدة اليهودية بشكل واعٍ، ومتكامل، خاصة إذا ما صدمت نصوص التوراة بنصوص القرآن الكريم نصاً بنص وفكرة بفكرة.

لقد احتج بعض الباحثين أمثال الدكتور شلبي بأن قضايا كثيرة موجودة في القرآن الكريم غير موجودة في التوراة، وكذلك العكس. وعلى هذا الافتراض، لا نستطيع أن نلجأ إلى مقارنة النص بالنص.

والواقع أن الافتراض هذا ليس صحيحا خاصة بالنسبة لمسائل العقيدة. فذات الله وصفاته موجودة في التوراة، كما هي موجودة في القرآن الكريم. وتطور مفهوم الخالق أو الإله وجد في التوراة. وكذلك أوضح القرآن الكريم تطور مفهوم المعبود عند اليهود وبني إسرائيل من قبلهم، في كافة السور والآيات التي تناولتهم منذ خروجهم من مصر ودخول سيناء، وحتى فترة الصراع الواضح بين اليهود والمسلمين في المدينة المنورة والجزيرة العربية.

وكما أكدت نصوص التوراة نظرة البشر إلى الله المجرد والغيبي تارة، والمجسد والمجسم تارة أخرى، فقد أوضح القرآن الكريم تطور نظرتهم إلى الله المجرد الغيبي، والمجسد والمجسم. وكما اختلف كتبة التوراة، وفرقهم في فهمهم لطبيعة الله وذاته، كذلك بين القرآن الكريم، اختلافهم في ذلك الفهم وذلك في كثير من السور.

وعندما يدوِّن في التوراة فهم اليهود لعالم الغيبيات المتضمن القوى غير المنظورة كالملائكة والجن، فإن القرآن الكريم يشير بشكل مكشوف لهذا الفهم، بل إن آيات القرآن الكريم ردت على مزاعمهم، وتصوراتهم التي أضافوها على التوراة الأصلية حول ذلك العالم الغيبي.

وحينما يغفل التوراتيون الحديث عن بعض مهمات الملائكة تبرز لنا آيات القرآن الكريم لتكشف ما أغفلوه، ويدحض مزاعمهم، من خلال قرع الحجة بالحجة، ومن خلال تحريك العقل باتجاه المقبول عقلياً ومنطقياً.

ولما كان الانحراف اليهودي كلاً لا يتجزأ فإنهم دوّنوا في توراتهم ما تصوروه حول الجن وعلاقته بالأنبياء والبشر بعامة وأولوه أهمية بالغة، حتى خلطوا عن قصد أو عدم إيمان بين مهماته ومهمات الله أو الملائكة، وقد اعتبروه قوة خارقة متجاهلين محدودية قوته أمام قوة الخالق الكلية المطلقة.

لقد نسبوا إلى إبليس مهمات، هي في أساسها مهمات الله سبحانه أو مهمات الملائكة. وفعلوا العكس أيضاً، عندما ألصقوا بالله والملائكة، أعمالاً إبليسية تمثل الشر المطلق.

ولم يغفل القرآن الكريم عن ذلك، بل بين بالتصريح ما آلت إليه تصوراتهم في خلط أعمال الشر المتمثل بإبليس، وأعمال الخير المتمثل بذات الله.

وبسبب من الطبيعة البدوية القاسية التي فطر عليها اليهود، رأوا بأن الله خادم لهم لم ينفذ ما يرغبون، فوجدوا أن الله لا يصلح أن يكون رباً إلا إذا واجه أنبياءهم وجها لوجه، وواجههم شخصاً بشخص. وحين يواجههم - حسب نصوصهم - فإنه يصبح خاصاً لهم. يطلقون عليه اسم يهوه تارة، ورب الجنود تارة أخرى، يقاتل من يقاتلون، وإذا عاند مزاجهم غضبوا وتحولوا عنه ريثما يعود إلى هدوئه ويبرد حموَ غضبه.

وتسجل آيات القرآن الكريم هذه التطورات العقيدية في الديانة اليهودية، والتي لم تحدث في أي عقيدة أخرى.

لقد عرفت اليهودية عدداً كبيراً من الأنبياء، وخلط اليهود بين من هو نبي خاص ومن هو نبي عام. ونسبوا لهم أنبياء التوحيد الذين بدأهم النبي إبراهيم عليه السلام وانتهوا مع موت يوسف عليه السلام. لكنهم وعلى الرغم من هذا الانتساب المفتعل لم تكن عقولهم تطيق منهج هؤلاء الأنبياء، فألصقوا بهم الكثير من الصفات السلبية غير الأخلاقية، وشوهوا مفهوم النبوة، وحذفوه أحياناً عن بعض الأنبياء.

إبراهيم يحاول أن يتاجر بزوجته سارة لأنها جميلة، ولوط يزني بابنتيه بعد تدمير سدوم وعمّوره. وإسحق لا يعرف من يبارك من أولاده عيسو أم يعقوب، ويعقوب يجلب الأوثان من بيت خاله لابان. والأسباط يغدرون بأخيهم يوسف، ويكذبون على أبيهم. أما الأنبياء الآخرون كموسى وهارون وداود وسليمان، فإنهم يمنحون الأول نبوة وشريعة ويمنعونها عن داود وسليمان. أما هارون فيصنع العجل الذهبي ليعبده بنو إسرائيل في غياب موسى عليهم السلام جميعهم.

ويغدو مفهوم النبوة غامضاً مشوشاً ومشوهاً، بل يغدو مقتصراً على التنبؤ السحري كما حدث مع أنبيائهم أيام السبي البابلي، فلا عصمة للأنبياء. الذي

يرتكبونه فاحشة كبرى. ولم يدحض افتراءاتهم وتشويهاتهم لمفهوم النبوة والأنبياء، سوى آيات القرآن الكريم.

لقد أعادت هذه الآيات الكريمة الاعتبار للنبوة والأنبياء. هذا الاعتبار الذي قصد اليهود أن يلغوه إلغاء كلياً.

واستناداً على مقولة شعب الله المختار، فقد رأوا في أنفسهم مرتبة فوق النبوة وفوق الأنبياء. ويرون أحياناً أنفسهم فوق الإله ذاته، طالما يسير هذا الإله حسب رغبتهم وهواهم.

ويتضح الفارق واضحاً بين عقيدة الأنبياء في التوراة وعقيدتهم في القرآن الكريم ولعل مسألة التوحيد هي أهم ما في هذه العقيدة، لكن فلسفة الانحراف اليهودية لم تصل إلى مستوى فهم عقيدة التوحيد كما أقرها الله سبحانه وتعالى. وكما فهمها الأنبياء.

ولما كانت عقيدة التوحيد عقيدة جميع الأنبياء، فقد أنكر اليهود نبوة بعضهم ليفصلوا التسلسل التوحيدي، الذي أراده الله سبحانه لمسيرة العقيدة بين أنبيائه منذ النبي آدم عليه السلام وحتى محمد صلى الله عليه وسلم.

وعلى الرغم من أن الأنبياء ـ ولا سيما موسى وعيسى ويحيى عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، قد بشروا برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلا أن اليهود الذين لا يروق لهم الاستقامة على التوحيد، رفضوا كل ما قاله الأنبياء بشأن النبي العالمي القادم محمد صلى الله عليه وسلم.

وحين بعث الله سبحانه عيسى بن مريم نبياً مصححاً لمسيرة الضلال اليهودي، تناقضت مصالح اليهود مع دعوته، ورفضوه، كما رفضوا دعوته التوحيدية وحاربوه وحاولوا قتله.

وهكذا فإن مفهوم النبوة جاء في التوراة وفي اليهودية مشوهاً مشوشاً عن قصد وعن سابق إصرار.

ويظهر أن رحلة الحياة في العقيدة اليهودية، أولت اهتمامها الأكبر للدنيا دون الآخرة، فهي المنشأ، وهي الغاية. ومن كان سعيداً فيها فهو في جنة الخلد. ومن كان شقياً فقيراً فهو في الجحيم. ولا نعيم ولا جحيم إلا في هذه الدنيا. ولذلك نرى أصحاب اليهودية أكثر الناس حرصاً على الحياة الدنيا، لأن المخلوق ينتهي بالموت إلى عالم ضبابي معتم، فيه الشك والظن السلبي. ولأن العلاقة بين المخلوق والخالق علاقة مصلحة مادية، فلا اعتبار لعالم ما بعد الموت. ونادرة هي ملامح يوم البعث والقيامة. والحساب هو حساب الدنيا في غالبية الحالات. لا عمل يُثاب عليه البشر ولا عقاب.

وبعض الفرق اليهودية الضعيفة والمحدودة عدداً وتأثيراً، ترى أن مسيحاً منتظراً سوف يأتي إلى الأرض، ويقيم مملكة العدالة فيها، ويسحق مع أتباعه، كل الكفرة والمرتدين عن الشريعة. ولكن إلى أي مدى يقيم هذا المسيح العدل على الأرض؟ لا ندري المهم أنه يقيم العدل الألفي السعيد كما يدعون. ولكن ماذا بعد الألف السعيدة؟ لا أحد يدري. وكل ذلك غامض غير واضح في العقيدة اليهودية. وغير ثابت.

وتأكيداً على أساطير اخترعها اليهود والبروتستانت، فقد رأوا أن العالم سينتهي بحرب مدمرة، أطلقوا عليها اسم معركة هرمجدّون. ويكون فناء الكون نتيجة حتمية لها. فقط عندها ينتهي الكون وتنتهي البشرية. أما ماذا بعد ذلك فليس هناك أي وجود، وليس هناك أي مصير أخروي وليس هناك إله، وحساب وموازين.

وهذا الحس الأسطوري، يكاد يكون عين الحس الوجودي المادي الذي يرى كل شيء في هذا الكون، خارجاً عن نطاق الدائرة الكونية. وخارجاً عن

نطاق خالق مبدع، فالكون حسب نظرهم، تحكمه قوانين الطبيعة الصمّاء والصُّدف العمياء.

لقد فضح القرآن الكريم ادعاءات اليهود وتَقَوُّلاتِهم بشأن العلاقة مع الله. وفضح خفايا نفوسهم، وزيفَ ما يدّعون، وحقيقة ما يسرون ويبطنون ويضمرون.

ولعل الأدهى من ذلك كله، اختراع أحبار اليهود لما يسمى التلمود، الذي فسر التوراة في المشنا والجمارا، تفسيرا حاخاميا، يُدرج المصلحة اليهودية فوق كل مصلحة، ولو كانت ربانية إلهية، ويصبح هذا التلمود أهم من التوراة في المرجعية الحياتية والتشريعية، فالعقيدة اليهودية تصبح عقيدة الأحبار، وعقيدة التلمود، وليست عقيدة موسى ولا حتى عقيدة التوراة، على الرغم مما فيها من اختلاط بين الواقعية والأسطورة، وبين ما هو عقلي وما هو غير عقلي.

وتلعب الفلسفة دورها الخطير في تطوير العقيدة اليهودية منذ زمن بعيد، حتى يصبح مثلا موسى بن ميمون أهم بكثير من النبي موسى عليه السلام، ويصبح منظرو الفلسفة اليهودية أهم بكثير من أنبياء بني إسرائيل وتعاليمهم. وذلك يؤكد أن اليهودية ليست عقيدة ترتبط بالسماء بقدر ما ترتبط بالفلسفة الوضعية والتحولات المصلحية.

ومن هذا المنطلق جعلوا مفاهيم المثل والقيم مقلوبة المضمون، محصورة في الاتباع، تصبح الحرية بمفهومها، حرية الإنسان المطلقة، وتصبح الإرادة الفردية اليهودية مطلقة اليدين، الخطأ فيها صواب، والشر بعينيها خير، القدر بيدها والكون كله ملك لنوازعها. وهذا ما كشفه القرآن الكريم كشفا دقيقا واضحا. لقد أكد كتبة التوراة الحس العنصري والفوقية، وجعلوا من تعاليم هذا الكتاب أفكارا خاصة لاتباع اليهودية. لم يطرحوا في التوراة عقيدة مفتوحة للآخرين، وكانت عقيدتهم قومية عنصرية، غير إنسانية وغير عالمية. اكتنفت تطبيقاتها الأسرار الغامضة، وسيطرت عليها. وما يزال اتباع اليهودية يبثون أفكارا

تهديمية مخربة في كافة بقاع الدنيا، وذلك بسبب عدم قناعاتهم وعدائهم للعقيدة التوحيدية، والأنبياء جميعا. وبسبب قناعاتهم بأن العنصرية اليهودية فوق العقيدة، فقد رأوا في العقائد الأخرى خطرا عليهم فراحوا يبثون أفكار التهديم والتخريب في جميع المجتمعات. ودفعوا باتجاه إنشاء حركات دينية تارة تؤمن بالشيطان، وأخرى تؤمن بالإباحية الجنسية. والثالثة تؤمن بخرافات سحرية. إضافة إلى حركات الماسونية الهدامة واندية الروتاري والليونز والبوند والفرقة الداودية، وغير ذلك من الحركات الدينية التخريبية المدمرة المنتشرة في كافة أنحاء العالم.

لقد رصدت أجهزة الأمن الأمريكية اكثر من أربعمائة حركة دينية لها عقائدها ومعتقداتها في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها. إنها طبيعة أتباع اليهودية، التي صنعها أحبار اليهود، وفلاسفتهم، وطوروا في توراتهم وما يزالون يطورون، وكل ذلك حسب ما تقتضيه الظروف، وحسب ما تقتضيه المصلحة الخاصة لليهود.

ولهذا قسّمنا هذا الجزء إلى مقدمة وستة فصول وملحق. وذكرنا في المقدمة نبذة عن علم مقارنة الأديان، ودور الفرق الكلامية في تشعُّب مفهوم العقيدة. ثم وضعنا في السياق سؤالاً هل اليهودية عقيدة، وما هي سماتها ثم في ضوء ذلك تحدثنا عن مقارنة الأديان ومنهج مقارنة النص التوراتي بالنص القرآني ثم ما مدى إدخال الأساطير في العقيدة اليهودية من قبل بعض الأحبار اليهود.

وفي الفصل الأول: درسنا العقائد في التاريخ وسلّطنا الضوء على عقائد الشعوب القديمة التي عاشت في منطقة الوطن العربي وكذلك شعوب الهند والصين واليابان وعالم الشرق القديم. وتناولنا اليهودية من حيث منشؤها وبيئتها وموقعها بين العقيدة الوضعية والرسالة السماوية. وبيّنا أن اليهودية عقيدة منغلقة وليست عالمية بل هي عقيدة عنصرية.

وفي الفصل الثاني: تحدثنا عن العقيدة اليهودية ورحلة التصوّر اليهودي للإله. ثم تناولنا بالبحث مفهوم شعب الله المختار والإله القبلي المختار. وكذلك الإله التوراتي غير الثابت والضائع الهويّة. والإله المجسَّد وكذلك إله الذهب. ثم تناولنا مفهوم الإله المحارب عند التوراتيين، وكذلك الإشراك بالوحدانية لدى اليهود. ثم تناولنا تطور مفهوم الإله عندهم ومن ثم عند فلاسفتهم.

وفي الفصل الثالث: تناولنا مفهوم النبوة لدى اليهودية ومعالمها وسماتها. من خلال مفاهيم تتعلق بالإيمان بالأنبياء وحاجة الناس إليهم. وتناولنا بعض الأنبياء الذين اشتركت التوراة والقرآن الكريم في الحديث عنهم، وعن بعض الأنبياء الذين انفرد القرآن الكريم بالحديث عنهم وكذلك الأنبياء الذين انفردت التوراة بالحديث عنهم. ثم تحدثنا عن منهج الدعوة لدى الأنبياء جميعاً. وتحدثنا في هذا الفصل عن الأسرار التي تمنع اليهود من الاعتراف بنبوة المسيح عليه السلام ونبوة محمد صلى الله عيه وسلم.

أما الفصل الرابع: فقد تناولنا فيه عالم المخلوقات الخفيّة كالملائكة والجن وتحدثنا بإسهاب عن طبيعة هذه المخلوقات وكيف فهمها كل من المسلمين والتوراتيين.

وفي الفصل الخامس: تناولنا مفاهيم الموت والبعث والجنّة والنّار والحساب والعقاب وما إلى ذلك من مفاهيم.

وفي الفصل السادس: تحدثنا عن تطور العقيدة اليهودية عبر التاريخ ودور الأحبار والفلاسفة اليهود في هذا التطور. ثم تناولنا الفرق اليهودية وكذلك المذاهب والصراعات التي حدثت وما تزال قائمة بينها. ثم تناولنا أفكار بعض الفلاسفة اليهود وكيف ساهموا في تطوير العقيدة اليهودية.

وألحقنا هذا كلّه برسالة لأحد الحاخامات الذين أبطلوا العقيدة اليهودية ورفضوها.

وتوضيحاً لمضمون القسم الثاني من الجزء الثاني كان لابد لنا من وضع استكمال مفصّل لما في الجزء الثاني من الكتاب.

فقد امتازت بعض الأمم والشعوب القديمة بوضع تشريعات وقوانين تنظم حياة الإنسان وارتباطه بالإله إن كان واحداً، أو بالآلهة إن كانت متعددة، وكذلك ارتباطاته بأخيه الإنسان، إن كان من أبناء شعبه أو أمته أو كان من أبناء الشعوب المغايرة.

ومنذ وجد الإنسان العاقل على هذا الكوكب، وجدت معه علاقات، أقامها مع الخالق ومع الإنسان، وهذه العلاقات هي على الأغلب علاقات ود ومحبة وخشية وخوف. وتعبيرا عن هذه العلاقة أوجد هذا الإنسان طقوسا حركية وقولية وسلوكية تشير إلى نفسه، بأن العلاقة تحتاج لتنفيذ رغبة معينة يريدها الخالق، إن كان خالقا متصوراً كما في العقائد الوثنية أو كان خالقا صمداً فرداً كما في العقائد التوحيدية.

ومن ذلك وجد ما يسمى العبادات، وهي الرابط المقدس بين الله والإنسان، والرابط المتصور بين الإنسان الوثني ومجموع الآلهة التي صنعها خياله، ثم عبدها إما لتكون زلفى وواسطة بينه وبين الخالق الأكبر، وإما أن تكون رمزا لهذا الخالق المحيّر العجيب.

وعندما أصبح جنس البشرية أفرادا يعدون بالآلاف والملايين، رأى الإنسان نفسه بحاجة إلى قوانين تنظم التعامل بين البشر في كافة شؤون الحياة المادية أو العقلية والنفسية أو الروحية. فوجد ما يسمى المعاملات، وأصبح من المسلم به أن هذه المعاملات تحتاج دوما لقوانين تتجدد كلما تعقّد التعامل بين البشر وكلما ازدادت المصالح اتساعاً وشمولاً وعمقاً.

ومن هنا يفرض علينا البحث أن نوضح في الصفحات الأولى معنى العبادات ومعنى المعاملات كما فهمها الإنسان التوحيدي أيضاً. فلكل منهما أسبابه وأهدافه وغاياته ولكل منهما علاقاته المختلفة باختلاف الارتباط بينه وبين المعبود.

فالصلاة عبادة مثلاً، وقد وجدت صلوات لدى غالبية الشعوب موحِّدها ووثنيها، وهي بشكل عام صلة بين الإنسان وبين القوة الخالقة. وهي إما حركات ذات طقوس محددة، وإما كلام يتوجه به المرء لخالقه وقد اختلفت هذه الصلاة من أمة لأمة ومن عقيدة لعقيدة.

فالصلاة عند الشعوب الوثنية صنعها الكهنة وكبار رجال الدين وأوجدوا لها طقوسا حركية وكلامية، واتبعهم فيها عامة الناس، وقد أضفوا عليها من تصوراتهم كثيرا من الأساطير والقداسة حتى تكون مقبولة لدى اتباعهم.

أما في العقائد التوحيدية فقد كان العكس تماما، فقد فرضها الله على الموحدين أي أنها لم تكن إرادة ورغبة بشرية بل هي إرادة إلهية وقد أوحى الله سبحانه إلى مبلّغ الرسالة أي النبي والرسول بأن هذه الصلاة تكون على الشكل كذا حركة وقولا. وإذا نظرنا إلى الصلاة مثلا في العقيدة الإسلامية وجدنا أن كل حركة فيها وكل قول يقال أثناءها له غايته وله مبرراته العقيدية. وقد كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوضح ذلك من تعليمه للصحابة وسلوكه التعبدي أمامهم.

وكذلك الصوم فهو عبادة، والصوم الامتناع. وقد اتخذ طرقا عدة، منها الصوم عن الطعام. والصوم عن الكلام. والصوم عن السلوك الحركي الذي يتنافى مع التعبد والأخلاق الحميدة والمعاملات الحسنة مع الناس.

وإذا دخلنا التفاصيل وجدنا أن العقائد بشكل عام حفلت بالصوم، فمن العقائد ما يفرض على المتعبد صوماً عن كل ما ينتجه الحيوان من دهن أو لحم

أو بيض أو حليب إلخ... ومنها ما يفرض على المتعبد الالتزام بكلامٍ محمود أو بإيماء دون كلام أو ما شابه ذلك. ومنها ما يفرض على المتعبد صوماً عن الأكل والشرب والكلام الفاحش المضر والسلوك الشائن غير الأخلاقي وغير المسؤول وبذلك يصبح الصوم عبادةً كليةً خاصةً لها ميزات قد تختلف عن مجمل العبادات ولذلك يقول معنى الحديث القدسي عن الله سبحانه. الصوم لي وأنا أجزي عليه، وقد يرتبط الصوم بحدث وزمن أو بمأساة أو مسرة فيكون تطوعا من الفرد لأن فيه تحقيق وعد ووفاء لمن قطع على نفسه من عهود. أو أن يكون تضرعا طمعا في إبعاد مصيبة أو حلول مسرة أو رفع شدة.

وكذلك الجهاد في سبيل الله، فهو يأخذ في العقائد التوحيدية معنى شموليا يحوي الذود عن الحرمات والمقدسات والأوطان ويحوي مجاهدة النفس، وعدم إطلاق العنان للشهوات المضرة للفرد والمجموع. ويصبح هذا الجهاد عبادة عندما يفرضه الخالق على عباده وذلك لأسباب وأهداف وغايات. وعندما يدرك المؤمن ويوقن بأن الجهاد فرض إلهي له أسبابه الواضحة وأهدافه المعلنة وغاياته، فإنه ينفذ هذه العبادة دون أي اعتبار للنتائج على مستوى "الأنا" المختبئة خلف الشخصية.

وإذا ما نظرنا بشكل دقيق لمعنى العبادة على المستوى الشمولي نرى أن هناك أسساً واضحةً لها، وآفاقاً تتسع لتشمل جميع أعمال المرء. فكل عمل يُراد به وجه الله عباده وكل عمل يُقصد من ورائه منفعة البشر عبادة. ولعل هذا الربط بين عمل الخير والعبادة هو ربط كلي يقصد به إعمار الكون لا خرابه وإصلاح حال الدنيا والناس لا إفسادهما. ومن ثم خلق يقين عند المرء بأن كل عمل خير هو خير له وللمجموع. خير له في دنياه وآخرته. وبالمحصلة فالعبادة مجموعة قوانين تضبط العقل والنفس والروح وتوجه الوجدان والفكر والجسد نحو الخالق، فتنعكس سلوكاً وتعاملاً في كافة شؤون الدنيا من علاقات مع

الإنسان والحيوان والنبات والجماد ومع كل مخلوقات الله على الأرض وتحتها وفوقها وما بينها وبين السماء. ولهذا كان الإيمان مقرونا بالعمل، وكانت العبادة مقرونة بالسلوك الاجتماعي. فالصلاة لا تعتبر صلاة ما لم تنه عن الإفساد والمنكر. والصيام ليس صياما ما لم يمتنع الإنسان عن استغابة الآخرين أو غشهم أو سرقتهم أو إبخاس الميزان الذي يكيل البضاعة لهم. والجهاد ليس جهاداً ما لم يكن مقرونا بنشر الدعوة التوحيدية وردع العدوان وتحرير الأوطان. الجهاد ليس جهادا إن كانت غايته السلب والنهب وقطع الرؤوس وإبادة الجنس البشري.

والعفيدة أي عقيدة توضع لها موازين تحدد حقوقاً وتوجب واجبات. تنظر للمخلوق نظرة كلية. فالإنسان كرجل له حقوق وعليه واجبات وكذلك المرأة والشاب والبنت فإذا تدخلت اليد البشرية في صنع القوانين والنظرات الفكرية والنفسية الموجهة نهو تقييم الفرد فإنها مهما حاولت الرقي في الموازين تظل ملتزمة بنوع من الأهواء الشخصية أو المزاجية. فربما ظلمت المرأة وهي تظن أنها أنصفتها وربما تستلب الرجل بسبب لونه أو عرقه كثيراً من حقوقه الإنسانية الأولية وحين تفسر القوانين حسب المصلحة الذاتية تصبح مقاييسها جائرة. فقد تظلم فرداً أو أفراداً ولكنها في مراحل كثيرة قد تظلم شعوبا بأكملها مما يخلق في الأرض نزاعات وحروباً دامية تودي بحياة أبناء الأمم وحضاراتها.

وفي هذا المبحث نعود إلى دراسة العبادات والمعاملات كما وردت في التوراة وكما وردت في القرآن الكريم مستكملين بحوث المقارنة التي تناولت مسألة الخلق الكوني والتاريخ الإنساني وكذلك مسائل العقيدة والمعتقد.

ولكون التوراة كتاباً تشريعياً يهودياً يعج بألوان العبادات والمعاملات كما يراها أتباع اليهودية فإنه يصبح من الواجب علينا أن نتناول النصوص التوراتية ذات الشأن في المعاملات والعبادات مستندين في ذلك على ما جاء في القرآن

الكريم من موافقات وتفصيلات قد تفضح زيف قوانين التشريع اليهودي وتفضح ما آلت إليه هذه التشريعات من تحريف مقصود.

ولأن القرآن الكريم تناول الشخصية اليهودية تناولاً تفصيلياً دقيقاً، فإننا سنوضح معالم هذه الشخصية وسماتها وما لها من شطحات تعبدية، وما صنعت لنفسها من تعاليم تحدد طبيعة المعاملات مع أبناء اليهودية من جهة ومع أبناء الأمم الأخرى من جهة أخرى. لقد فصلت ثمانمائة سنة بين نزول التوراة الحقيقية على النبي موسى عليه السلام، وبين تدوين ما يسمى التوراة. لقد دوّن التراث الشفهي التوراتي كله زمن السبي البابلي. وكانت هذه السنون الطويلة كفيلة لصنع عبادات ومعاملات تختلف كلياً عما كان عليه في الأصل.

وبسبب من اختلاط بني إسرائيل بالكنعانيين والمصريين والبابليين وغيرهم فقد استفاد كتبة التوراة من تراث هذه الشعوب العقيدي والحياتي فاستلهموا الطقوس والقوانين وباتت نسخة مشوهة عن أصولها.

ففي العبادات لم يعد الرابط بين أتباع اليهودية والخالق سوى رابطة المصلحة والهوى. فالإنسان هو الذي أضفى على معبوده ما يريده. وتصبح العبادة أمراً شخصياً مقرراً من الإنسان وليس من الله.

وبسبب من التقلب الشنيع المستمر في العقيدة أصبحت العبادات ذات علاقة بالوثن والميت والملك. ونُحّيَ الخالق وتعاليمه التعبدية. لقد تقلب بنو إسرائيل في عقيدتهم تقلباً لم يُعرف في أي فئة على مدار التاريخ كله. وهذا التقلب جعل أتباع هذه العقيدة يغيّرون عباداتهم تغييراً سريعا فاختلط التوحيد بالوثنية واختلطت تشريعات الإله بقوانين الكهنة والأحبار والحكماء وطورت الصلوات حسب الظرف وحسب الحالة النفسية فأصبح كل متنبئ أو مصلح يفرض على أتباعه ما تمليه عليه تصوراته وإحساساته. وكذا ظل الأمر كذلك حتى تعقدت العبادات والمعاملات تعقيداً لم تشهده عقيدة أخرى.

وبسبب من النظرة الدينية العنصرية كرس علماء اللاهوت اليهود كل جهودهم لوضع قوانين تحدد العلاقة بين اليهودي وغيره من أبناء الأمم وأصحاب العقائد الأخرى. حرّموا الربا بين اليهودي واليهودي وحللوه مع (الغوييم) الغرباء غير اليهود.

اعتبروا أن الإحسان لغير اليهودي خطيئة وذنب. وجعلوا الزنا حلالاً مع النساء غير اليهوديات لأنهن برتبة الإماء والعبيد أو حتى الحيوانات.

بينما راحوا يشددون في بداية عهد التدوين في قوانينهم التي تحكم أبناء عقيدتهم. أما الحلال والحرام فهو نسبي دوما ومتقلب حسب الظرف، وحسب من يعاملون من البشر إن كانوا يهوداً أو غير يهود. فما كان اليوم حلالاً يصبح غداً حراماً. وما كان حراماً لدى أبناء جنسهم يصبح حلالاً أو محللاً مع الغرباء. والمتصفح لعشرات الآلاف من صفحات التلمود الذي هو شرح لقوانين التوراة المدونة يجد أن اليهودية أصبحت عقيدة يصنعها كبار الربانيين ولا تمت بصلة إلى تعاليم موسى. حتى أنهم اعتبروا التلمود كلام الله الذي نزل شفاهية ومن لم يؤمن بالتلمود لن يفيده الإيمان بالتوراة.

وهذا التلمود نفسه، هو الذي ينظم حياة الفرق اليهودية في غالبيتها. في شؤون الزراعة والتجارة والصناعة والطهارة والنجاسة وجميع العبادات والمعاملات إن كانت معاملات تعبدية أو معاملات إنسانية بشرية. وعلى الرغم من أن التحريف في التوراة واضح ومقرّ من قبل كافة الدارسين والباحثين فإن كتبة التلمود وشارحيه فضّلوا أن يتوقفوا عند قوانينها وصنعوا التلمود حتى يتناسب كلية مع نفسيتهم وعلاقاتهم مع الكون ومع البشر والمخلوقات الأخرى.

وبناء على ما تقدم من نظرة شمولية حول العبادات وبعض المعاملات فقد قسمنا هذا البحث إلى سبعة فصول ومقدمة وخاتمة.

الفصل الأول: وقد سلطنا فيه الضوء على عبادات الشعوب الشرقية القديمة ومعاملاتها بشكل مختصر ومكثف، القصد من ورائه التنبيه لبعض طقوس وعبادات التوراتيين التي اقتبست من عبادات تلك الشعوب. ولما كان الفراعنة والبابليون والكنعانيون أكثر أقسام الشعب العربي التي كان لها علاقة سلمية وحربية مع اليهود فقد كانت لنا جولة في بعض عباداتهم ومعاملاتهم وبعض قوانينهم التي استفاد منها مدوّنو التوراة وكاتبو التلمود.

صحيح أن التوراة ولاسيما أسفار موسى الخمسة فرضت عبادات ومعاملات على بني إسرائيل، وصحيح أن بعضها لا يختلف في جوهره عن تعاليم التوحيد والرسالات السماوية، ولكن التدوين الذي تم بعد نزول التوراة بأكثر من سبعمائة سنة طور في مفاهيم كثيرة في العبادات والمعاملات، وذلك بسبب احتكاك بني إسرائيل بالبابليين الذين عرفوا التشريعات والعبادات، وعرفوا المعابد بشكلها الراقي فالصلاة حُددت أوقاتها بثلاثة أوقات بعد أن كانت مسموحة في أي وقت وفي أي وضع نفسي. وكذلك ما يقال في الصلاة. فلم يعد ما قاله موسى عليه السلام، هو الوحيد الذي يقال بل زيد عليه بما يتناسب مع الظرف والحالة النفسية لبني إسرائيل. واختلطت الأقوال التعبدية بتوجهات سياسية فرضها الكهنة ورجال الدين والمتنبئون الذين ظهروا أيام السبي البابلي وأيام الاغتصاب الثاني لأرض فلسطين بمعاونة الفرس.

وما ينطبق على القرابين هو نفسه الذي ينطبق على الصلاة وغيرها من العادات التعبدية ولكن الذي يدهش أن الكهنة الذين تسلّطوا على بني إسرائيل أصبحوا هم الذين يستفيدون من التقدمات العينية كالأضاحي والأموال والتقدمات الأخرى. وأصبح على جماهير اليهود واجب الدفع لهؤلاء الكهنة دون نقاش. ومن يرفض التقديم لهم يطرد من قومه وتحاك ضده المؤامرات فينفى أو يقتل أو تشوّه سيرته وسمعته وتصبح طبقة الكهنوت ذات امتيازات عالية لا

يصل لها بقية الناس العاديين وقد وصفهم القرآن الكريم في بعض الآيات وفضح أساليبهم في نهب أموال الناس بالحرام.

أما الفصل الثاني: فقد تناولنا فيه مفهوم المعبد ومن ثم مفهوم العبادة في التوراة وبيّنا أن مفهوم المعبد لم يكن عند بني إسرائيل ذا أهمية أو حتى اهتمام على الإطلاق، لقد عاشوا في الصحراء عشرات السنين دون أن يحتاجوا لما يسمى معبداً. وقد ربطتهم خيمة الاجتماع ثم ربطهم تابوت العهد. وكلاهما ينقلان من مكان إلى آخر دون ثبات أو استقرار. وكانت غالبية عباداتهم تقتصر على تقدمة القرابين والمحرقات في الخلاء وعلى كومات من الحجارة يصنعونها لذلك. وبعد مرور مئات السنين أنشأ اليهود أول معبد في ضواحي القدس على يد النبي سليمان. وبدل أن يكون المعبد معبدا توحيديا أصبح معبدا وثنيا حسب ما وصفته التوراة، تمارس فيه طقوس عبادة الأوثان والأصنام التي تمثل آلهة الشعوب المختلفة. وقد هاجم أنبياء التوراة ما فعله بنو إسرائيل في هذا المعبد هجوما قاسيا.

وقد استغل الكهنة وجود هذا المعبد ليكسبوا من وجودهم فيه المال والتقدمات وليكسبوا الموقع السياسي والاجتماعي المميز بين بني إسرائيل.

وبدا واضحا أن هناك تحولاً في العبادات، طالما أصبح لديهم مركز للعبادة فيجب تقنين هذه العبادات، ويجب اختراع طقوس جديدة تناسب الوضع المكاني للمعبد فلذلك نرى هذه العبادات في طور التوسع في حركاتها وأقوالها وطقوسها. ولما حدث السبي البابلي كان لا بد من دمج العبادات بالحس السياسي، فالقدس لم تعد مجرد معبد يربط اليهود بالعقيدة بل أصبح حلما سياسياً تقدس فيه أو له كل المقولات السياسية بدءاً من تجميع بني إسرائيل وانتهاءً بما يسمى العودة أو التسرب الثاني إلى أرض فلسطين.

أما الفصل الثالث: فقد كرس لدراسة طبيعة الطقوس في العبادات وبيّنا فيه أنواعا من التسابيح اليهودية والتوسّلات والتشكرات، وبيّنا أيضا كيف أصبحت للصلاة أوقات. وأوضحنا الأقوال التي تقال في الصلاة وكيف أن الكهنةُ اخترعوا أقوالا جديدة تقال في الصلوات لم تكن موجودة في التوراة وقد اخترع الكهنة ما يسمى التبريكات الثماني عشرة وضمنوها اللعنات التي تستهدف العقائد الأخرى ولاسيما المسيحية. وقد صدّر اليهود كتبا للصلاة لكل فرقة كتاب يختلف عن الآخر. وبيّنا أن القرّائين من اليهود صنعوا لأنفسهم كتابا للصلاة لا يأخذ بما جاء في التلمود. ثم اخترع اليهود أنواعا من الصيام لم تكن موجودة في التوراة أيضا. ومنها صيام إحراق بيت المقدس وهذا ما فرضه أحبار اليهود وأنبياء التوراة أيام السبي البابلي.

أما التفاصيل المتعلقة بالقرابين فقد جاءت على غالبية الطقوس التي تقام بشأنها. وقد بيّنا منذ البداية أن قضية القربان بالنسبة للديانات السماوية بدأت منذ ولدي آدم عليه السلام. وكذلك بيّنا أهمية تقديم إبراهيم عليه السلام لابنه كي يذبحه وكيف فداه ملاك الله بكبش عظيم. وقد جاءت القرابين متنوعة، فهي تضم الحيوانات الطاهرة وبعض الحبوب والزيت ثم فصّلنا القول في أنواع الذبائح التي كان عليها اليهود وطوّروا في مفاهيمها وأنواعها. وذكرنا أعياد اليهود وما يقام بها من طقوس وأشرنا لفطير صهيون وكيف يقدم فيه دم غير اليهودي معجونا بالدقيق. وشمل هذا الفصل معنى الحج وأهمية بيت المقدس بالنسبة لحج اليهود. ومدى تماديهم في اختراع الأساطير حول ما يسمونه حائط المبكى الذي هو حائط البراق.

أما الفصل الرابع: فقد خصّصناه لدراسة بعض التشريعات الفقهية لدى العقيدة اليهودية وهي تتعلّق بالطّهارة والنجاسة بمفهوميهما العامّين. وفيه أيضا

توضيح لكافة أنواع النجس عند المرأة والرجل. وأوضحنا كيف ضيقت الشريعة اليهودية على أتباعها واضطهدت المرأة اضطهادا كبيرا.

وقد أوضحنا حسب النص التوراتي نوعية الحيوانات والطيور والحشرات النجسة والطاهرة.

وقد بينا من خلال آيات القرآن الكريم ما حُرِّم على بني إسرائيل وما حُلِّل لهم موضحين من خلال هذه الآيات كيف حرّف اليهود الأحكام الخاصة بالتحريم والتحليل.

ولعل الزواج والطلاق من أهم الأمور التي اهتمت بها الشريعة اليهودية. ولذلك فقد فصّلنا فيها القول. في الشروط والمهور والسن. والعادات والتقاليد التي حكمت اليهود في زواجهم وطلاقهم. لقد حرمت اليهودية الزواج من غير عقيدتها. بيد أن اتباع هذه العقيدة ظلوا ملازمين الزواج من القريبات وظل الأنبياء التوراتيون يرفضون الاختلاط . ويرفضون زواج اليهود إناثاً كانوا أو ذكوراً من الأمم الأخرى. ليحافظوا على مزاعم العرق اليهودي الذي لا يجب أن يختلط متجاهلين أن العقيدة شيء والعرق شيء آخر. ومتجاهلين كذلك أن أتباع اليهودية لم يكونوا على عقيدة موسى التوحيدية منذ دخولهم سيناء وحتى عصرنا الحالي.

واخترنا أن يكون موضوع **الفصل الخامس** خاصّاً بالعقوبات التي تتناول كافة الحالات. مثل حالات القتل العمد وغير العمد والزنا والاغتصاب وعقوق الوالدين والشتم واللعن الخ.. وكل ذلك حسب ما جاء في التوراة. وقد ارتأينا أن تترك التفاصيل في العقوبات والمحرمات والنواهي والأوامر لفصل آخر لأنها جميعها ارتبطت بالتلمود أكثر مما ارتبطت بالتوراة. وتبناها اليهود أكثر مما يتبنون قوانين التوراة.

ولذلك كان **الفصل السادس**، واخترنا أن يكون تحت عنوان اليهودية من الداخل حيث تناولنا فيه طبيعة العلاقة بين اليهودي واليهودي. طبيعة القتل الجماعي والفردي بينهم متضمناً الاغتيال والقتل بالغدر. ثم تناولنا فيه ظاهرة الاغتصاب المتفشي بين اليهود منذ زمن التوراة وحتى العصر الحالي، ثم بينا موضوع حقوق الإنسان وخاصة حقوق المرأة التي اضطهدها التشريع اليهودي في حقوقها الخاصة والعامة.

وتعرضنا لموقف اليهودية من البغاء والإجهاض واللقطاء والاسترقاق. وقد عرضنا في هذا الفصل تحليلاً للشخصية اليهودية المنحرفة وذلك انطلاقاً من الاستناد على آيات القرآن الكريم التي رصدت نفسية اليهود في كافة قضاياها الشخصية والاجتماعية والاقتصادية تلك القضايا التي اعترفت التوراة بها على لسان أنبيائها وكهنتها رغم كل التحريف والتزوير.

أما **الفصل السابع**: فكرّسناه لدراسة اليهودية من الخارج. أي مجمل التشريعات والقوانين التي تحكم علاقة اليهود بغيرهم من الأمم والشعوب. وبينا كيف أن التلمود كرّس معظم صفحاته لتبيان العلاقة بين اليهودي وغيره وذلك إن كان في زمن السلم والحياة الآمنة أو كان زمن الحرب والصراع. إن كان ذلك بحكم الضعف اليهودي أو كان بحكم القوة. ولذلك تناولنا كثيرا من القضايا المرتبطة بالتعامل الحياتي اليومي، كالربا والمداواة والزراعة والبيع والشراء والعداوة والبغضاء والدسائس ومحاولات الاغتيال والقتل والاغتصاب وكل ذلك يأتي في سياق تشريعات التلمود التي تعتبر كل من عدا اليهود غرباء ووثنيين يجب أن يختلف التعامل معهم عما هو عليه بين اليهود. وأوردنا فيه الشواهد المعاصرة اللازمة التي تبين عنصريتهم وحقدهم على شعوب العالم..

ثم قدّمنا في آخر الكتاب **خاتمة** تحوي نداء إلى اليهود أنفسهم كي يخلصوا أنفسهم من عقدة اليهودية المنحرفة ويعودوا إلى دراسة حقائق التوراة

ويرفضوا المؤسسة الدينية اليهودية الكهنوتية التي تتحكم في رقابهم وتسوقهم إلى الهاوية. وفي هذه الخاتمة دعوة لكافة المسلمين كي يعيدوا النظر في كل ما قرأوه عن اليهود حتى يدركوا مدى التحريف التوراتي ومدى ما أدخل في عقول المسلمين من تلفيقات يهودية وإسرائيليات وموضوعات.

إننا ومن باب الحرص على كشف الحقائق نستعين بالله العلي العظيم كي يسدد خطانا وتكون غايتنا إخلاصنا لعقيدة التوحيد الإنسانية الشاملة. اللهم إن كنا أخطأنا فلا تؤاخِذنا واغفِر لنا وتُب علينا وإن أصبنا فلكَ الشُكر الدائم لأننا دون تأييدك لا نستطيع القبض على القلم أو رؤية الكلمة لنقرأها.

والحمد لله رب العالمين

حسن الباش

نهاية شهر 6 عام 1998

القسم الأول

في العقيدة والمعتقد

الفصل الأول

العقائد في التاريخ

العقائد في التاريخ:

لا شك أن عقائد البشر في الأرض لا يمكن حصرها بشكل تفصيلي واسع، فكل أمة في هذه المعمورة لها عقائدها، ومعتقداتها. وعبر التاريخ وجدت عقائد لم نعرف عنها إلا النزر القليل، وبعضها الآخر لم نعلم عنه شيئاً.

وقد ذكر معظم علماء التاريخ والأديان ما وصل إليهم من العقائد الكبرى، التي انتشرت بين ملايين البشر، وأصبحت تعاليمها وأتباعها، في متناول البحث، وقد تصدى لدراستها كثيرون من المهتمين والمتخصصين. وسلطوا الأضواء على تاريخ نشأتها، وعلى تعاليمها وتطورها منذ أن بدأت، وحتى انتشارها بشكل واسع، وتواجد أتباعها حتى هذا اليوم .

ولسنا هنا بصدد دراسة هذه العقائد، وتحليل ما فيها من تعاليم ومعتقدات وعبادات إنما الذي يعنينا من هذه الدراسة، معرفة علاقة هذه العقائد بالوثنية والتوحيدية أو بمعنى آخر، علاقة هذه العقائد بالإله إن كان إلهاً واحداً أو عدة آلهة، وعلاقتها بالقوة الغيبية إن وجدت، إضافة لأهم قضايا العقيدة، كالموت والبعث والروح والحساب، وما إلى ذلك.

وبسبب كون الموضوع يرتبط بدراسة العقيدة اليهودية، على ضوء معطيات التوراة والقرآن الكريم، فإن إلقاء الضوء على عقائد الإنسانية الأخرى، يمنحنا بعض التعرف على مفاهيم عقيدية، قد تتقاطع مع اليهودية أو لا تتقاطع، وعندها فقط يمكن التعرف على ما إذا كان هناك تأثرٌ وتأثيرٌ، وأخذ وعطاء بين

العقائد جميعها وعندها أيضاً يمكن التعرف على تقدّم عقائد وتأخُّر أخرى، حسب التسلسل الزمني التاريخي لوجود هذه العقائد .

ويحكمنا في هذه الإضاءة عدة أمور، لا يمكن إغفالها أو الإقلال من أهميتها :

1ـ اتساع المساحة الجغرافية لكل عقيدة أو محدوديتها جغرافياً .

2ـ عمق المساحة التاريخية لكل عقيدة. انقطاعها أو تواصلها .

3ـ علاقة هذه العقيدة بالوحدانية أو التعددية، والتجريد والتجسيم.

4ـ نقاء هذه العقيدة أو امتزاجها بعقائد أخرى

5ـ طبيعة الظروف التي انتشرت بها العقيدة، والكيفية التي من خلالها تم نشرها والدعوة لها .

وكنماذج لهذه العقائد حسب الأمور التي طرحناها، نجد أمامنا عقائد المنطقة العربية القديمة، وعقائد بلاد فارس، وعقائد الهند الكبرى، والعقائد الصينية. وبعض العقائد لدى الحضارات التي كُشِف عنها حديثاً في أمريكا. وأفريقيا ويمكن حصر هذه العقائد بما يلي :

1ـ عقيدة البابليين والآشوريين والكنعانيين، وحضارة المنطقة العربية، عقائد الفراعنة.

2ـ الزرادشتية، والمانوية، والمجوسية .

3ـ الهندوسية (البراهمية). البوذية. والجانتية .

4ـ الكونفوشوسية .

5ـ عقائد الهنود الحمر في أمريكا .

6ـ عقائد الشعوب الأفريقية والأسترالية القديمة .

لقد جاءت اكثر الدراسات المتخصصة بالشرق القديم، على معظم ما كان لدى الشعوب في ما بين النهرين، من عقائد وديانات ومعتقدات، واستندت جميعها على آلاف اللوحات الفخارية والرقم المكتشفة في مناطق تواجد شعوب تلك الحضارات. وأصبح لدى الباحث مواد غنية ووفيرة، سيما أن تلك الكتابات ترجمت كثيرا إلى أكثر من لغة.

وقد ركز العلماء والآثاريون والباحثون في الشرق القديم على تناول السومريين ومعتقداتهم، كأقدم مجموعة بشرية أنشأت حضارة في الماضي، ثم سقطت الحضارة السومرية أو انهارت في ظل بروز قوة البابليين. ما بين النهرين، وخلفت وراءها آثاراً كتابيةً. وعلى الرغم من أن جميع الباحثين يتفقون على أن السومريين ليسوا شعباً سامياً أو عربياً، إلا أن وجودهم في المنطقة العربية، جعل الباحثين يدرجونهم ضمن حضارات هذا الحوض العربي الكبير، ولسبب آخر أيضاً هو قولهم: بأن البابليين والآشوريين استندوا في معتقداتهم وأساطيرهم على عقائد وأساطير السومريين ومعتقداتهم.

ترتكز الأفكار الدينية عند السومريين على تصور متعدد الجوانب للآلهة .فهم يرون أن الإله (آن) هو إله السماء، وهو الحاكم الأسمى والإله الرئيسي. ويرون أن هذا الإله تزوج من (كي) وهي الأرض، ثم انجبا بقية الآلهة. ومن أهم المعتقدات الدينية لديهم، اعتقادهم أن الكون كان في الأساس البحر ثم انبثق من البحر الشمس والقمر والكواكب والنجوم، ثم النبات، والحيوان، والإنسان أو الحياة البشرية.

لكن السومريين اعتقدوا أن الآلهة تتصرف كالبشر، فهي تأكل وتشرب وتنام وتتزوج (لكنها خلاف البشر خالدة، وقد احتفظت للبشر بالموت، وأبقت الحياة في يدها)⁽¹⁾.

ويجتمع لدى المعتقدات السومرية مجمع آلهة كثيرة، كإله الغلاف الجوي والرياح (إنليل) ويقال لديهم: إن هذا الإله، يمسك بيده ألواح القدر، التي سطرت فيها أقدار الناس جميعا. وهناك أيضاً الإلهة (إنانا)سيدة السماء والإله (إنكي) أو (أيا) إله العالم السفلي، أو إله الأعماق.

ويظهر من ذلك أن التعددية والتجسيمية، أو المزج بين الصفات البشرية والإلهية كانت مسيطرة على التفكير العقيدي لدى السومريين.

وهذا ما سنجده عند معظم عقائد الشعوب التي سكنت المنطقة أو استوطنت فيها فيما قبل الميلاد.

وقد توارث البابليون المعتقدات والعقائد السومرية، بعد أن سقطت الحضارة السومرية أو انهارت في ظل بروز قوة البابليين .

ويبرز الإله مردوخ (مردك) أو المريخ كأهم الآلهة التي عبدها البابليون. وقد أقام له البابليون معبدا، أطلق عليه (الإيزاجيل) أي المعبد الذي تناطح ذروته السماء. وللإله مردوخ زوجة، يطلق عليها (صربنيتو) وهي مختصة بالحمل والإنجاب. وتقول الألواح البابلية: إن مردوخ أخذ موافقة بقية الآلهة، إنْ هو قضى على (تعامت) إلهة العالم السفلي، أن ينصب كبيرا للآلهة. ويتم له ذلك حيث تقول الأسطورة: إنه قسمها بسيفه إلى نصفين، ثم نُصِّب كبيراً للآلهة البابلية وصار يتصرف نيابة عن تلك الآلهة. وكانت تُوجه إلى هذا الإله الصلوات والتراتيل التي تمجِّد صفاته، ومنجزاته .

---

(1) جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. عالم المعرفة ص 12.

وترى الأسطورة أن الآلهة (تعامت) أوتيمات، اتخذت الإله (كينغو) زوجاً لها وقائداً لجيوشها في حربها مع (مردوخ) وبعد أن قتلها مردوخ وسجن زوجها خلق الإنسان من دماء السجين (كينغو) بعد أن قتله، وأفرج عن بقية الأسرى، كما خلق النباتات والحيوانات(1).

وتقول الأسطورة البابلية: التفت مردوخ بعد ذلك إلى بقية عمليات الخلق، فخلق النجوم محطاتِ راحةٍ للآلهة، وصنع الشمس والقمر، وحدد لهما مسارهما. ثم خلق الإنسان. ونظم الآلهة في فريقين، جعل الفريق الأول في السماء، وهم الأنونانكي والثاني جعله في الأرض وما تحتها وهم (الألجيجي) "1" وبعد الانتهاء من عملية الخلق، يجتمع الإله مردوخ بجميع الآلهة، ويحتفلون بتتويجه سيدا للكون. ثم بنوا مدينة بابل، ورفعوا له وسطها معبدا، وأعلنوا في هذا الاحتفال، أسماء مردوخ الخمسين.

فمن خلال الأسطورة البابلية، نرى أن البابليين، اعتمدوا التعددية في عبادة الآلهة، ونلاحظ تشابها واضحا بين أعمال الآلهة واعمال الإنسان. فالآلهة أشبه بالملوك والأمراء، حتى إنها تفتقد إلى الخلود. وهذا عائد إلى مرحلة ضعف حضارتها فهي في طور الضعف تصبح أقل قيمة وارتباطا من قبل الإنسان بها.

وعلى الرغم من ذلك نجد أن هناك كبيرا للآلهة. بمعنى أن هناك ملكا يحكم حاشية. فمردوخ سيد آلهة بابل، ولكنه لا يعيش بمفرده، بل إلى جانبه عدد كبير من الآلهة التي تعاونه في عمليات الخلق والكون وما إلى ذلك.

ويلاحظ أن كتابة الأسطورة البابلية تتوافق مع سيادة بابل على وادي الرافدين والمناطق المتحضرة الجديدة. والسيادة العسكرية تتبعها سيادة ثقافية دينية تثبتها وتمد في عمرها. فكانت الأسطورة وسيلة لنشر الديانة البابلية،

---

(1) المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ص 22 سبق ذكره

وتثبيتا لعبادة إلهها ـ مردوخ ـ الذي ساد الآلهة جميعها، وتفوق على آبائه وأقرانه⁽¹⁾.. وترى الأسطورة البابلية أيضاً أن الإلهة (مامي) أو كما تدعى أيضاً (تنماخ) أو ننخر ساج أو ننتو. وهي صاحبة الخلق الأول، وهي الأم الكبرى. ويقصدون بها الأرض والتربة الخصبة. ويقابلها عند الكنعانيين ـ عشيرة ـ فكل الثقافات القديمة عبدت آلهة أنثى كبيرة. وهي الأرض الأم التي كانت مركزا للحياة الروحية)⁽²⁾.

أما العقائد الكنعانية: فترى أن هناك مجمعا إلهياً، على رأسه يقف الإله (إيل) وفي هذا المجمع ـ الإله بعل، والإلهة عشيرة، والإلهة عناة وبعض الآلهة الصغيرة. تصف ألواح أوغاريت الإله إيل بكبير الآلهة ورب السماء، يعتلي عرشه في السماء السابعة. أما الإله بعل فهو الإله ـ حدد ـ وهو إله المطر والسحاب والصاعقة. تقول المعتقدات الأسطورية الكنعانية: إن الإله إيل جاء نتيجة تزاوج الإله عليون والإلهة عشتروت. وتقول بعضها أيضاً إن إله السماء تزوج بإلهة الأرض. فأنجبت له أربعة أولاد، وهم الإله إيل والإله داجون. والإله عتل والإله سيتون. وعندما بلغ إيل مبلغ الرجال، اتخذ الإله ـ توت ـ كاتبا له وكاتما لأسراره، ثم أشعل إيل حرباً ضد أبيه لأنه أهان أمه الأرض. وتعني كلمة إيل القدرة والقوة. ويعتبر إيل أعظم آلهة الشعوب العربية القديمة. وعُرف أيل برب الأرباب. أو إيل إيلوهيم. ويقال: أنه كان لإيل ابن وحيد يدعى شديدا توهم فيه الغدر يوما فذبحه.

وتقول الأسطورة: إن إله السماء أي والد إيل سئم حربه مع ابنه فبعث إليه ببناته الثلاث. عشتروت. وسميرنا. وبعلكي، كي يوقعهن به لكن إيل استمالهن وتزوجهن وولد لإيل من عشتروت سبع بنات، ـ يعرفن في الأساطير

---

(1) فراس السوّاح. مغامرة العقل الأولى المستندة على ترجمة الكسندر هيدل وترجمة سبنسر ص 44

(2) فراس السوّاح. مغامرة العقل الأولى ص 76 ـ 77 سبق ذكره.

الكنعانية بالترابيات ـ كما أنه أنجب من سميرنا سبعة ذكور. ثم أنجب من عشتروت إلهين آخرين هما الشوق والعشق(1).

تقول الأسطورة الكنعانية أيضاً: إن إيل هو أول من تزوج بجنية، إسمها عين عفريت، وأنجب منها ولدا وحيدا. والشعب الكنعاني الذي يقدس إيل، لا يحترمه لصفاته المميزة فحسب، بل إنه يرى فيه إلها غير مشخص. وهو خالق السماوات والأرض وجميع البشر. وإيل يمثل الفكرة التوحيدية الأولى مثل الإله شمس. والإله إيل لا يحاور البشر كبقية الآلهة، بل يتجلى بشكل حلم أو وحي أو الهام. وفي النصوص الأوغاريتية لم يظهر إيل للناس مشخصا، كما هو الحال عند بقية الآلهة، مثل بعل وعشيرة وعناة التي تتدخل بشؤون الناس وتظهر لهم.

وفي بعض تفاسير الأسطورة الاوغاريتية، جاء أن إيل أبو الآلهة، وهو يقيم في حقولهم عند منابع الأنهار. وقد دام حكمه الفعلي 32 عاما. ويرد أنه شاخ وعجز. ومن أهم صفاته أنه الأبدي، خالق المخلوقات، وأبو البشر والآلهة. وحتى يثبت أبديته لم يرد أنه مات أو فني.

وترى بعض النصوص الكنعانية أن للإله إيل 70 ولدا، 50 ذكرا و20 أنثى وأطلقوا عليه أحيانا صفة الرحمة والعظمة، ويعتبر الكنعانيون أنفسهم شعبه الخاص(2) ويتميز أيضاً بتوزيع المكرمات، كإهداء الندى والطل. كما أنه يجلب الموت بواسطة بعض أولاده، وله سلطان على بعث الأموات. ويظل المرجع الأساسي في حل مشاكل الآلهة وصراعاتهم، وبناء المعابد، ولا ينافسه أحد من الآلهة وهو الحاكم المطلق .

---

(1) شوقي عبد الحكيم الفلكلور والأساطير العربية ص 64

(2) ديل ميدكو. اللآلئ، نصوص من الكنعانية ترجمة مفيد عرنوق ص34

ويرى العلامة سيفر أن ما يسبغه الكنعانيون من نعوت التعظيم والتفوق فوق الجميع ، يدل بوضوح على ميل الكنعانيين لتقبل عقيدة التوحيد(1) .

ويعتبر الإله بعل، أهم الآلهة عند الكنعانيين بعد الإله إيل على الإطلاق. ويرد اسمه على شكل آخر هو الإله حدد. وهو إله زراعي معروف في الأسطورة الكنعانية ، فهو يسوق الغيوم والأمطار والأنهار، ويرد عنه أيضاً أنه إله الصواعق والبرق ، وله عظمة وقدرة، كرسيُّه فوق الغيوم، وينتقل عادة في مركبته ، مما أعطاه لقب ممتطي الغيوم. وأحياناً يتلذذ بعذاب البشر ، فيأمر بالأعاصير، ولا يتردد في النيل من الناس بيديه حتى أنه لا يتردد في مصارعتهم. وله أيضاً بعض الصفات المستمدة من الإله إيل. فمرة يُعتبر إلهَ الموت وله القدرة على إحياء الموتى وبعثهم، كما أن له سلطةً على إذلال الإنسان الحي .و يقال: إنه كان يُضحي بالبشر قرابينَ لهذا الإله. ويكلفه أبوه إيل بمصارعة قوى العماء والوحوش الضارية ، فيتغلب عليها ثم يأخذ بخلق الكون أو تتمة خلقه.

ومن أهم معابد الكنعانيين معبد لبعل في مدينة نابلس ، وقد عبده التوراتيون في مرحلة من المراحل وصلّوا له ، وذلك في زمن القضاة. ويقال: إنه أقيم معبد للإله إيل بين القدس ونابلس، لكنه كان يغص بالأصنام والتماثيل التي ترمز للآلهة المعاونة لإيل الموصوف بالمحتجب .

أما الآلهة عند المصريين القدماء ، فلديانتهم تاريخ طويل معقد. فقد مرت عبر التاريخ بتغيرات عديدة، وذلك بسبب عمق الحضارة الفرعونية ، واتساع الرقعة التي تواجدوا فيها .

---

(1) ديل ميدكو. اللآلئ، نصوص من الكنعانية ترجمة مفيد عرنوق ص35

وجدت في مصر آلهة محلية، تخصصت بها المناطق المصرية، في الشمال والجنوب. ووجدت أيضاً آلهة عامة، تبناها المصريون وأصبحت في وقت من الأوقات آلهة بعض الشعوب المجاورة.

في الديانات المحلية سادت ديانة حوريس، الإله الصقر الذي توحد مع فرعون الحي. وقد ظهرت هذه الديانة بشكل عام، عندما انتصرت مصر السفلى على مصر العليا.

أما آلهة مصر الكبرى فقد بيّنت مسؤولية الخلق. فتقول الأسطورة الفرعونية إن الإله الخالق الأول هو أتوم (ATUM) الذي اتحد في هوية واحدة، مع إله الشمس (رع). وتقول الأسطورة: إن أتوم خرج من عماء المياه الذي يسمى (نون) (NUN). ثم ظهر فوق التل، وأنجب بغير زواج الإله (شو) الهواء - والإلهة تف توت أو تفنت - الرطوبة - والإله أتوم أتم نفسه بنفسه، أي خلق نفسه أولا، ثم خلق العالم، ومن صفاته (ذلك الذي جاء للوجود من تلقاء نفسه). أما الإلهة تفنت، فهي زوجة الإله - شو - . وقد عبدها المصريون على شكل الأسد وزوجته في الدلتا، وشاركت زوجها أعباء مهمته السلمية في حمل الأفق. وهذان الإلهان خلقا كما يدل اسمهما بطريقة البصق الأول، ويعني أتوم أيضاً الواحد الكامل. ومن آلهة المصريين، إله السماء نوت (NUT) والإله جب (GEB). وأوزوريس وإيزيس، وست ونفتيس.

ويظهر الإله بتاح (PTAH) خاصا بمدينة منف الذي يسمى في آن معا الأب والأم لكن عملية الخلق تعزى إلى الإله الصانع خنوم (KHNUM). وتقول الأسطورة: إنه يجلس إلى دولابه الفخاري ليصنع البشر. ثم أصبحت السيادة الإلهية للخصوبة والشمس، فلذلك عبدوا الإله شمس - رع - الذي اتحد مع الإله أتوم، في صيغة واحدة (رع أتوم)، ومع إله السماء حوريس الإله الصقر.

وقد اصبح فرعون يسمى ابن الإله - رع - ونظر المصريون إلى الإلهة - ماعت - على أنها ابنته.

أما آمون فتعني الخفي، لكن هذا الإله كان يتجلى في أشكال كثيرة. وقد ظهر التثليث الإلهي عند المصريين في مرحلة من المراحل. فقد جمع الإله بتاح وسخمت وتعزتم في ثالوث واحد. وكذلك جمع آمون وموت وفنسو في ثالوث ثان. وجمع بتاح وسوكاريس وأوزوريس في ثالوث ثالث.

(ومن الواضح أننا نجد هنا استباقا للعقيدة المسيحية حتى لو أعوزنا الدليل الذي يثبت أن لها تأثيرا معينا على الصياغة المسيحية[1]). وحسب كافة المصادر الآثارية والتاريخية، فان مصر الفراعنة، قد شهدت تطورا ملحوظا في مفهوم الإله. وأرجع بعضهم هذا التطور إلى تغير الوضع السياسي والكهنوتي لدى الفراعنة والشعب المصري بشكل عام. ويرى عباس محمود العقاد أن عبادة آتون هي أرقى ما وصل إليه البشر من عبادات التوحيد في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. فلم يكن المراد بآتون قرص الشمس ولا نورها المحسوس بالعيون، ولكن الشمس نفسها كانت رمزا محسوسا للإله الواحد، المتفرد بالخلق في الأرض والسماء وإنما جاء هذا التطور بعد تمهيدات دينية وسياسية، تهيأت لمصر، ولم تتهيأ لغيرها من الدول الكبرى في تلك الفترة .

ويرى أيضاً أن الإله فتاح ارتفع طبقة أخرى في مدارج القدرة، والتنزه عن النظراء. فتعالى عن الأجساد الشاخصة للحس، وتمثل لعباده روحا مسيطرة على كل حركة، وكل سكون في جميع المخلوقات، من ذات حياة، وغير ذات حياة. فكان فتاح كما جاء في إحدى صلواته هو (الفؤاد واللسان للمعبودات. ومنه يبدأ

---

(1) جفري برندر المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ص 52 سبق ذكره.

الفهم والمقال، فلا ينبعث من ذهن ولا لسان فكر أو قول بين الأرباب أو الناس أو الأحياء أو كل ذي وجود إلا وهو من وحي فتاح)(1).

وما وجد شيء من الأشياء قط إلا بكلمة من لسانه صدرت عن خاطر في فؤاده فكلمته هي الخلق والتكوين.

وقد توطدت كهانة آمون في أيام المملكة الوسطى. وبلغت أوجها بعد عهد تحوتمس أكبر ملوك الأسرة الثامنة عشرة.

ومع اتساع النفوذ السياسي للفراعنة اتسع النفوذ الديني وأدى إلى تطور آخر في النظرة إلى الخالق، وأصبح ينتقل من بيئة محلية إلى بيئة عالمية. وعندما ارتقى عرش مصر، الفرعون أمنحوتب الرابع أو أخناتون كما تَسمَّى فيما بعد، كان التمهيد للعبادة الجديدة قد بلغ مداه. وكان اتساع الأفق في النظر إلى الدنيا، والنظر إلى صفات خالقها قد وسع له المجال للابتكار والتجديد. وأعان عبقريته على التدعيم بعد التمهيد.

وألغى أخناتون جميع الأرباب وأعوانهم، من الأرواح والأبالسة، وأولهم الإله أوزوريس. ويتضح من صلوات أخناتون، أنه أضفى على الإله أعلى الصفات التي ارتقى إليها فهم البشرية قديما في إدراك الإله بكماله. ومن صفات أخناتون كما يرد في النصوص المكتشفة أنه الحي المُبدِئ للحياة. الملك الذي لا شريك له، في الملك، خالق الجنين وخالق النطفة التي ينمو منها الجنين، نافث الأنفاس الحية في كل مخلوق، بعيد بكماله، قريب بآلائه. تسبح باسمه الخلائق على الأرض والطير في الهواء. وترقص الحملان من مرح في الحقول. فهي تصلي له وتستجيب لأمره، ويسمع الفرخ في البيضة دعاءه، فيخرج إلى نور النهار واثبا على قدميه. قد بسط الأرض، ورفع السماء واسبغ عليها حلل

---

(1) عباس العقاد. الله. دار المعارف المصرية ص: 68 عام 1964.

الجمال. وهو ملئ البصر وملئ الفؤاد، وهو الوجود وواهب الوجود. وشعوب الأرض جميعها عبيده لأنه هو الذي أقام كل شعب في موطنه، ليأخذ نصيبه من خيرات الأرض، ومن أيام العمر في رعاية الأحد آتون)(1)

وقد رأى بعض الباحثين الغربيين، أن عقيدة أخناتون القريبة من التوحيد كان لها أبعد الأثر في عقائد العبرانيين، وهذا ما يمكن مناقشته في ما يلحق من فصول.

وتبرز لنا عقائد الفرس القديمة كإحدى أهم المجموعات العقدية الهامة فيما قبل الميلاد، وكان لها تأثير واضح، وانتشار لدى الشعوب الآرية.

ولعل العقيدة الزرادشتية من أهم العقائد البارزة في فارس القديمة. فزرادشت الذي يعتبر أكبر مبشر فارسي بعقيدة واسعة الانتشار، يعود تاريخه حسب أكثر المصادر إلى حوالي منتصف القرن السابع قبل الميلاد، أو بحدود عام 628 إفرنجي ق. م. وما يميز الزرادشتية، أن مبشرها لم يدَّعِ الألوهية إنما كان داعيا.

وتتجلى الألوهية عند زرادشت بأن الله هو السيد المهيمن الحكيم ـ أهورا مزدا ـ خالق السماوات والأرض، وهو الأول والآخر. ومع ذلك أيضاً هو الصديق الذي دعاه منذ البداية. ولا يمكن أن تكون لله علاقة بالبشر. فروحه المقدسة هي التي تقيم الحياة، وتخلق الرجال والنساء.

وتعارض الروح الشريرة، أو القوة المدمرة التي تتسم بالنوايا الشريرة والتكبر والكذب(2) .

---

(1) عباس محمود العقاد. الله في نشأة العقيدة ص 69 ـ 70 ـ سبق ذكره.

(2) جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ص 116 سبق ذكره.

غير أن المدقق في طبيعة العقيدة الزرادشتية يرى أن داعيها يقول بوجود إلهين وليس إلها واحدا. فيرى أن اهورامزدا هو توأم الإله الآخر المدعو أهرمان ويقول: على البشر أن يختاروا بين هاتين القوتين المتعارضتين أو بين التوأم من آلهة.

ولكن زرا دشت يرى أيضاً أن الصراع بين الخير والشر، أي بين اهورامزدا وأهرمان ليس أبديا، إذ سوف تأتي لحظة التحول الأخيرة في العالم، عندما يلتحم جيشا الخير والشر. ونرى أيضاً أن الزرادشتية تُدخل النار في مسائل العقيدة. فعند الالتحام بين الخير والشر فان على البشر أن يخضعوا للاختيار العظيم عن طريق النار. ويرى زرادشت أن طقوس النار القديمة هي رمز النور والقانون الكوني للإله فاستخدمها في صلواته.

وللزرادشتية كتاب مقدس يدعى الأبستاق (AVESTA) وقد دون على أقرب وجه في القرن الخامس الميلادي، أي بعد انتشار الزرادشتية بألف عام. وهذا ما يذكرنا بتدوين كتاب التوراة الذي لم يتم إلا بعد النبي موسى عليه السلام بسبعمائة عام على الأقل.

وترى تعاليم زرا دشت أن النظام أو المبدأ، هو ما نراه في السماوات والأرض، وهو ما يجعلنا نتعرف على الوجود غير المتناهي للإله القادر على كل شيء. كما يجعلنا نؤمن به، والحياة هي التي تعلم أن الله هو الموجود الأعظم، والأفضل والأسمى، من حيث الفضيلة والاستقامة والخير. والله لايمكن أن يكون مسؤولاً عن الشر، لأن الشر جوهر مثله مثل الخير، وكل منهما يرجع في النهاية إلى سبب أول هو الله من جهة، والشر من جهة أخرى.

وكأي عقيدة وثنية أسطورية ترى الزرادشتية أن لله كما للشيطان أتباع وقوى، فمع الله ملائكة ستة مقربون، يجلسون أمام العرش، ومكلفون بحراسة العناصر التي يتألف منها العالم. وهناك أيضاً ملائكة آخرون أقل مرتبة وبمقابل

هذه القوى توجد قوى شريرة،معاونة للشيطان، الذي يمثل الشر وتقوم بنشر الجوع والمرض والعطش والفوضى، والأفكار الشريرة، والعصيان والارتداد عن الدين.

ويعتقد أتباع هذه العقيدة أن بهرام هو النيران الرئيسية، أو ملك النيران الذي يتوج ويوضع على العرش، ولا يكتفي بتنصيبه فحسب. كذلك فلديهم الإله المدعو ـ هوما ـ ويرمز للأرض (وفي طقوسه يسحق الإله، ومن العصير يستخرج شراب الخلود. وفي هذه القرابين الخالية من الدماء يكون القربان في آن معاً هو الإله والكاهن والضحية. ويقوم المؤمن بالتهام هذا القربان الإلهي مستبقاً بذلك القربان الذي سيقام في نهاية العالم ويجعل جميع البشر خالدين)(1).

وقد حفلت عقائد الفرس بديانات أخرى، أقل أهمية وانتشاراً من الزرادشتية فنجد مثلاً الديانة الزرفانية، وزرفان هو إله الزمان المتناهي، والقدر المسيطر الذي يؤثر من بعيد في مصائر البشر. والزرفانية عقيدة معدلة عن الزرداشتية بعد أن طوّرها كهنة النار،لتصبح تعددية، لم تقتصر على إله واحد. لكن الملفت للنظر في هذه العقيدة أن الإلهين أهورامزدا وأهرمان توحدا في إله واحد ولكن لزرفان أربعة وجوه، وترمز هذه الوجوه أو الصفات إلى الإنجاب والميلاد، والشيخوخة، والعودة، إلى اللامتناهي. ففي الواحد نجد جميع مظاهر الحياة. النور والظلمة والحرارة والبرودة. وترى الأسطورة المرتبطة بهذه الديانة أن زرفان أنجب الإلهين أهورامزدا وأهرمان. وترى الأسطورة الفارسية أن أهرمان كان الأول في الدخول إلى العالم، ولهذا السبب حكم لمدة تسعة آلاف عام، أما أهورامزدا فقد أُعطِي سلطة الكهنوت والنصر النهائي(2)

---

(1) جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص 122 – 123 سبق ذكره.

(2) جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص124 سبق ذكره.

ومن العقائد العقيدة المترية. وقد عبد الإله مترا في إيران كإله للعقود والاتفاقات. ومن مهماته حفظ الحق والنظام والقضاء على القوى المفرقة. قوى الشر والغضب والجشع والتكبر، والمماطلة وجميع الأشرار من الآلهة والبشر. ويوصف بأنه محارب جبار، وهو الذي يتعبد له المحاربون، وهم على ظهور جيادهم، قبل ذهابهم إلى المعركة. وبوصفه حارساً للحقيقة، فهو قاضي الأرواح بعد الموت .

ومن العقائد الفارسية عقيدة أتباعها قليلون، ويطلق عليهم (النازوريون) وهم متواجدون جنوب العراق بجوار إيران، ويصفون المطلق بأنه الكائن الأعظم الذي لا شكل له، ويلقبونه بملك النور وسيد العظمة. وهو يقاتل ضد مملكة الظلام. وقد تم خلق العالم عن طريق فيوض صدرت عن ملك النور .

ومن العقائد أيضاً عقيدة المانديين التي تختلط بالفلسفة، فيرى أتباعها أن الروح شعاع من النور سجين المادة، منذ بداية الخلق. وعلى حين أن البدن خلقته الكواكب فإن الحياة والتنفس جاءا من عالم النور، غير أن الروح لا تتخلص من أسر البدن عن طريق خضوع هذا الأخير وإذعانه. ويرون أن الكواكب والنجوم هي التي تعرقل تحرر النفس .

ويدعي أتباع الماندية أنهم من سلالة يوحنا المعمدان، ويعتقدون أن أسلافهم فروا إلى بارثيا شمال إيران عندما سقطت القدس بيد المسيحية الرومانية. ومن الطبيعي أن نلاحظ هنا أنهم نسبوا أنفسهم ليوحنا المعمدان الذي هو يحيى عليه السلام. ومعروف لدى العقائد المسيحية والإسلامية والوثنية الرومانية أن يحيى قتله اليهود بالتعاون مع الرومان الوثنيين وهو شاب لم يُنجب. ثم هناك ملاحظة هامة وهي أنهم يدعون انتسابهم إلى سكان (القدس). وبمعنى آخر فإنهم من بقايا اليهود الذين سبوا إلى العراق أو أنهم من بقايا سكان القدس الذين سُبوا إما أيام العصر البابلي أو أيام الامتداد الفارسي ق.م .

ولعل المانوية من العقائد التي انتشرت بشكل قوي في فارس وامتدت إلى آسيا عن طريق الهند وقد وجد ماني أيام الحكم الساساني الفارسي. وادعى أنه جاء ليتمم عقيدة زرادشت وبوذا والمسيح. ومعروف أن ماني ولد عام 216م أي بعد ميلاد المسيح.

أما بالنسبة للإله في عقيدة ماني، فقد وحد هذا الداعي آلهته بوصفه رسول النور مع آلهة المستمعين له، فهو اليسوع في أتباع اليسوعية وهو الإنسان الأول أهورامزدا عندما يخاطب أتباع الزرادشتية. وقد كان ماني يكره آلهة العهد القديم والله في نظره أب العظمة ولكن هناك من يعارضه وهو إله الظلام. والإثنان عنصران أوليان. والعالم مخلوق من أجساد حكام الظلام. والموت هو عدو والملفت للنظر أن ماني حرّم الأوثان، لكنه كان يؤمن بالقيمة التربوية للفن. وقد طور الكهنة المانوية كما طوروا الزرادشتية. فقد فرض على أتباع المانوية العشر في أموالهم، والصلوات الأربع في اليوم والليلة، والدعاء إلى الحق. وترك الكذب والقتل والسرقة والزنا، والبخل والسحر وعبادة الأوثان .

ويعتقد أتباع المانوية أن أول من بعث الله تعالى بالعلم والحكمة آدم أبا البشر ثم بعث شيثا ثم نوحا بعده، ثم إبراهيم عليه السلام ثم بعث (بالبدارة) إلى أرض الهند. وزرادشت إلى أرض فارس. والمسيح كلمة الله وروحه إلى أرض الروم والمغرب وبولس بعد المسيح إليهم .

وما يزال اتباع المانوية موجودين في بعض أجزاء الهند وتايلاند. وقد احتفل بعيد مولد ماني في تايلاند في السادس عشر من الشهر التاسع أيلول، من العام 1997. وقد نقلت محطات التلفزة أخبار هذا العيد .

وأغرب العقائد في بلاد فارس العقيدة المزدكية. فهي لا تختلف من حيث إيمان أتباعها بإلهين، إله النور وإله الظلام (ولكن مزدك نهى عن المباغضة والقتال، ولما كان ذلك يقع بسبب النساء والأموال، فقد أحل ماني النساء وأباح

الأموال وجعل الناس شركاء فيها ومذهبه في الأصول والأركان ثلاثة. الماء. والأرض. والنار. ولما اختلطت، حدث عنها مدبر الخير ومدبر الشر. فما كان من صفوها، فهو مدبر الخير، وما كان من كدرها فهو مدبر الشر(1).

وترى المزدكية. أن الله قاعد على كرسيه في العالم الأعلى على هيئة قعود (خسرو) في العالم السفلي. وبين يديه أربع قوى. قوة التمييز، والفهم، والحفظ، والسرور. ومن بين العقائد الفارسية العقيدة الديصانية. وهي في جوهرها لا تختلف عن الزرداشتية والمانوية. وقد تفلسف أتباعها في المقارنة بين النور والظلام. وأدخلوا في معتقداتهم أساطير عن الخلق والصراع بين إلهي الخير والشر.

مفاهيم الألوهية في العقائد الهندية والصينية واليابانية

تعتبر الهند فسيفساء العقائد والديانات. فهي لكبر مساحتها، وتنوع الأجناس والعروق فيها. وبسبب موقعها الجغرافي تأثرت وأثرت، خاصة في العقائد والمعتقدات ويجمع الباحثون وعلماء الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) أن الهند من أقدم الحضارات في العالم، وشعوبها من أقدم شعوب العالم. وقد حصر العلماء أكثر من ستين عقيدة وديانة في شبه القارة الهندية. غير أن بعض الديانات سيطرت بشكل واسع، وانتشرت حتى خارج الهند نفسها، لما حوته من تعاليم معقدة وواسعة، ولما لها من تميز على غيرها. ومن أشهر ديانات الهند الديانة الهندوكية البراهمية، والديانة البوذية، والإسلام، والجانتية، والسيخية. وباعتبار أن المسلمين ينتمون إلى عقيدة عالمية لها ارتباط بالقرآن الكريم فلن نتحدث عنها. وسنحاول إلقاء الضوء على مفهوم الإله في البراهمية والبوذية والجانتية والسيخ على اعتبار أن هذه هي العقائد القديمة والمستمرة في

---

(1) الشهرستاني. الملل والنحل. ج 1 ص249. دار المعرفة بيروت ط2 1975.

الهند. ففي البراهمية تتجلى صفات الخالق من خلال نصوص (اليوبانشاد) وبعض الكتب القديمة وفي أحد هذه النصوص يقول براهما: (أنا أقوى من السماء واعظم من الأرض، وأرفع من كل هذه الأجرام، والكواكب حولي. أنا أعلى من جميع هذه الأشياء، أنا الكل في الكل، أفعل ما أريد وأخلق كل ما يخطر لي، أنا جوهر هذا العالم الواحد الشامل، لست بالذكر ولا بالأنثى. إنما أنا روح غير مشخَّص في صفاته، أحتوي كل شيء وأكمن في كل شيء. لا تدركني الحواس لأني أنا حقيقة الحقيقة أنا براهما.)(1).

وتقول كتب العقيدة البراهمية: إن براهما خلق جسما عملاقا، وشقّه نصفين، نصف لرجل ونصف لامرأة. وعلى اعتبار أن العقيدة البراهمية اعتمدت تقسيم الناس إلى طبقات، فرأت أن أي إنسان خيِّر، سينتقل بعد موته، إلى الطبقة الأعلى من طبقته، وإذا كان شريرا، فسينتقل إلى طبقة دون طبقته بعد موته وهذا هو مبدأ التناسخ في العقيدة البراهمية. وترى هذه العقيدة، أن الروح الخيرة تصل أخيرا إلى روح براهما، لتتحد معها. وهذا ما يسمى بالهندوسية بالنيرفانا.

غير أن تطور العقيدة الهندوسية، يدل على ابتداع هذه الديانة صورا أخرى للإله براهما. وقد أضفى اتباعه عليه صورا ثلاثية الأوجه في إله واحد. وهذا الإله ثلاثة في واحد، يسيطرون على الكون. وهم براهما الخالق، وفشنو الحافظ، وسيفا المدمر. وبراهما سيد الجميع، وهو القوة الخالقة للطبيعة. أما فشنو فهو إله الحب، ويساعد البشر في شفائهم من الأمراض. أما شيفا فعبادته من أقدم وأبشع العناصر التي تتألف منها العقيدة الهندوكية. وهو إله القسوة.

---

(1) اسماعيل مظهر: قصة الديانات ص 68 .

ويرى الكثير من الباحثين في عقائد الشعوب، أن الهندوسية جاءت قبل بروز المسيحية بحوالي ألف سنة. وقد بلغت أعداد المعبودات في هذه العقيدة حدا قد يصعب حصره. فالإله فشنو أو سيفا أو الإلهة شاكتي، لها تجسيداتها وخدامها من آلهة صغار أو آلهة أبناء للإله الأكبر وزوجته. ومن هذه الآلهة درجا وسكاندا وجانيشا. ويرى هؤلاء الباحثون أن الريج ـ فيدا ـ Rig-vida ـ هي عبارة عن مجموعة تراتيل دينية براهمية، وهي أقدم وثيقة دينية مكتوبة في العالم. وهذا ما ينفي كون التوراة أقدم كتاب ديني دوّن في التاريخ. لأن الفيدا ذات تعاليم قديمة جداً، وهي أسبق من أتباعها بزمن طويل.

وقد وجدت لهذه العقيدة آلهة فرعية كثيرة، أو تحولت شخصية بعض الآلهة إلى آلهة أخرى. فإله السماء ينقلب إلى الإله إندرا، وهو إله الحرب وملك الآلهة، وهو يركب السماء على رأس جيشه من (الماروث) وهم آلهة العاصفة الأقل شأناً، وهو هنا يرتبط بالبرق بصفة خاصة. سلاحه الذي مزق بطن التنين ـ فريترا ـ عندما أعتق هطول المطر الذي يبعث الحياة.)(1).

إن هذه الصفات تذكرنا بالإله الكنعاني ـ بعل ـ إله البرق والعواصف. وتذكرنا أيضا بالإله التوراتي الذي قتل التنين ـ لوياثان ـ وبالإله مردوك، الذي قتل تعامت من اجل إنشاء الحياة، وبعث المطر وإخصاب الأرض.

ولدى البراهمة آلهة للشمس، وهي كثيرة منها ـ سريبا وهي تقود عربة نارية بعجلة واحدة تجرها سبعة جياد. وهذا يذكرنا بعربة آلهة الشمس عند المصريين. ولديهم أيضا الإله آجني وهو إله النار. وهو الذي يحمل القرابين المحترقة إلى الآلهة. ومن الآلهة أيضا الإله ـ فارونا ـ والإله مترا والإله ياما والإله رودرا.

---

(1) نقلا عن احمد شبلي. مقارنة الأديان. أديان الهند الكبرى ص 37.

ونلاحظ أن الهندوسية تعج بالآلهة، وينسبونها جميعا إلى الإله الأكبر براهما. وقد جسد الهندوس جميع هذه الآلهة بأصنام تمثلها.

والواقع أن العقيدة الهندوسية تتنوع وتتفرع. ويرى الباحثون أنها خليط من العقائد. تبدأ من عبادة الحشرات وبعض الحيوانات كالبقرة والثعبان وتنتهي عند براهما.

وتدخل الأسطورة في العقيدة البراهمية بشكل أساسي. فتتوزع الآلهة حسب المناطق، وحسب الأعمال، التي تناط بهذه الآلهة. فلكل منطقة إله ولكل عمل أو ظاهرة إله(1). وتأتي العقيدة البوذية لتصحح كثيرا من تعاليم الهندوسية. وقد ظهرت البوذية في القرن السادس قبل الميلاد. ويرى الباحثون أن بوذا لم يطرح في فلسفته نظرية محددة عن الله. حتى بدا أحيانا أن بوذا اتجه لنكران الله مما أدى إلى نكران براهمة عصره له واتهامه بالإلحاد والكفر.

والأيمان بإله إتجاهٌ نفسي قوي لا يقل عن قوة الغرائز في البشر. وإهمال هذا الاتجاه يحدث ارتباكا واضطرابا. من أجل هذا نجد أتباع بوذا من بعده يفكرون في الإله، ويعملون للوصول إليه أو التعرف عليه. ولما كان بوذا قد ترك هذا المجال خاليا، فقد لعبت بهم الأهواء، فاتجه بعضهم إلى الاعتقاد، أن بوذا ليس إنسانا محضا بل إن روح الله قد حلت فيه. وهذه العقيدة تشبه عقيدة الحلول التي يعتنقها بعض المسيحيين ويعتقدونها في السيد المسيح عليه السلام(2).

والواضح أن تطور العقيدة البوذية، لم يعفها من الاندماج بالهندوسية، لاسيما في الهند. فبوذا تصنع له التماثيل الضخمة بالمئات. وهذا يعني أن البوذية انقلبت من تعاليم فلسفية وأخلاقية إلى عقيدة وثنية.

---

(1) نقلا عن احمد شلبي. مقارنة الأديان. أديان الهند الكبرى. ص 38.

(2) احمد شلبي: أديان الهند الكبرى ص 172.

وانقسمت البوذية إلى فرق، تختلف في نظرتها للذات الإلهية. ومن هذه الفرق فرقة تقول: بوحدانية الله. وأخرى تقول أن الله أودع الأرواح التي أرسلها بالخير والشر. وفرقة ثالثة ترى أن الله يفرغ الكلمات الإنسانية في كل زمان على إنسان يتجرد لعبادته، ويبتعد عن إرضاء الشهوات الحيوانية. وتقول فرقة رابعة بأن الله يحل في أية صورة يختارها من صور أفراد الإنسان، حلول تطهير وتكميل، لاحلول استقرار. وكل الفرق تتفق على التناسخ وارتباطه بما يسمى - الكارما - .

أما فيما يتعلق بالإله نجد الفكر الهندي يتراوح بين التعدد والإنكار والإهمال، والعجيب أن موقف الجينيين والبوذيين من الاعتراف بالإله كان رد فعل لتصرف طبقة البراهما، واستبدادهم. فخاف البوذيون والجينيون أن تتكون عندهم طبقة لاهوتية كالبراهمة إن قالوا بالإله، فأنكروه أو أهملوا الكلام عنه لهذا الغرض⁽¹⁾.

وقد انتشرت عقيدة جديدة في الهند، هي عقيدة السيخ التي تعتبر خليطا من العقائد الهندية الكبرى بما فيها الإسلام. ولديهم أهم مصطلح هو (تذكر اسم الله) (نام ساميران) ويعنون به النحو نحو الله والنحو في الله .

وهي عملية متدرجة شبهها معلمهم (نانك) بسلسلة من المراحل الصاعدة، وخامس هذه المراحل وآخرها هي المسماة: عالم الحقيقة. وهي الإتمام النهائي، أو الإنجاز الأخير حيث تجد الروح اتحادها الصوفي بالله. وفي هذا الوضع الذي تشعر فيه بسعادة لا يمكن وصفها تتنسخ أغلال التناسخ. وتبلغ الروح مرحلة الانعتاق المطلق باندماجها في الله)⁽²⁾.

---

(1) أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى ص 201.

(2) جفري بارندر المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص 250 سبق ذكره.

وتعتبر الصين من أقدم الحضارات التي وجد فيها الإنسان. وقد تشعبت عقائدها بقدر مساحتها وعمق حضارتها. وتطورت هذه العقائد عبر التاريخ.

عبد الصينيون القدماء مظاهر الطبيعة خوفا منها. فعبدوا الريح والرعد والأشجار والجبال، وآمنوا بأن لكل من هذه المقدسات روحا يجب أن تعبد.

ومع تطور عقائدهم آمنوا بوجود حاكم أعلى واحد، فوق كل الأديان، وفوق كل الناس يدعى ـ شانج تي ـ وهو القوة العليا المسيطرة على العالم. وقالوا إنه عادل لدرجة أنه مهما صلى له الأشقياء فلن يقبل العفو عنهم. غير أنهم اعتقدوا أن هناك إلها هو سيد كل الآلهة إله اسمه ـ تيان ـ أي إله السماء، وهو بنظرهم رب الأرباب الذي يأتي بالمطر والريح والرعد، وهو موجود في السماء.

ومنذ عام 2500 يظهر الحكيم كونفوشيوس أي قبل الميلاد ب 550 عاما تقريبا. ركز جل اهتمامه على الحكمة والمعاملات الخلقية بين الناس. وقد اعتبر بعض الباحثين مذهبه ليس عقيدة، أو دينا، باعتبار أنه لم يتحدث عن الإله. إنما قصر كلامه على الحياة وفلسفتها. واعتبرها بعضهم مذهبا إنسانيا. بمعنى أنه أول إنساني ظهر في العالم. وأساس تعاليمه ألاّ يعتمد الإنسان على أي كائن علوي أو أية قوة غير منظورة. يطلب منها العون، والتوفيق في حياته.

إلا أن عقائد بعض الصينيين لم تكن عقائد حكيمة، ولم يظهر فيها أي اثر للمعبود الإله. بل راحوا يؤمنون بالشياطين والمردة والجن، ومصاصي الدماء والغيلان، وكل أرواح الشر، حتى أنهم لحقوا أتباع الكونفوشوسية، فقال بعض حكمائهم: لا حاجة بالناس أن يشغلوا أنفسهم بالله في سمائه أو بالحياة الأخرى. وتسمى هذه العقيدة بالداوية. أتباع الحكيم ـ لاوتسي ـ الذي أصبح لدى الداوية مع مرور الزمن إلها يعبدونه. وأحاطوه بالأساطير. فقالوا إن أمه ولدته ولادة سماوية. ويقولون حسب أسطورتهم، إنه مكث ثمانين عاما في بطن أمه.

والمطّلع على عقائد الصينيين، يجد أن الطبيعة هي الأساس الأول في عقائدهم. ثم يأتي في المقام الثاني الحكمة والفلسفة والعلم. وبشكل عام لا نجد للإله صدى في عقائدهم، كما في الهند. ومن الملاحظ أن البوذية كعقيدة، دخلت الصين واتبعها الكثيرون من أبناء الصين الذين كانوا يتبعون الداوية والكونفوشيوسية.

وإذا رحنا نتفحّصُ طبيعة المعبود في العقائد اليابانية وجدنا اليابانيين آمنوا أولا بأن السماء هي أساس الوجود. وأهم عقائدهم عقيدة الشنتو المستندة على عقائد الأديان بكل أشكالها الخيرة والشريرة.

وعبادة الأسلاف أساس في هذه العقيدة. ويعتبرون أن هؤلاء آلهة أسسوا الدولة، وأقاموا بناءها. ولذلك نراهم يعبدون الإمبراطور ـ الميكادو ـ إذ أنهم يرونه ليس بشرا، بل له سمات الإله. وهو أقرب للشمس والقمر وجبل فوجي المقدس. وهو كائن لابدّ أن يعبد.

وترى العقيدة اليابانية أنه في البداية كانت الآلهة، وكانت تلد ذكرا وأنثى ثم تموت حتى حدث في النهاية، أن أصدر شيوخ الآلهة أمرهم إلى إلهين شابين هما (إيزاناجي) و(إيزانامي). بأن يخلقا الأرض ويقيما عليها الحياة. وتقول الأسطورة الشنتية إن إيزانامي أنجبت بنتا. أما تيراسو وهي ربة الشمس قد أمرها أبوها أن تسير إلى السماء، ثم تعطي نورها للأرض والبشر. ثم أنجبا إلها جديداً إسمه (تسوكي يومي) وهو إله القمر، الذي أرسله أبواه على قوس قزح، ليستقر هو أيضا في السماء ثم أنجبا إلها للعواصف وإلها للنار، وجرى صراع بين الآلهة والأبناء، وانتهى الصراع بانتصار آلهة الشمس.

ويعتقد اليابانيون أن الإمبراطور هو حفيد آلهة الشمس (أماتيراسو) ولذلك يجب حبه وطاعته، والانتحار لأجله إذا ما حاول أحد المساس به.

وإذا تأملنا عقيدة الشنتو، وطبيعة الآلهة فيها، وجدنا اقترابها من عقيدة السومريين والبابليين خاصة بتعدد الآلهة والصراع الذي دار بينهم وانتصار أحدها على الجميع، ولهذا فإن اليابان تختلف في فهمها لطبيعة الآلهة عن الصين، التي ركزت عقائدها مع عبادة الطبيعة وحب الحكمة والعلم.

وقد دخلت عقيدة البوذية إلى اليابان، كما دخلت الكونفوشوسية. وأصبحت عقائد اليابان، خليطا من هذه العقائد، على الرغم من أن احترام العقيدة الأساسية ظل قويا عندهم.

بين عقائد الشعوب والرسالات

يطلق المسلمون وباحثو عقائد المنطقة العربية، إسم الرسالات السماوية على العقيدة اليهودية، والعقيدة المسيحية، والعقيدة الإسلامية، على اعتبار أن أنبياء هذه الرسالات، بلغوا الدعوة من قبل رب العالمين عن طريق الوحي.

وقد أصبحت التسمية علما على مسمى، للتمييز بينها وبين عقائد الشعوب الوثنية والشعوب الأخرى البعيدة عن الحوض العربي.

وقد امتازت العقائد السماوية بالدعوة إلى التوحيد، وعدم الإشراك بالله، وامتازت أيضا بأنها استندت على رسالة سماوية، أي كتاب مقدس هي التوراة الأصلية التي نزلت على موسى عليه السلام، والإنجيل كما نزل على عيسى عليه السلام، والقرآن الكريم الذي نزل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والواقع أن هناك إشارات واضحة لبعض الكتب الأخرى والصحف التي نزلت على أنبياء التوحيد في المنطقة. فقد أنزل الزبور على داود عليه السلام، وأشار القرآن الكريم إلى صحف أنزلت على النبي إبراهيم عليه السلام.

غير أن كافة المصادر الإسلامية وغيرها، لم تُشر إلى أن الزبور كتاب تشريع كما التوراة أو القرآن الكريم .

والواقع أن التوراة التي بين أيدينا اليوم تضم ما يسمى بالمزامير. وتنسب في غالبيتها لداود عليه السلام. وهي كما هي عبارة عن أدعية، وتعبير عن أحداث ومواقف جرت مع النبي داود عليه السلام، ويجمع الكثيرون على أن هذه المزامير هي ما يسمى بالزبور. وليس هناك أي مصدر آخر لهذا الزبور أو لهذه المزامير سوى التوراة التي بين أيدينا.

وتاريخياً فقد سبق النبي موسى عليه السلام، نزول الإنجيل والقرآن الكريم.

والواقع أن جوهر العقائد الثلاث هي التوحيد، والإيمان بالله المجرد المنزه، والمطلق أما ما جرى من تحريف للتوراة، فهو لاحق على نزوله المبدئي الأولي الذي تلقاه موسى عليه السلام. وهذا التحريف، هو الذي لحق نزوع بني إسرائيل لعبادة الآلهة الوثنية التي كانت لدى شعوب المنطقة آنذاك .

وإذا ما قارنا بين عقائد الأمم والشعوب، وبين الرسالات السماوية، وجدنا أنه لا بد من القول: إن الإنسان بفطرته ينزع إلى المعبود. الأعلى والأكمل. ولكن مسار العقل البشري يدلنا على تنوع في التصور لهذا المعبود. وطبيعة العلاقة به، ومن ثم لا ننكر أن هذا النزوع إلى الأكمل، خالطه حب معين لتجسيد المعبود، واستحضاره أمام العين بأشكال وثنية، أو رسوم أو رموز موحية للإله .

على أن ذلك التطور أو الانحراف، لا يلغي أن السماء هي الأساس في العقيدة. ولو حاولنا تبسيط الموضوع أكثر، نرى أن الإنسان العاقل الأول ـ آدم ـ أختاره الله ليكون أول نبي موعود على الأرض. وبغض النظر عن وجود نظريات عدة ترفض كون آدم أول مخلوق بشري ـ إنسان ـ إلا أن آدم جسّد الإنسان

العاقل المفكر. ولهذا كانت الحكمة الإلهية في اختياره ليكون نبيا، وأول نبي يدعو إلى عقيدة التوحيد. لقد كانت صلة آدم العاقل بالسماء أولا، وليس بالأرض. وتلقى التعاليم التوحيدية من خالقه، إما عن طريق الوحي أو أي طريق إلهي آخر .

يقول تعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ «البقرة 37»

وهذا ما كان من شأن أول إنسان عاقل أو من شأن أول نبي على وجه الأرض. إذا فالبداية كانت السماء. والبداية كانت بالتوحيد .

ولعلنا ونحن نتعرف على عقائد الشعوب ودياناتهم، نجد أن الأساس في كافة العقائد، هو الشعور بالحاجة إلى قوى عظمى. وهكذا يجب أن تكون هذه القوى حتى تصبح معبودات، والطبيعة البشرية نزاعة دوما إلى إقامة علاقة ما، بينها وبين قوى خارقة ليست فيها صفات البشرية. إنما فيها صفات خرق الناموس البشري الأرضي المتعارف عليه. ولكن الواقع يقول لنا: إن التجسيد لهذا المعبود نشأ أيضا من حاجة هذا الإنسان ليرى معبوده، لتكن الصلة صلة مشاهدة محسوسة وليست صلة وعي داخلي فحسب، وهذا ما نجده في عقائد البوذيين والبراهميين وحتى الوثنيين العرب وغيرهم من أصحاب العقائد الأخرى. يقول الدكتور محمد جمال جعفر: (فالعقيدة في إله أو قوة فاعلة مؤثرة تتعالى وتسمو على الكون والطبيعة، جزء حيوي يشكل الأساس لكل دين على وجه الأرض، سواء أكان في حالة بدائية أو في حالة متطورة)⁽¹⁾.

ويقول أيضا: فلا يعقل مثلا أن ينحت إنسان حجرا، أو يصنع شيئا بيده، ثم يعتقد في نفس الوقت أن هذا الحجر، وهذا المصنوع يعلوه ويحكمه

---

(1) محمد كمال جعفر. الإنسان والأديان ص33.

ويخضعه ويدبر أمره ويسير حياته، ويفرض عليه عبادته، لأن صفات الحجر من البداهة والعفوية ما ينفي ذلك[1] على أي حال فإن الديانات السماوية - أي الديانات التي مصدرها الأساسي السماء - نادت بالتوحيد والتجريد. على عكس العقائد الأخرى التي جعلت للإله عدة وجوه، إضافة إلى أنها جسمت المعبود، ورمزت له بصور على الغالب هي صور آدمية، وأحيانا بصور حيوانية مثل بوذا وبراهما وبعل ومردوخ. ومثال الصقر والأفعى والتمساح وما إلى ذلك.

وعلى الرغم من أن اليهودية في أساسها سماوية، وعلى الرغم من أن موسى عليه السلام تلقى تعاليم العقيدة من الله سبحانه، وأوضح لليهود طبيعة الله الفرد المنزه وغير المجسم، إلا أن أتباع هذه العقيدة لم يصلوا بوعيهم إلى القناعة بهذه الوحدانية وهذا التنزيه .

(ولكنهم أظهروا بلا شك عدم قناعتهم بعبادة من لا يرون ولا يلمسون. ولذا تراهم يسألون موسى كما يقول القرآن الكريم. وكما تتحدث التوراة أن يريهم الله جهرة فلما ردعهم موسى عن ذلك، رجوه أن يجعل لهم إلهاً يماثل آلهة القبائل التي كانوا يمرون بها. وهي بالطبع تماثيل تحاكي الإنسان حينا وتحاكي الحيوان أحياناً)[2].

ونعود لما قلناه لنرى أن بعض التقاطعات، قد تحدُثُ بين رسالة سماوية وبين ديانات غير سماوية. فنرى مثلاً أن أحد أوجه المعبود في العقائد غير السماوية قوة الخلق. أي أن هذا المعبود هو خالق بدأ الكون منه. فهو الذي خلق الكون والإنسان والحيوان وما إلى ذلك. وقد نرى أيضا تقاطعا في بعض التعاليم، كالدعوة للخير والمحبة والتفكير، وبناء الإنسان من داخله بناء مستقيما.

---

(1) محمد كمال جعفر. الإنسان والأديان. ص 26.

(2) محمد كمال جعفر. الإنسان والأديان ص 28 سبق ذكره.

ولكن الاختلاف الجوهري في مسألة التعدد والتجسيم. فالرسالات السماوية، لا تعدد ولا تجسم في جوهرها. فالله عند اليهود يرتبط بالجوهر كما يقول هيغل، والله مجرد (وهذا التجريد أو انعدام التمايز، يعني أن هذه الشخصية عبارة عن واحد لا ينقسم. ومن ثم فالله واحد. لكنه ليس الواحد اللاشخصي الهندي. وهو وحده الحقيقة المستقلة، إن على الإنسان أن يمجد الله وأن يعرف قدر نفسه وعدميتها. وما دام الوعي المتناهي لا يستطيع أن يصمد أمام الله فليس له الحق في الوجود وإنما وجوده بفضل من الله ومنه.. ولهذه الأسباب كلها نجد أن موقف الإنسان تجاه الله بالضرورة موقف الخوف والخشية)(1). ولا بد من الإشارة أيضا إلى أن تطور مفهوم المعبود عند بعض الفئات الدينية، لم ينبع من الخوف والخشية .. إنما ينبع من المحبة والاحترام للذات الإلهية.

وقد تندمج المحبة بالخشية، ويندمج الجلال والاحترام، لتشكل جميعها نظرة تكاملية لدى الإنسان تجاه المعبود. فالمعبود يستحق المحبة لأنه رحيم بعباده. ويستحق الخشية لأنه العظمة المطلقة. ويستحق الاحترام، لأنه الخالق الواهب العادل. ويستحق الجلال لأنه غير المحدود، وغير المتناهي والخالق كل شيء من غير شيء.

وطبيعي أن هذه الصفات، تنحصر حتما بالإله الذي تعارفت عليه العقائد السماوية في جوهرها. أما كيف فهم اتباع اليهودية طبيعة هذا الإله فذلك ليس مرده جوهر العقيدة. إنما هو عائد إلى طبيعة الوعي والفهم لدى اتباع هذه العقيدة.

---

(1) ولتر ستيس. فلسفة هيغل. فلسفة الروح. ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام ص 192 ـ 193 .7

الفصل الثاني

العقيدة اليهودية ورحلة التصور اليهودي للإله

العقيدة اليهودية وعنصرية الدين

كيف يمكن أن يوصف الدين بأنه دين عالمي أو أنه دين عنصري إقليمي؟

لقد رأينا في كثير من عقائد الشعوب ـ خاصة ـ العقائد البوذية والبراهمية أنها انتقلت من بلد إلى آخر، وشكل معتنقوها أكثرية أحياناً في بعض البلدان .

فانتقال عقيدة من موطنها الأصلي إلى أقطار أخرى، يعني أن أفكارها شكلت قبولاً لدى أكثر من مجموعة بشرية، بما فيها من تعاليم فكرية، ومعاملات إنسانية يرتضيها البشر عن قناعة، وبسب وجود طموحاتهم النفسية والفكرية فيها. وبمعنى آخر بسبب كون هذه العقيدة حققت لهم نوازعهم على شتى مناحيها .

لقد وجدنا البوذية تنتقل من الهند إلى كثير من بلدان جنوب شرق آسيا وشرقها مثل فيتنام وكوريا وتايلاند وسيريلانكا وبورما وحتى اليابان والصين .

و الواقع أن هذه المناطق انسجمت مع ما طرحه بوذا والبوذية من أفكار أخلاقية، وسلوكيات اجتماعية متميزة، لم يكن التركيز فيها على أهمية الخالق، وعلاقته بالإنسان بقدر ما ركزت على الجانب الأخلاقي والمسلكي الاجتماعي

و ليس غريباً هذا الانتشار لعقيدة مثل البوذية. فالظروف الفكرية، والحياة الاجتماعية، ساهمت بشكل واضح في انتشارها. فكانت ردة فعل على ما آلت إليه العقائد السابقة بين تلك الشعوب، وما آل إليه التعسف البشري ضد الإنسان. وخاصة الطبقات الفقيرة المضطهدة.

لقد تجاوزت البوذية حدود منشئها، وبلدها الأصلي ولكنها لم تنتشر بشكل عالمي. فهي تتجمع في منطقة إقليمية واضحة. لم تستطع مثلاً الوصول إلى أفريقيا، فلا نجد مثلاً بوذياً واحداً اعتنق البوذية في الوطن العربي وآسيا الغربية وأفريقيا. على الرغم من أن كل الدراسات تشير إلى أن بداية البوذية كانت قبل المسيح ب 600 عام وقد صنف العلماء البوذية على أنها عقيدة وضعية ليس للسماء علاقة بها. وهم حين يدرسون تعاليم بوذا يجدون فيها نوعاً من الأخلاقية والفكر، لا تنحصر لشعب دون شعب. وكانت تعاليمها مطروحة للإنسان أي إنسان. دون تمييز بين الناس، بل يرون فيها تمرداً على تعاليم الهندوسية الداعية إلى وجود نظام للطبقات، والتمييز بين البشر وعلى الرغم من ذلك كله، فإن عشرات الملايين يعتنقون البوذية دون أي استناد على إقليمية العقيدة أو انحصارها أو ادعاء أحد بأنه وحده صاحب الحق باعتناقها .

و نستطيع القول: إن البوذية ليست عقيدة عالمية. ولكنها أيضاً ليست عقيدة ضيقة محدودة أو عنصرية. فهي تجاوزت منشأها واعتنقها مئات الملايين من البشر .و لا شك أن حديثنا عن عالمية الدين أو إقليميته ينطبق إلى حد ما على العقائد السماوية وغيرها من العقائد. ولكن هذه العقائد ارتبطت بالسماء كما قلنا. ومن الطبيعي إذا ما دققنا النظر في المسيحية والإسلام، وجدنا أنهما انتشرتا في كافة أنحاء العالم وقلما تجد بلداً يخلو منهما حتى أقصى جنوب شرق آسيا أو حتى أمريكا شمالها وجنوبها .

ولا شك أن الدعوة للعقيدة كان لها الدور في الانتشار. وبغض النظر عن أساليب الدعوة والتبشير والتنصير وطرقها المختلفة والمتعارضة أحيانا مع حقيقتها. رغم ذلك كله فإن المسيحية والإسلام عقيدتان عالميتان يعتنقهما مئات الملايين من البشر المنتشرين في كافة أنحاء الأرض.

وفي هذا الإطار لا بد أن نذكر أن المسيحية والإسلام ترحبان بكل إنسان يعتنقهما مهما كان جنسه ولونه، ولم تحصرا الدين في قومية واحدة أو شعب واحد، إنما انفتحتا على كل الناس دون أي اعتبار للعرق أو اللون أو الجنس .

وعلى الرغم من أن اليهودية بدأت كدعوة منذ أن أنزلت التوراة الحقيقية على موسى عليه السلام، إلا أن أتباع هذه العقيدة يقلون ويقلون أمام البوذية مثلا. على الرغم من أن اليهودية رسالة سماوية في منشئها وأصلها، والبوذية عقيدة وضعية ليس لها علاقة بالسماء.

والواقع أن التعاليم التي دونها أتباع اليهودية، تظهر جانبا من جوانب عدم الانتشار، فحسب التوراة المدوَّنة، يعتقد اليهود أنهم شعب الله المختار، انتقل من صفوة البشر إلى الصفوة الصفوة. فلذلك لا يرضى المؤمنون بهذا الاختيار أن يدخل اليهودية أي من الناس. وبلغ اعتقادهم بسمو عنصرهم أنهم يترفعون عن الأجناس البشرية الأخرى. ولا يندمجون فيها. بل إنهم ينكرون المساواة مع الذين يشتركون معهم في النسب إلى النبي إبراهيم عليه السلام.

(ومن أجل ذلك لم يسعوا إلى التبشير بدينهم، وأنِفوا من اشتراك غيرهم في شرف الانتساب إلى إبراهيم وحصروا هذا الشرف في نسل يعقوب وحده،

واعتبروا باقي البشر همجا أو شبه أنعام (غوييم) خلقهم الله لخدمتهم وليكونوا تحت إمرتهم)(1)

وعلى الرغم من عدم قبول اليهود غيرهم في عقيدتهم فإن ظروفا معينة ساهمت في اعتناق عدد من أفراد الشعوب عقيدة اليهودية، فوجدناها انتشرت في أجزاء من اليمن نكاية بالدولة الرومانية المسيحية والإمبراطورية الحبشية. وذلك في عهد ذي نواس، وكذلك فقد هودت عناصر آرية بسبب ظروف خاصة كتهوّد الصقالبة والجرمانيين وسكان سواحل بحر البلطيق إضافة للخزريين، الذين شكلوا النواة الحقيقية ليهود شرق أوروبا. وقد اعتبرت الصهيونية كل من يؤمن بأفكارها، هو من الشعب المختار ولكن وللحقيقة نرى الآن انكفاء اليهودية على نفسها لما فيها من تعاليم تنافي الحس الإنساني العالمي. وانكفأ اتباعها. وظل أعداد معتنقيها لا يتجاوز العشرين مليونا في العالم. وعلى مر التاريخ لم يكن اليهود منفتحين على الآخرين، ولاسيما منذ تشتتهم زمن الرومان أي قبل حوالي ألفي عام. وقد عرف العالم بكل مجتمعاته حارات اليهود المغلقة ـ الغيتو ـ . هذه الحارات التي انتشرت في أوروبا الشرقية بشكل خاص، وفي بعض المناطق العربية بشكل عام. وما كانت تقام هذه الحارات المغلقة، لولا نظرة اليهود إلى الآخرين. النظرة المبنية على الاختلاف في الطبيعة والماهية والاعتقاد.

قلنا: لقد بدأت اليهودية منذ نزول التوراة الحقيقية على النبي موسى عليه السلام، وحين ندقق في طبيعة النص التوراتي نرى أن كتبة التوراة يصرون على أن موسى وهارون وبقية الأنبياء الذين ورد ذكرهم في التوراة هم خاصّون لبني إسرائيل. ولم تشر التوراة إلى أي من الأنبياء الذين دعوا إلى ديانة التوحيد، من غير أبناء إسرائيل. وتظهر تعاليم أنبياء التوراة تعاليم خاصة جدا لمجموعة من البشر ولا يمكن أن يتجاوزوها.

---

(1) محمد علي علوبة. فلسطين والضمير الإنساني. كتاب الهلال ص 57

فحسب النص التوراتي يظهر نضال النبي موسى عليه السلام لأجل غاية واحدة. وهي رفع الظلم عن بني إسرائيل، والسماح لهم بالخروج من مصر. وليس هناك إشارة لدعوة، أو طلب نبوي من موسى باتباع عقيدة التوحيد ونشرها، أو قبول أي فرد من شعوب المنطقة في هذه العقيدة أو إطارها.

فنحن نعرف أن الدعوة لأي عقيدة تتخذ طريقين كبيرين، إما طريق الترغيب أو طريق الإكراه والترهيب. إما طريق الهداية والدعوة السلمية أو طريق العنف والإجبار. غير أن أتباع اليهودية وحسب النص التوراتي التاريخي لا نجدهم يدعون للعقيدة اليهودية، لا عن طريق الهداية والدعوة السلمية، ولا حتى عن طريق العنف والإرهاب. فهم لا يريدون نشر هذه العقيدة لأنها عقيدة بني إسرائيل وحدهم. هم يريدون حصرها في هذه المجموعة البشرية التي خرجت من سيناء خشنة الطباع. ويريدون إبادة كل من يجدونه في الأرض أمامهم، دون أن يأخذوا بنشر دعوتهم. ومن هنا نجد انحصار العقيدة اليهودية انحصارا شديدا على أتباع التوراة كما يتصورها الكتبة فيما بعد.

وهذا الانحصار يدلل بشكل قاطع على طبيعة النفسية التي كان عليها اليهود أيام تدوين التوراة. أي أثناء وجود اتباع اليهودية في السبي البابلي. وقد عكس مدونوها وهم يدونون الأحداث الماضية الخاصة بأجدادهم جنوحهم الشديد نحو عنصرية العقيدة وعنصرية الاتباع.

لقد ارتبطت اليهودية بشعب معين، وهي لهذا تشبه الهندوسية في أنها ديانة مغلقة أي ليست من ديانات الدعوة، وليست إلا تعبيرا طبيعيا لشعب خاص وجزءا من ثقافة اجتماعية لا تقبل الغرباء(1)

---

(1) احمد شلبي. مقارنة الأديان اليهودية. ص 186.

والذي يقرأ الأسفار كلها لا يجد فيها ما يدل على أن موسى أو بني إسرائيل كانوا مأمورين بدعوة غيرهم إلى ديانتهم. وكل ما في الأسفار منصبٌّ على كون الديانة اليهودية ديانتهم الخاصة وكون الرب ربهم الخاص⁽¹⁾.

ويقول العالم بري: لم يكن للعبرانيين تصور للعالم. ولهذا لم يصلوا إلى تصور إله غير محدود. ولقد كان عالمهم محدودا وكان إلههم محدودا كذلك⁽²⁾.

وأسفار التوراة جميعها تفصح عن هذه العنصرية التي تتميز بها هذه العقيدة اليهودية. والواقع أن الديانة المتقوقعة المنحصرة لدى اليهود، أدت إلى دمج فكرة القومية بالدين. ومنذ ولدت الصهيونية السياسية في القرن التاسع عشر وهي تعمل جاهدة على تكوين شخصية اليهودي القومية. هذه الشخصية المختارة كان لا بد لها من أرض تأخذ بها أبعادها. والأرض المختارة أيضا حددها الرب في وعوده المتكررة لأنبياء إسرائيل ومن هنا كانت اليهودية قومية. كما كانت القومية اليهودية دينية. فلا فرق عند اليهودي بين دينه وقوميته. ولا معنى لأحدهما من دون الآخر، لأن هذين المقوِّمين يكوِّنان شخصيته الدينية والدنيوية. ومخطيء من يقول: إن اليهودية دين والصهيونية أرض لا خلط بينهما. أقول مخطئ من يدعي هذا القول، لأن الدين اليهودي يتضمن جميع المبادئ الصهيونية. والصهيونية متجذِّرة في الدين اليهودي. لا وجود لحدود فاصلة بين شريعة اليهود الدينية وبين مقومات قوميتهم، لأن الشريعة اليهودية تتلخص في تمجيد عنصرهم. وتقديس عرقهم. وتبشيرهم بأنهم شعب الله المختار ووعدهم بأرض يخطط حدودها الرب .

فاليهودية هي الديانة القومية للشعب اليهودي. والصهيونية تنحصر في

---

(1) محمد عزة دروزة. بنو إسرائيل في أسفارهم جزء 1 ص 73.

(2) بري. أساطير العالم. ص 31 نقلا عن احمد شلبي. اليهودية.

تأمين أرض لهذا الشعب، أو قاعدة إقليمية لهذه القومية(1).

اليهودية. النشأة. البيئة

من المتعارف لدى كافة الدارسين، أن تدوين التوراة قد تم بشكل نهائي أيام السبي البابلي. وقليل من الباحثين لم يتعرض لمشكلة تدوين التوراة. وبشكل عام فمسألة تدوين التوراة، أصبحت من المسائل التي لا تحتاج لجدال طويل أو مناقشة دائمة. فطبيعة التوراة نفسها، طبيعة الأسفار التسعة والثلاثين تفصح عن نفسها بشكل واضح.

فأسفار موسى الخمسة. التكوين والخروج والتثنية والعدد واللاويين، اعتبرت أسفاراً أنزلت على النبي موسى عليه السلام أيام تلقي الرسالة السماوية. أما باقي الأسفار فقد ارتبطت بالأحداث التاريخية التي ارتبطت باليهود خلال حوالي سبعمائة سنة أو تزيد. وكما أوردت التوراة، فقد مات النبي موسى عليه السلام وانقطعت صلته بالسماء، وجاء سفر يشوع ليسجل حسب نص التوراة ملحمة العبور إلى أرض فلسطين. ملحمة الإبادة البشرية لشعب المنطقة الكنعانية .

ويبدأ تسلسل الأحداث ليخترق السنين، ويسجل تاريخياً ما جرى لهذه الفئة وعقيدتها من تقلبات وتغيرات وتطورات .

ولكن يبدو أن تناقضاً واضحاً يقع أكثر الباحثين فيه حول بداية اليهودية ونشأتها. فمن الباحثين من يعتبر أن جذور اليهودية بدأت منذ زمن النبي إبراهيم عليه السلام. بينما راح بعضهم يقول: إن بداياتها نشأت منذ النبي موسى عليه السلام. وآخرون يرون أن اليهودية نشأت كعقيدة بعد موسى بمائة

---

(1) جرجي كنعان. الوثيقة الصهيونية في العهد القديم. ص 154.

وخمسين عاماً. واختلفت الآراء حول ذلك، باختلاف الباحثين، واختلاف ثقافاتهم وخلفياتهم الفكرية والدينية واختلاف أهدافهم وغاياتهم .

ولو عدنا إلى نصوص التوراة ونصوص القرآن الكريم لوجدنا أن هذه العقيدة لم تكن موجودة قبل موسى. وباعتبار أن الأسفار الخمسة جاءت خاصة بالنبي موسى ومن اتّبعه. فهي في منشئها عقيدة توحيدية .

وهناك آيات قرآنية كثيرة تشير بوضوح إلى نزول التوراة على موسى وليست على غيره. ومع نزول هذا الكتاب، تبينت العقيدة اليهودية، وظهرت معالمها وآفاقها وتشريعاتها التعبدية والمعاملات فيها. وبذلك تكون اليهودية أول رسالة سماوية كبرى سبقت المسيحية والإسلام وذلك حسب قول الإنجيل والقرآن الكريم .

والتوراة التي تفصّل في الأحداث التاريخية، تعطينا مؤشرات على زمن نزول التوراة على النبي موسى. وتعطينا ملامح واضحة لزمن هذا النبي. وقد اتفق الباحثون بشكل عام على أن النبي موسى وجد حوالي 1300 ق. م تزيد قليلاً أو تنقص وهذا يعني أن المسافة الزمنية بين موسى وعيسى هي 1300 عام. أما الزمن الفاصل بين عيسى ومحمد عليه الصلاة والسلام هو على تقرير المُجمِعين والمتفقين على التواريخ هو 570 عاماً. فإذا أضفنا 570 سنة إلى 1300 سنة فإن الفارق الزمني بين اليهودية والإسلام هو حوالي 1870 عاماً على أقرب تقدير .

ويشير القرآن الكريم إلى عدة سمات تاريخية لعصر موسى والتوراة الأصلية

- موسى يلتقي بالنبي شعيب نبي مدين ويتزوج من ابنته وذلك حسب قول المفسرين .

- موسى يأمر بنشر دعوته عند فرعون. ومن خلال معطيات القرآن الكريم نجد أن فرعون مصر قد بلغ ذروته من القوة والعظمة زمن موسى .
- قوم موسى يمكثون عشرات السنين في سيناء .
- وجود أقوام محيطة بسيناء ومنهم من وُصفوا بالجبارين .
- قصة البقرة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم ودلائلها .
- الطلب من موسى أن يخاطب ربه لتنتج الأرض بعض المزروعات كالثوم والقثاء .
- سيناء وجبل حوريب .

فهذه المعطيات البيئية والتاريخية والجغرافية، تفتح للباحثين أبواباً تاريخية، يستطيع أن يقاطعها بمعطيات علم التاريخ والدراسات التاريخية كي يصل إلى عصر موسى وزمن نزول التوراة عليه.

الواضح من هذه المعطيات أن الفراعنة بلغوا شأناً عالياً في عقائدهم وقوتهم. فلديهم عبيد مسخَّرون. وبنو إسرائيل جزء من هؤلاء المسخَّرين والمستعبدين. وهذا ما دلت عليه آيات القرآن الكريم. وما دلت عليه نصوص التوراة. وما دلت عليه مخطوطات تل العمارنة والآثار المصرية الأخرى.

وإذا نظرنا إلى المحيط السكاني آنذاك وجدنا أن للفراعنة عقائد وثنية متعددة. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الأقوام التي سكنت سيناء، ومحيط الأردن، وسكان أرض كنعان، ولهذه الأقوام عقائدها. وبنو إسرائيل الذين لم ينفصلوا عن هذا المحيط، حملوا معهم عقائد الشعوب والأقوام المنتسبة لهذا المحيط. ولا شك أن الصراع بين الوحدانية والوثنية، هو صراع قائم منذ آدم عليه السلام. وشعيب الذي يلتقي بموسى عليه السلام، كان موحدا في قومه الذين رفضوه ورفضوا عقيدته التوحيدية. وعلى الجانب الآخر، كان الجبروت الفرعوني يرسّخ الوثنية والتعددية. بينما كان الشعب العربي الكنعاني، يحاول أن ينتقل

نقلة نوعية من التعددية إلى التوحيد. رغم مظاهر الوثنية لدى بعض قبائله. في هذا الجو المحيط، لم يكن لبني إسرائيل وبعض الفئات الأخرى التي آمنت بموسى وبعقيدته، أي علاقة أو اطلاع بعقائد ما بين النهرين آنذاك. ونستطيع أن نحصر في هذه الزاوية الفراعنة وعقائدهم. وبطون الشعوب الكنعانية الساكنة شمال سيناء وفلسطين، وبعض القبائل العربية التي تقطن بعض مناطق شرق الأردن كمدين وموآب وعمون.

وهذا ما يساعدنا في القول: إن نشوء اليهودية على يد موسى برز في هذه البيئة وبين هذه القبائل وهذه العقائد.

وعلى هذا التأسيس، يمكن دراسة نظرية الإنسان للعقيدة والخالق. ومن ثم يمكن دراسة المؤثرات الواقعية في العقيدة اليهودية أثناء تطورها بعد موسى. وقد تطرقنا في بداية هذا الفصل إلى عقائد كل من الكنعانيين والفراعنة والبابليين كما تطرقنا إلى عقائد شعوب أخرى كالهندوسية والبوذية وبعض عقائد الشرق الأقصى وفارس وما لها من علاقة بمفهوم الله.

ويمكن لنا ونحن ندرس نشأة اليهودية أن نسلط الضوء على عقائد الفراعنة والكنعانيين وعقائد بطون الشعوب العربية المنتشرة في شرق الأردن، وذلك أثناء بروز العقيدة اليهودية استنادا على ما قالته نصوص التوراة. وما يمنحنا إياه القرآن الكريم من إشارات حول ذلك.

تورد التوراة أن موسى عليه السلام عاش طفولته في مصر. ثم هرب منها في شبابه باتجاه سيناء. والتقى بالكاهن يثرون في مدين. ثم عاد إلى مصر، لإخراج بني إسرائيل من عذاب فرعون. وعند خروجه إلى سيناء، كانت تسكن المنطقة قبيلة عربية كنعانية. ثم في سيناء أنزلت التوراة على موسى. وعلى حدود فلسطين الجنوبية مات موسى دون أن تطأ قدمه أرض فلسطين .

و المدة التي مكث فيها بنو إسرائيل في سيناء وعلى أطراف أدوم، أبرزت عقائدهم بشكل جيد. وكانت سيناء مسرح تطور هذه العقائد. ولا سيما المرتبطة بطبيعة التصور العقيدي للإله. وحيثيات الواقع تدل بشكل كبير، على مدى ما استلبه بنو إسرائيل من عقائد الشعوب التي عاصرتهم، إنْ كان ذلك في مصر وأطرافها أو في شمال سيناء وجنوب الأردن.

الشعب المختار والإله القبلي المختار

استند المفهوم الديني لدى اليهودية على مقولة شعب الله المختار. وقد ورد هذا المستند في كثير من نصوص التوراة .

تقول التوراة: (وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وأتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً) .خروج 3/6

وفكرة الشعب المختار هي من اختراع سفر الإشتراع إضافة لما جاء في الأسفار الأولى من إشارة إلى الشعب المختار. وسفر الإشتراع، يلغي كل ما اقترفه الإنسان بحق الله (الخطيئة الأصلية التي تمرد فيها الإنسان على طاعة الله ـ مقتل هابيل على يد قابيل ـ ادِّعاء الإنسان بمساواة الله حينما شيد برج بابل... ليجئ الطوفان ويمحو كل هذه المعاصي ..الخ.

وتقول التوراة: (فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك إبنا وتدعو اسمه إسحق وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده). تكوين إصحاح 18 ـ 19.

وجاء في سفر الخروج: وأتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً. إصحاح 6 ـ 7.

وقد أسس بنو إسرائيل تصورهم العقائدي للإله على أساس أنهم شعب خاص لإله، هذا الإله اختارهم لوحدهم ليكون لهم دون غيرهم .

من هذا المنطلق نسير مع رحلة التصور الإسرائيلي لهذا الإله الخاص .

في الإصحاح الثالث من سفر الخروج يبدأ كاتب التوراة بتصوير الإله. وتطور علاقته مع بني إسرائيل. فالله عندما يتجلى لموسى عليه السلام يقول له: (أنا إله أبيك إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب) 3 ـ 6. وعندما يحاور موسى ربه يقول فإذا قالوا لي ما اسمه، فماذا أقول لهم. فقال الله لموسى أهيه الذي أهيه وقال هكذا تقول لبني إسرائيل أهيه أرسلني إليكم. وقال الله لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم أرسلني إليكم. هذا اسمي إلى الأبد) خروج 3 ـ 13 ـ 14 ـ 15.

فالحديث الحِواري القائم بين موسى وربّه يبرز ثلاث تسميات لله. الله. أهيه. يهوه، فاسم الله معروف بشكل متواتر في العقائد كلها ولا سيما الكتابية منها. ولكن إذا نظرنا إلى المصطلحين الآخرين نجد غرابة ما تكتنفهما. فأهيه. ويهوه في صيغة المضارع الحاضر أي الكائن الآن ولا يفهم من التعريفين سوى ذلك.

ويبدأ تخصص الله لبني إسرائيل منذ هذا السفر. حيث يخصهم بالنسبة. وبالإضافة، تقول التوراة: هكذا يقول الرب إله إسرائيل أطلق شعبي) خروج 5 ـ 1 وتقول: فقالا: (إله العبرانيين قد التقانا) خروج 5 ـ 3.

فالإله هو خاص هنا لبني إسرائيل. وهذا ما سيكون المحور المهم في العقيدة اليهودية فيما بعد، إذ أن الإله إله فئوي. وفي هذا الإطار يكون الإله العبراني عبارة عن تصوير بشري بحدوده وصفاته. وليس هو إلهاً مجرداً له خصوصيته المنفصلة عن التصور الضيق أو التصور الفئوي.

وقد ربط العبرانيون الإله المتصوَّر بوعد قطعه على نفسه بمنحهم أرضاً يسكنون فيها. وهذه العلاقة تجسد الطموح الذي كان عليه زعماء بني إسرائيل، وهم في الأسر البابلي أيام تدوين التوراة. ويأتي أمر الوعد في سياق خطاب النبي موسى لبني إسرائيل الذين بدأوا التمرد عليه منذ اللحظات الأولى للقائه بهم

بعد عودته من سيناء في الإصحاح الثامن من سفر الخروج يرد: (وقل له هكذا يقول الرب أطلق شعبي ليعبدني) 225

وفي الإصحاح التاسع : (وقل له هكذا يقول الرب إله العبرانيين أطلق شعبي ليعبدوني) 2 خروج

وجاء في الإصحاح 24 من الخروج (ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة...) 9

وفي سفر التثنية يرد: (الرب إلهنا كلمنا في حوريب) 1 ـ 61

ويرد: (الرب إله آبائكم يزيد عليكم) 1 ـ 12

ويرد: (كما أمرنا الرب إلهنا 1 ـ 19 ـ الذي أعطانا الرب إلهنا) 21

ويرد: (وعصيتم قول الرب إلهكم) 9 ـ 26

ويرد: (الرب إلهنا قطع معنا عهداً في حوريب) تثنية 5 ـ 2

وترد عبارة الرب إلهك أكثر من خمسين مرة في سفر التثنية وحده

وفي سفر يشوع 8: 30 (حينئذ بنى يشوع مذبحاً للرب إله إسرائيل في جبال عيبال)

وفي سفر يشوع 10: 4 (فضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها لم يبق شارداً بل حرم كل نسمة كما أمر الرب إله إسرائيل)

وفي يشوع 10: 4 (لأن الرب إله إسرائيل حارب عن بني إسرائيل)

وفي يشوع 23: 3 (لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم)

وفي يشوع 32: 22 (إله الآلهة الرب إله الآلهة الرب هو يعلم وإسرائيل سيعلم).

في يشوع 32: 22 (مالكم وللرب إله إسرائيل).

يشوع 23: 1 (لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم).

يشوع 24: 1 (هكذا قال الرب إله إسرائيل).

يشوع 24: 23 (فالآن انزعوا الآلهة الغريبة التي وسطكم وأميلوا قلوبكم إلى الرب إله إسرائيل).

فمن خلال هذه النصوص، يؤسس كتبه التوراة خصوصية الإله فهو إله إسرائيل دون سواهم. وهذا التأسيس بني عليه التصور التوراتي كله. ففي كافة الأسفار تظل خصوصية الإله الإسرائيلي مستمرة.

وتلعب هذه الخصوصية دورها العقيدي والنفسي في الشخصية اليهودية. فالدور العقيدي يعني تماماً رفض آلهة الشعوب الأخرى. صحيح أن الشعوب التي عاشت في فترة بروز اليهودية في غالبيتها شعوب وثنية، ولكن العقيدة اليهودية ترفض أن يكون الله الخاص بها هو ذاته الله في الرسالات الأخرى كالمسيحية والإسلام. وعلى المستوى النفسي فقد بنى هذا الاتجاه في الشخصية اليهودية تماهياً واضحاً بين الله والفرد اليهودي. حيث سنرى في نصوص أخرى أن اليهودي يأمر الله فيطيعه. فيصبح في حالة من الحالات هو الله والله الفرد. وهذا ما يشير لنا بوضوح إلى تأثر اليهودية الكبير بالعقائد الوثنية السائدة آنذاك.

وعندما نتذكر أن تدوين التوراة قد تم أيام السبي البابلي ندرك أن هذا التدوين ما كان ليتم دون تأثير المأثورات العقيدية البابلية والكنعانية وغيرها في العقيدة اليهودية.

فلجميع شعوب المنطقة آلهة قومية خاصة. وهذه هي طبيعة العقائد في الشعوب قبل الرسالات السماوية .

ففي بابل كان الإله الرئيسي مردوخ وقد أشرنا لذلك في صفحات سابقة وفي كنعان كان الإله الرئيسي إيل وفي مرتبة ثانية كان الإله بعل. وفي المدن الهامة أيضاً وجدت لدى الشعوب آلهة خاصة مفضلة على غيرها من آلهة الشعوب. فأهل بيسان كان إلههم الخاص (داجون). وفي نابلس وجد الإله بعل بريث (رب العهد) والإله ملكوم إله العمونيين. وكموش إله المؤابيين. ومولك أيضاً للعمونيين. ويبدو أن المنطقة التي تنقسم إلى مدن وقرى ومناطق لم تتوحد في عقائدها. ومجاراة من قبل بني إسرائيل لهذه الشعوب فقد خصصوا لهم إلها يختلف عن آلهة الشعوب كما يختلف بنو إسرائيل في تصورهم وعقائدهم ومسيرة حياتهم عن بقية الشعوب أو بقية الأقوام.

إله بني إسرائيل كما أراد كاتبو التوراة تصويره هو إله محلي وليس إلهاً عالمياً. وهذا طبيعي قياسا للمحيط الذي عاشوا فيه. ولكن طبيعة هذا الإله، تنسجم مع طبيعة النفسية التوراتية، النفسية اليهودية، النفسية البدوية وليست طبيعة النفس الزراعية المستقرة. لقد عاش بنو إسرائيل حياتهم متنقلين غير مستقرين. وهذا التنقل لا بد له من إله متنقل أيضاً .

إننا نلاحظ أن الآلهة المحلية لبقية سكان المنطقة تستقر في معابد المدن والقرى لأن السكان ذاتهم مستقرون في أرض، مرتبطون بها. أما بنو إسرائيل فلم يرتبطوا بأرض ولذلك كان إلههم متنقلا غير مستقر لا في طبيعته ولا في صفاته.

وحين سمحت لهم الظروف بعد تسرُّبهم إلى فلسطين، وتأسيس ما يسمى مملكة داود وسليمان، فقد ارتبطوا ارتباطا محدودا بهيكل يهوه. وقد اعتبروا أن الهيكل هو مقر إلههم. وقد أصبح الإله الأوحد لهم بعد أن شركوا معه في عبادتهم آلهة وثنية كثيرة. لقد خص بنو إسرائيل أنفسهم بالإله الخاص بهم ولم يقبلوا أحداً من سواهم في عقيدتهم.

تقول التوراة: (أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي) 20ـ 1 ـ 2

وهذا اعتراف توراتي، بأن إله اليهود لم يكن وحده إلها في هذا الوجود. وهذا يعني أن بني إسرائيل لم يعرفوا الإله الواحد إله الخلق أجمعين. لقد عبدوا إلها قوميا خاصا كما ذكرنا لا يقبل أحداً من الناس في عبادته سوى بني إسرائيل. تقول التوراة: (لا يدخل عمّوني ولا مؤابي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر. لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد.) تثنية 23: 2

ولو لاحظنا عقائد الشعوب الوثنية آنذاك وجدنا أن لا موانع أمام أي من البشر في دخول عقائدهم. بل إننا نرى بعض الشعوب القوية التي اجتاحت المنطقة، فرضت عقائدها وآلهتها على الشعوب التي احتلت أراضيها. وهذا يرمز إلى قوة الشعوب المستندة إلى قوة معبودها.

وإذا ما رحنا نستطلع طبيعة الإله المعبود الذي فهمه أنبياء بني إسرائيل من خلال القرآن الكريم، وجدنا النقيض تماما. وجدنا الله الذي عرفناه من خلال ديانة الإسلام وعقيدة التوحيد الإسلامية.

يقول تعالى على لسان يوسف عليه السلام: (إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي إبراهيم واسحق ويعقوب. ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء. ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس. ولكن أكثر الناس لا يشكرون. يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار. ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه. ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) سورة يوسف 37 ـ 40. والنبي يوسف هو آخر الأنبياء من سلسلة إبراهيم الذين انتهت بهم التواريخ إلى توقف الأخبار أربعمائة سنة حتى ظهور موسى عليه السلام. وبمعنى آخر فإن النبي يوسف الموحد

والذي عرف الله الواحد الأحد رب العالمين، انقطعت عنده هذه العقيدة ولم تظهر أية إشارة بعده إلى هذه العقيدة حتى ظهور موسى عليه السلام. وهذا يعني أن بني إسرائيل لم يدركوا عقيدة التوحيد بل اندمجوا بالعقائد المصرية، حيث عرفوا نمطاً آخر من الآلهة، هو نمط الآلهة القومية المحلية. والبعيدة عن الإله الواحد وعقيدة التوحيد.

ولهذا السبب نجد مفهوم الإله الذي استوعبه بنو إسرائيل، لم يكن ما يقصد إليه النبي موسى عليه السلام.

ويجيبنا القرآن الكريم على التساؤل الذي يقول: ما الذي كان يقصد به النبي موسى عليه السلام بمفهوم الإله.

تطالعنا الآيات القرآنية الكريمة بقولها: (قال فرعون وما رب العالمين. قال رب السماوات والأرض وما بينهما أن كنتم موقنين. قال لمن حوله ألا تسمعون. قال ربكم ورب آبائكم الأولين. قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون. قال رب المشرق والمغرب وما بينهما أن كنتم تعقلون). سورة الشعراء 23ـ 28.

فالآيات توضح طبيعة الله في مفهوم النبي موسى وعقيدته التوحيدية. فالله ليس خاصاً ببني إسرائيل، إنما هو رب العالمين. خالق السماوات والأرض وما بينهما من نجوم وكواكب وإنسان وحيوان ونبات وجماد. وهو رب المشرق والمغرب وما بينهما، إنه رب البشر جميعا ما بين مشرق الكون ومغربه.

وهناك آيات قرآنية كثيرة تشير بوضوح إلى طبيعة فهم موسى لله سبحانه وتعالى. والمدقق في بعض الآيات القرآنية يكتشف أن الحوار الذي كان يجري بين النبي موسى وبني إسرائيل يدل بشكل واضح على أنهم لم يفهموا هذا الإله ولم يعترفوا به إلهاً للجميع بل هو إله موسى وحده، وليس لهم علاقة به.

يقول تعالى: (وإذا قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض....) البقرة 61.

ويقول تعالى: (قالوا ادعُ لنا ربك يبين لنا ما هي...) البقرة 68

وتتكرر هذه الآية. (قالوا ادعُ لنا ربك يبين ما هي...) البقرة 70. وفي قوله تعالى: (ربك). عبرةٌ ودرسٌ. وقد تعني الكثير من المقاصد. ومن هذه المقاصد أن بني إسرائيل يفصلون بينهم وبين رب موسى، ولا يعتبرونه ربا لهم إنما هو خاص لموسى.

وفي بعض الآيات القرآنية إشارات واضحة إلى ما آلت إليه نظرة التوراتيين المنحرفين إلى الله القومي الخاص بهم. فالله لن يعذبهم، ولن يحاسبهم طالما هم شعب الله المختار. يقول تعالى: (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتّخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون.) البقرة 80

وقال تعالى: (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيُّهم قل هاتوا برهانكم أن كنتم صادقين.) البقرة 111

وهذا يدل بشكل واضح على أن الله القومي الخاص بهم يصنع لهم جنة خاصة بهم. وهذا طبيعي لأنه يترتب على البعد القومي الخاص للإله الذي تصوروه.

ويقول تعالى: (قل أتحاجُّوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون.) البقرة 139.

فهم يؤمنون بإله يبعث الأنبياء من بني جنسهم، فإن بعث الله نبيا آخر ليس من بني إسرائيل فإن هذا الإله ليس هو إلههم. وقد أنزلت هذه الآيات لترد عليهم عندما بعث الله سبحانه وتعالى محمدا بن عبد الله نبيا ليس من

بني إسرائيل. فهذا لم يكن في حسبانهم فرفضوا نبوته وجادلوا في اختيار الله له نبيا. حتى وصل بهم الحد إلى نكران الله الذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا للعالمين.

وقال تعالى: (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير.) المائدة 18.

فما تصوره بنو إسرائيل هو أن الله خاص بهم. فهم أحباؤه لأنه لهم وحدهم. ولن يعذبهم كبقية البشر لأنهم شعبه المختار.

ولما كان الإله المتصوَّر إلهاً خاصاً فإن علاقته ببني إسرائيل تتمدّد وتتّسع لتشمل كل القضايا الخاصة ببني شعبه.

فنرى هذا الإله يقسم ميراث النبي إبراهيم قسمة غير عادلة. فيخصص بالميراث إسحق وابنه يعقوب وينفي هذا الميراث عن إسماعيل وأبنائه. والميراث هنا مادي ومعنوي، يرتبط بأموال إبراهيم وممتلكاته من جهة وبنبوّة إبراهيم وميراثه الروحي من جهة أخرى .

تقول التوراة: (فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك إبنا وتدعو اسمه إسحاق وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده) تكوين 17: 19

وتقول: (فقالت لإبراهيم أطرد هذه الجارية وابنها. لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحق) تكوين 21: 11

وهذا يعني حسب تصور التوراة، أن الميراث من حق إسحاق ونسله. ونسلُه يعقوب والأسباط ويوسف وكل من يدّعي بعدئذ أنه من نسل يعقوب .

الإله التوراتي ـ نفي الثبات، ضياع الهوية

بعد انقطاع الخبر التاريخي التوراتي، منذ وفاة يوسف وحتى بروز موسى عليه السلام لم تبرز لنا عقائد بني إسرائيل ولم تظهر. وكثيرٌ من الباحثين يرون أن هذه الفترة التي تقدر بأربعمائة سنة تقريبا هي حلقة مفقودة في تاريخ هذه الجماعة التي أطلقت عليها التوراة بني إسرائيل.

والحديث الذي أبرزته التوراة هو قولها: مات يوسف وإخوانه وجميع ذلك الجيل وأما بنو إسرائيل، فأثمروا وتوالدوا وكثر عددهم وامتلأت الأرض منهم ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فخشي من كثرة بني إسرائيل وانضمامهم للأعداء عند حدوث الحرب. فسخرهم واستعبدهم وأذلهم بالأعمال الشاقة ولم يشر القرآن الكريم إلى هذه الفترة أو الحلقة المفقودة، والذي يمكن أن نجده في التوراة والقرآن الكريم هو الحديث عن استعباد فرعون لبني إسرائيل وتسخيرهم وقتل أطفالهم الذكور المولودين حديثاً. واستحياء نسائهم .

أما عن عقيدتهم فلا نجد ذكراً لذلك خاصة الفترة التي بدأت منذ وفاة يوسف وحتى بدء ظهور النبي موسى. وهناك بعض الآيات القرآنية التي تشير إلى موت يعقوب عليه السلام ووصيته لأبنائه بعبادة الإله الواحد .

يقول تعالى (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي. قالوا نعبد ألهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون.) 133البقرة

يقول تعالى: (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين.)البقرة 135. (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى

وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) البقرة 136.

فهل بقي أبناء يعقوب على دين يعقوب؟ وإذا كان الأسباط بما فيهم يوسف عليه السلام قد تمسكوا بعقيدة التوحيد فهل بقي أبناؤهم وأحفادهم على هذه العقيدة؟ أم تداخلت عقائد الفراعنة في عقيدتهم وتشوهت؟ إن أربعمائة سنة من وفاة يوسف حتى بروز موسى خلت من الأنبياء. ولم يرد ذكر أي نبي جاء لبني إسرائيل لا في التوراة ولا في القرآن الكريم. ويظل البحث في عقيدتهم ضمن الظن والتخمين، إذ ليس هناك أي برهان قاطع يدل على عقائدهم فمن المحتمل أنهم تأثروا بعقائد المصريين، ومن المحتمل أنهم ظلوا دون عقيدة واضحة، وربما بقي قسم منهم على ديانة التوحيد، وانحرف بعضهم الآخر ولعل الأحداث التي بدأت مع نبوة موسى عليه السلام قد تدلل على ما كانوا عليه .

تتحدث التوراة في سفر الخروج عن قصة ظهور ملاك الرب بلهب النار في وسط علّيقة ثم يسمع موسى صوت الله إذ يقول: إن موسى غطى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله. ويقول الرب لموسى. لقد رأيت مذلة شعبي في مصر ونزلت لأنقذهم وأصعدهم (إلى أرض تفيض لبنا وعسلا) خروج 3: 8.

وتذكر التوراة أمر الله لموسى ليتحدث لبني إسرائيل من أجل الخروج وتقول التوراة وتقولون له (إن إله العبرانيين قد التقانا) خروج 3: 18.

فنلاحظ هنا أنه قبل الخروج من مصر كانت التوراة تستخدم لفظ إله العبرانيين، وبعد الخروج أصبح إله إسرائيل دون العبرانيين .

ومهمة الله حسب نص التوراة، هي نزوله من علياته لينقذ شعب العبرانيين بينما نجد أن القرآن الكريم يتحدث عن مهمة موسى الأولى وهي دعوة فرعون إلى ديانة التوحيد.

يقول تعالى: (إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) طه 14

و يقول تعالى: (اذهبا إلى فرعون إنه طغى. فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى) طه 43 ـ 44 ويدخل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون ويوضحان من خلال حوارهما معه ما هو الله. وأنه رب السماوات والأرض. والذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى. والله لا يضل ولا ينسى. وهو الذي جعل الأرض مهاداً وجعل فيها سبلاً وأنزل من السماء الماء إلى آخر ما هنالك من توضيحات.

وتبدأ قصة وتقلبات وضياع هوية الإله في عقلية بني إسرائيل مع بدء رحلة الخروج المشهورة .

تقول التوراة: (فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم وإذا المصريون راحلون وراءهم ففزعوا جداً وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب وقالوا لموسى هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية. ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين كفَّ عنا فنخدم المصريين لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية) خروج 14: 10 ـ 13

ففي هذا الحدث يتجلى الأفق النفسي للعقيدة عند بني إسرائيل. فلمجرد أول امتحان أو أول هزة، يتعرضون لها يثورون بوجه موسى، لأنهم لا يريدون الموت، ولا يريدون مغادرة العبودية. فعقيدة التوحيد ليس لها وجود في نفوسهم أو عقولهم. وفي هذه النصوص يغيب الرابط بينهم وبين العقيدة .والنبي موسى عليه السلام هو الذي يعرف بنبوته وعقيدته أن الله معه. ويحاول جاهداً تعليمهم أن الله سيكون معهم لو آمنوا. ولكن لا جدوى، فالطبع العقيدي غير

التوحيدي يطغى على عقولهم. وهو الذي يمنع عقولهم، من التحرك لخوفهم الله وفهم التوحيد.

تقول التوراة: (ونظر إسرائيل المصريين أمواتاً على شاطئ البحر. ورأى إسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرب بالمصريين. فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبده موسى) خروج 14: 30

وهذه اللحظة بالذات تدل بشكل واضح أن الأيمان الذي آمنوا هو إيمان الخوف والرهبة. آمنوا بالرب بسبب فعله. أي أن الإيمان جاء كردة فعل آنية. وهذا طبيعي على المستوى النفسي. ولكن ردة الفعل (الخوف والرهبة)، دائما تزول عندما يفقد السبب.

فعندما يدخل بنو إسرائيل سيناء ويبتعد الحدث عنهم، يعودون إلى طبيعتهم السابقة أي طبيعة الكفر، أو الانقلاب على لحظة الإيمان العابرة.

ففي الإصحاح 16، وبعد أن يرنّم بنو إسرائيل للرب لأنه أغرق فرعون، يدخلون برية سين التي بين إيليم وسيناء. وبعد خمسة عشر يوماً من دخولهم الصحراء .

تقول التوراة: (فتذمر كل جماعة بني إسرائيل على موسى وهارون في البرية وقال لهما بنو إسرائيل ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع. فأنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع) خروج 16: 1 ـ 3

ومرة بعد مرة يثور بنو إسرائيل، ويتذمرون من موسى بسبب صورة الماضي التي تعني لهم العبودية لفرعون، ولشعبه مقابل امتلاء البطون بالخبز واللحم.

ثم في الإصحاح 17 تقول التوراة: (ولم يكن ماء ليشرب الشعب. فخاصم الشعب موسى وقالوا أعطونا ماء لنشرب... فلماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش. فصرخ موسى إلى الرب قائلاً. ماذا أفعل بهذا الشعب بعد قليل يرجمونني) خروج 17 : 1 ـ 2 فليس لله مكان في العقلية التي ركبت لدى بني إسرائيل. فالمسألة لا تعدو كونها صراعاً بينهم وبين النبي موسى عليه السلام.

وبعد هذا التذمر المتكرر تبدأ التقلبات العقيدية من حال إلى حال والدارس لتقلبات العقيدة في النفسية اليهودية، يراها قد أخذت في كل فترة منحى حاداً. وهذا ما يشير إلى أن العلاقة بينهم وبين التوحيد هي علاقة هشة ليس لها استنادات قوية في النفوس.

سنرى ماذا يقول القرآن الكريم :

يقول تعالى: (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة. قال إنكم قوم تجهلون) الأعراف 138

فهذا هو الحدث الانقلابي الأول بالنسبة للعقيدة. ولعلنا جميعاً نتساءل أين الله الذي عرّفهم موسى على قدرته وعالميته ؟. يبدو أن الفترة الزمنية التي عاشوها في مصر جعلتهم يتمثلون عقيدة الأقوام، لاسيما المصريون الفراعنة فهم يريدون إلهاً مثل بقية الشعوب. وهذا حق لهم ولكن هذا الإله الذي يريدونه هو أشبه بآلهة الأقوام التي مروا بها في سيناء. والواقع أن طلبهم من موسى أن يجعل لهم إلهاً كالأصنام التي يعكف على عبادتها أقوام مروا بهم دليلُ إعجابهم المفرط بهذه الآلهة. وغيرتهم الزائدة أو حسدهم للأقوام الأخرى التي لها آلهة بينما هم بدون آلهة.!

ماذا كان يفعل موسى في تعاليمه لهم؟ ألم يقل لهم إن لكم إلهاً أنقذكم من عذاب فرعون؟ ألم يقولوا هم أنفسهم أن الرب أمات جنود فرعون فخافوه؟

لكنها طبيعة التقلب العقيدي التي جبلت بها نفوسهم.

ولندخل في أعماق الصحراء معهم لنصل إلى قصة العجل التي تعتبر من أهم القصص الحقيقية التي توضح ذلك التقلب .

فالتوراة تشير إلى هذه القصة بإسهاب .

والقرآن الكريم يتحدث عنها في أكثر من موضع. فما هي حيثيات هذه القصة وما المفارقات فيها؟

فمع أول غياب للنبي موسى عليه السلام عن بني إسرائيل، يبدأ الانقلاب الكبير في العقيدة. فبنو إسرائيل الذين اعتادوا رؤية عبادة المصريين، لم يستطيعوا تقبل وحدانية الله. وغياب موسى يعني بالنسبة لهم غياب الإله.

تقول التوراة: (ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون. فأخذ ذلك من أيديهم. صوره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكا. فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر) خروج 32: 1 ـ 5 وتقول التوراة: (صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر) خروج 32 ـ 8. وتقول التوراة: (وسمع يشوع صوت الشعب في هتافه فقال لموسى صوت قتال في المحلة فقال ليس صوت صياح

النصرة ولا صوت صياح الكسرة بل صوت غناء أنا سامع. وكان عندما اقترب إلى المحلة أنه أبصر العجل والرقص) خروج 32: 17 ـ 19.

وتقول التوراة: (ولما رأى موسى الشعب أنه معرًّى. لأن هارون كان قد عرَّاه) خ: 32: 25. فالذي ترسمه التوراة في هذه الصورة كالتالي:

عجل ذهبي يصنعه هارون. يسجدون له وذبحوا له القرابين. ثم يغنون له ويرقصون حوله عراة .. فالصورة واضحة تحتاج لتعليق بسيط. وهو أن بني إسرائيل لا يبتعدون عما نسمعه عن الأقوام البدائية في مجاهل الغابات. فالصورة توضح أنهم في الحضيض من التخلف العقيدي والعقلي والنفسي. ولا تبتعد الصورة عما ترسمه الأفلام الأمريكية عن الهنود الحمر أو قبائل الماو ماو في أفريقيا. ولا شك أن سؤالاً يطرح نفسه يقول ما الذي جعل بني إسرائيل يختارون العجل الذهبي إلهاً؟

الواقع أن الطبيعي بالنسبة لبني إسرائيل أن يختاروا أحد الآلهة المرموز لها بالعجل، كما هو الحال عند المصريين والبابليين، والثور في الأسطورة البابلية أو المصرية رمز القوة في حراثة الأرض، ونقل بعض الأدوات عليه، كما هو الحال عند الهنود. وبنو إسرائيل الذين لم يمض على خروجهم من مصر الكثير من الوقت، ما يزالون يحتفظون في مخزونهم النفسي والفكري معتقدات المصريين وعقائدهم. إضافة لذلك فإن تدوين التوراة الذي تم في السبي البابلي، لم يكن بمعزل عن المؤثرات العقيدية الموجودة في بابل ثم في مدائن الفرس.

(وتعدُّ عبادة عجل آبيس Apis في منف من أقدم عبادات الحيوان في مصر، إذ أن عبادته قديمة قدم الأسرة الأولى، وتكشف عبادة آبيس عن تطور كان شائعا في الواقع. فهي تبدأ عبادة مستقلة بذاتها، ثم ترتبط عقائديا بعد ذلك بكبار الآلهة مثل رع وأوزوريس كما ترتبط باسم بتاح وكذلك بأهم آلهة منف. وقد تمت خطوة أبعد لا نظير لها. ففي بداية العهد البطلمي انتشرت

عبادة أوزوريس ـ آبيس عن وعي لإقامة عبادة جديدة هي عبادة سيرابيس. وربما قصد بها أن توجه للإغريق المقيمين في مصر، غير أن سيرابيس فقد بمرور الزمن هيئة الثور آبيس)(1).

وقد اهتم الهندوس بعبادة الثور والبقرة كثيرا وفي (رج فيدا) أنشودة تقول: (لتصعد أنشودتي الملهمة إلى فيشنو الثور ساكن الجبال، صاحب الخطى الكبيرة. نتوق للذاهب إلى حيث تسكن حيث توجد الأبقار النشيطة ذات القرون العديدة. ومن هناك يشع فيشنو علينا فيشنو الثور بخطوته العالية.)(2). وقد أصبحت تماثيل البقرة في كل معبد ومنزل وميدان، ولا يجوز للهندوسي تحت أي ظرف من الظروف أن يأكل لحمها أو يستغل جلدها في أية صناعة من الصناعات وهي إذا ماتت وجب دفنها بجلال مع أعظم طقوس الدين.)(3)

وقد أوضح القرآن الكريم قصة عبادة بني إسرائيل للعجل بشكل مسهب، ولا تكاد تختلف عما جاء في التوراة من حيث هي كحدث. ولكن الاختلاف الجذري يقع في اتهام التوراة لهارون بأنه هو الذي صنع العجل لبني إسرائيل، إضافة لبعض الجزئيات الأخرى التي يمكن اكتشافها من خلال مقارنتنا النص التوراتي بالنص القرآني.

يقول تعالى: (وإذا واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون) البقرة 51

ويقول تعالى: (وإذ قال موسى لقومه إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم) البقرة 54

---

(1) جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ص 51 ترجمة امام عبد الفتاح امام.

(2) سر قبالي داداكر وشارلز مور. الفكر الفلسفي الهندي. ترجمة ندرة اليازجي 1967.

(3) سليمان مظهر قصة الديانات ص 86 الوطن العربي القاهرة ـ بيروت 1984.

ويقول تعالى: (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين) الأعراف 148

ويقول تعالى: (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئس ما يأمركم به أيمانكم إن كنتم مؤمنين) البقرة 93

ويقول تعالى: (ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبيناً) النسأ 153

ويقول تعالى: (ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أمّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين) الأعراف 150

ويقول تعالى: (إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلّة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين) الأعراف 152

ويقول تعالى: (فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى. أفلا يرون ألاّ يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً. ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري. قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى. قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا. ألا تتبعن أفعصيت أمري. قال يبنؤُمّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي. قال فما خطبك يا سامري. قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي. قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا) سورة طه 88 ـ 97

لقد وردت الإشارة إلى عبادة بني إسرائيل للعجل في تسع مواضع من القرآن الكريم وجميعها تشير إلى الحدث بوضوح وتتقاطع مع قول التوراة في ذلك. لكن الاختلاف كما قلنا يقع في الحديث عن النبي هارون. فحسب قول التوراة، فإن هارون هو الذي يصنع العجل ليعبدوه. فهارون نبي بتصريح القرآن الكريم. وهو مكلف مثل موسى عليه السلام بتبليغ رسالة التوحيد. فلا يعقل أن يضل نبي عن عقيدته ليصنع عجلا من ذهب ليعبده قومه. والواقع أن السامري هو من صنع لهم هذا العجل وأما هارون فنهاهم عنه ولكنهم عصوه وكادوا يقتلونه حسب نص القرآن الكريم .

بعد موت يشوع يفتقد بنو إسرائيل للموجِّه والقائد، ويفتقدون بعد موسى عليه السلام للنبي الذي يواصل مسيرة الهداية بينهم. وبعد أن تسربوا إلى بعض أجزاء فلسطين، وجدوا شعباً كنعانياً متحضراً مستقراً، شعباً زراعياً له مدنه وقراه. وكان لابد للغزاة العبرانيين من النظر في عقائد الكنعانيين. ولاسيما أن الشعب الكنعاني تحملهم وسكنوا في قراهم ومدنهم وهذا ما صرحت به التوراة نفسها.

وكأمثلة على ذلك تقول التوراة: وبنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان أُورشليم فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين ولم يطرد منسى أهل بيت (شأن) وقراها ولا أهل (تعنك) وقراها ولا سكان (دور) وقراها ولا سكان (يبلعام) ولا سكان (مجدو) وقراها وافرايم لم يطرد الكنعانيين الساكنين في (جازر). زبلون لم يطرد سكان (قطرون) ولا سكان (تهلول). ولم يطرد أشير سكان (عكا) ولا سكان (صيدون ويحلب واكزيب وحلبة وفيق ورحوب). ونفتاي لم يطرد سكان (بيت شحى) ولا سكان (بيت عنا) بل سكن في وسط الكنعانيين سكان الأرض) القضاة 2: 22 و2 ـ: 27. و2: 30 ـ 31 ـ 32 ـ 33 ـ 34.

وقبل أن ندرس ضياع هوية الإله عند بني إسرائيل يجدر بنا أن نصحح كلام التوراة الذي ورد في هذه النصوص .

فبدل قولها سكن اليبوسيون مع بني بنيامين يكون القول الصواب سكن بنو بنيامين مع اليبوسيين. كما ورد في قولها بل سكن في وسط الكنعانيين سكان الأرض. وهذه النصوص التي صرحت بها التوراة تفتح أمام أعيننا دراسة التأثر والتأثير بين الكنعانيين وبني إسرائيل، وإذا عدنا إلى نصوص التوراة نفسها، وجدنا أن التأثير من جانب واحد فبنو إسرائيل لم يؤثروا في الكنعانيين بل الذي حدث هو أن الكنعانيين هم الذين أثروا ببني إسرائيل. وكان من المفترض أن يؤثر أصحاب عقيدة التوحيد في عقيدة الوثنية، غير أن بني إسرائيل الذين ما انفكوا يتقلبون في عقيدتهم بل في عقائدهم، لم يكونوا قادرين على تمثل عقيدة التوحيد ولم يكونوا قادرين على التأثير في غيرهم من الشعوب. وبرهنت نفسيتهم على أنهم سرعان مايتمثلون عقائد الآخرين بمجرد رؤية طقوسهم ومعابدهم وعقائدهم.

تقول التوراة: على لسان الرب (لم تسمعوا لصوتي) لكن صوته يذهب أدراج الرياح .

تقول التوراة: (وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم، وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب) القضاة 2: 11ـ13.

(تركوا الرب وعبدوا البعليم وعشتاروت) القضاة 2: 14.

ولقضاتهم أيضا لم يسمعوا بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها. حادوا سريعا عن الطريق التي سار بها آباؤهم لسمْع وصايا الرب لم يفعلوا هكذا) القضاة 2: 17 ـ 18.

وتقول التوراة: فعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والسواري. القضاة 3: 7.

وتقول: (وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم وعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه.) قضاة 10: 6.

وقد تميزت آلهة الشعوب أو القبائل التي كانت تسكن المنطقة بأنها آلهة منقسمة فيما بينها. وحسب الأساطير الكنعانية فإن الإله بعل وهو من كبار الآلهة يمثل السطوة والقوة والشر، على الرغم من أنه يمثل أحيانا إله الخصب والأمطار والصواعق، باعتباره إلها زراعيا وكان في المقابل آلهة أخرى تمثل الجانب الخير في الأسطورة الكنعانية يمثله الإله إيل والإلهة عناة.

غير أن بني إسرائيل مالوا في عقيدتهم إلى الإله بعل ولم يميلوا إلى إيل والجانب الخير ونصوص التوراة تشير عشرات المرات إلى أن بني إسرائيل ساروا وراء البعليم ومن صفات بعل إنه يتلذذ بأرزاء البشر، يحب العقاب وهو الذي يأمر الأعاصير، ولا يتردد في النيل من الناس بيده حتى إنه لا يتردد في مصارعتهم.

ولم يكن لبعل أتباع رسميون في البداية، ثم انتشرت عبادته وصار له معابد، ولهذا الإله أتباع من خارج نطاق الشعب الكنعاني. ويقال إن زوجته تدعى عشتار، ويرد إنهما يدعوان للإباحية على العكس من الإله إيل والآلهة عناة، فهما يدعوان للمحبة والحفاظ على الأسرة، ويقفان في وجه الإباحية التي ينشرها بعل وعشتار. وفي عصر القضاة تعلق بعبادة بعل أكثر بني إسرائيل وبنوا له المعابد، ولذلك نجد أنه ينتشر كصنم في كثير من المناطق ويطلقون عليه عدة أسماء.

من ذلك نرى اسم (بعل فغور) (وبعل زبوب) (وبعل بريث) والأخير هو الذي يعبده الكنعانيون في نابلس، ويعبده بنو إسرائيل. وهناك أيضا (بعل تامار) أي إله التمور أو النخيل و(بعل جاد) و(بعل حاصور) و(بعل حرمون) أي إله جبل حرمون و(بعل صفون) أي إله الشمال، و(بعل فراصيم) أي إله الانفجارات و(بعل هامون) أي إله الجمهور وبعل معون أي إله السكن .

وليس مستغرباً أن يتبع بنو إسرائيل الإله بعل لأن تقلّبهم في العقيدة اقتضى منهم أن يكونوا على نقيض من تعاليم الله التي أنزلت على موسى عليه السلام. وهذه التعاليم تتقاطع في كثِّير من القضايا الخيرة مع عبادة الإله إيل. ولذلك كان اختيارهم لبعل اختياراً لنوازعهم المنحرفة، وميلهم إلى الإباحية، ورفض كافة تعاليم السماء. وقد أوردت التوراة كما رأينا أن بني إسرائيل عبدوا البعل وآلهة أخرى وزنوا وراءها. وهذا ما يؤكد ميلهم إلى الإباحية التي مثّلها بعل في الأساطير الكنعانية. وقد تعاقبت عبادة الأصنام والآلهة الوثنية من الآباء إلى الأبناء وتورد التوراة أن الأبناء كانوا يفسدون أكثر من آبائهم في الذهاب وراء آلهة أخرى، يسجدون لها ويعبدونها.

وكان ربهم الأول ـ رب الجنود ـ قد حرَّم عليهم الاختلاط بالشعوب، لكن الشعوب كانت أقوى منهم وهذا طبيعي لأن المتخلف لا بد أن يتأثر بالمتحضر، والمتنقل يتبع المستقر، ولعل من أهم الأسباب التي جعلت بني إسرائيل يتقلبون من عقيدة إلى أخرى الاختلاط العرقي مع الشعوب التي سكن بنو إسرائيل في وسطهم. وهذا الاختلاط جاء نتيجة التزاوج المستمر بينهم وبين تلك الشعوب .

تقول التوراة: (فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء، وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم) قضاة 3: 5 ـ 6.

وقياساً على هذا التزاوج فقد أوردت التوراة زوراً وبهتاناً أن النبي سليمان قد تزوج ألف امرأة وبنى لهن جميعاً معابد وصنع لهن أصناماً يعبدنها .

تقول التوراة: (وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون. موآبيات وعمونيات وآدوميات وصيدونيات وحثيات .. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه وراء آلهة أخرى وذهب وراء عشتروت وملكوم وكموش وبنى مرتفعة لهن على الجبل الذي تجاه أورشليم. وهكذا عمل لجميع نسائه اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن) الملوك 1: 11 ـ 4.

وتقول متهمة سليمان عليه السلام بالانحراف عن ديانة التوحيد: (وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى. ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه) ملوك أول 11: 5

وإذا نظرنا في سفر الملوك الثاني ونهاية سفر الملوك الأول لوجدنا تعاقب ملوك كثر على ما سمي دولتي إسرائيل ويهودا، ولوجدنا أن أكثرية هؤلاء الملوك تركوا عبادة إله إسرائيل واتبعوا عبادة آلهة الشعوب الوثنية، حتى أنها سيطرت تماما على عقائدهم جميعها، بمعنى أن عبادة الأصنام لحقها معتقدات دينية كثيرة، اختلطت بالسحر تارة ، وبالقرابين تارة أخرى والمحرقات تارة ثالثة. وهذه الملحقات كانت موجودة زمن النبي موسى عليه السلام، ولكن توجهها أصبح باتجاه الأصنام وليس باتجاه إرضاء إله بني إسرائيل.

ولعل أكبر تحول عقيدي أوردته التوراة، هو الذي حدث عندما تسلم المُلكَ على إسرائيل المدعو آخاب بن عمري. وحسب قول التوراة فإنه تملك اثنتين وعشرين سنة. وتقول التوراة: (وعمل آخاب بن عمري الشر في عيني الرب أكثر من جميع الذين من قبله وكأن سلوكه كان أمراً زهيداً قياساً بخطايا يربعام بن نباط، حتى اتخذ إيزابل ابنة اثبعل ملك الصيدونيين إمرأة وسار

وعبد البعل وسجد له ، وأقام مذبحاً للبعل في بيت البعل الذي بناه في السامرة وعمل آخاب سواري وزاد آخاب في العمل لإغاظة الرب إله إسرائيل أكثر من جميع ملوك إسرائيل الذين كانوا قبله) ملوك أول 16: 30 ـ 33

وقد صرّحت التوراة بأن من بقي من بني إسرائيل لم يسجد للبعل هم سبعة آلاف فقط فقالت على لسان الرب: (فقد أبقيتُ في إسرائيل سبعة آلاف كل الركب التي لم تجثُ للبعل وكل فم لم يقبله) ملوك أول 19: 18

وفي سفر الملوك الثاني تزداد عبادة بني إسرائيل للأصنام غلواً، ويرى القارئ في هذا السفر أن العقيدة غابت تماماً من نفوسهم وأكثرية ملوكهم خرجوا عن عقيدة إله إسرائيل .

فعلى سبيل المثال تقول التوراة (كان منسّى إبن إثنتي عشر سنة حين ملك... وعمل الشر في عيني الرب حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل. وعاد فبنى المرتفعات التي أبادها حزقية أبوه وأقام مذابح للبعل وعمل سارية كما عمل آخاب ملك إسرائيل وسجد لكل جند السماء وعبدها) ملوك 2: 21: 1 ـ 3 وتقول: (وعبرّ ابنه في النار وعاف وتفاءل واستخدم جانّ وتوابعَ ، وأكثر عمل الشر في عيني الرب لإغاظته. ووضع تمثال السارية التي عمل في البيت الذي قال الرب عنه لداود وسليمان ابنه في هذا البيت) وفي أورشليم التي اخترت من جميع أسباط إسرائيل أضع اسمي إلى الأبد ملوك 2: 21 ـ 5

وقد أشار القرآن الكريم إلى عبادة البعل من قبل بني إسرائيل، في سياق الحديث عن النبي إلياس.

يقول تعالى: (وإن إلياس لمن المرسلين. إذ قال لقومه ألا تتقون. أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين. الله ربّكم وربَّ آبائكم الأولين. فكذبوه فإنهم لمحضرون) الصافات 123 ـ 127. والنبي إلياس على أكثر الأقوال هو نفسه إيليا الذي ذكرته التوراة وذكرت صراعه مع آخاب بن عمري وزوجته إيزابل اللذين أشاعا عبادة البعل بين اليهود. ولاحقا النبي إيليا بسبب دعوته لعقيدة التوحيد .

الإله التوراتي، مسيرة التجسيم والتجسيد

لدى بني إسرائيل تجليات كثيرة في مسيرة تصورهم للإله. وعلى اعتبار أن الإله الذي أرادوه لأنفسهم خاصة، فلا بد أن يكون التعامل مع هذا الإله على أساس الخصوصية الإسرائيلية، وعلى أساس أنهم اختاروه بأنفسهم ليضفوا عليه تصوراتهم وتخيلاتهم، وعلاقتهم معه.

لقد بدأ هذا التصور منذ سفر التكوين، ولكنه راح يتكامل في سفر الخروج، ليؤسس فكرا دينيا خاصا لأتباع اليهودية فيما بعد.

يبدأ التصور بمسير الله أمامهم عندما هربوا من فرعون وجنوده، في طريقهم إلى سيناء، تقول التوراة: (وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلا في عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهارا وليلا لم يبرح عمود السحاب نهارا وعمود النار ليلا من أمام الشعب). خروج 13: 21ـ 22.

وكما جسد كاتب التوراة الله في عمود سحاب وعمود نار، فإنه يتجاوز ذلك مع تطور تصوره، فلا حدود تمنعه من هذا التجاوز، ولا عقيدة توحيدية تسعفه في الحد من الغلو الذي يقع فيه:

تقول التوراة: (لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء) (وحدث في اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل إلى الجبل وصوت بوق شديد جدا فارتعد كل الشعب لملاقاة الله... وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار وصعد دخان كدخان الآتون. وارتجف كل الجبل جدا.. ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل) خروج: 19: 16 ـ 20.

وعندما نقارن هذه النصوص بنصوص بابلية أو كنعانية سنرى التصورات نفسها، التصورات اليهودية التي اقتبست من تلك الأساطير الوثنية. فالملك البابلي أو الكنعاني ينقلب إلى إله وما عدا ذلك فإن جميع الأمور تتشابه. نزول الإله على الجبل يشابه تماما نزول الإله الوثني بعل من السحاب إلى الأرض. وأصوات البوق والزمور من الأدوات المستعملة في المراسم الملكية. وخاصة البوق المصنوع من القرون الكبيرة.

والنص التوراتي الذي أوردناه من سفر الخروج لا يترك مجالاً للتفسير المجازي. فنزول الرب نزول مادي. عيون الشعب أيضا ليست رؤيا أو بصيرة. وصوت البوق والرعود والبروق والسحاب الثقيل. وملاقاة الله. وجبل سيناء يدخن. ونزول الإله بالنار ودخانه ثم نزول الرب على رأس الجبل. كل ذلك ليس ثمة فرصة لتفسيره تفسيراً مجازياً كما يدّعي بعض اللاهوتيين.

وتتمادى الرؤية التوراتية في وصف العلاقة بين بني إسرائيل وبين الله حتى تصل درجة التأكيد الاستمراري على الرؤية البصرية لله وهي رؤية جماعية. إن هذا يفتح الأعين على طبيعة التأسيس الكهنوتي في وصف الله والقوى الغيبية كالملائكة والجن. ولكن الدارس لطبيعة العقائد الوثنية، سيرى أن التأسيس الكهنوتي اليهودي لم يكن تأسيسا توحيديا إنما جاء تأسيسا وثنيا مخالفا لكل ما جاء به النبي موسى عليه السلام. تقول التوراة:

(ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا) الخروج: 24: 9 ـ 11.

وهذا تجسيد واضح وتشبيه لا خفاء فيه. وفد وردت عبارة أخرى في سفر العدد تقول: يا رب ظهرت لهم عينا لعين. وسحابتك واقفة عليهم وأنت سائر

أمامهم بعمود سحاب نهارا وبعمود نار ليلاً) العدد: 14 ـ 14. لكن معنى هذه العبارة يرد في نسخة أخرى من التوراة بقولها:

(وكان منظر عظمة السيد كنار آكلة في قرن الجبل يراه جماعة بني إسرائيل)، وهذا يدل على استمرار التحريف في التوراة من وقت لآخر(1).

في النص السابق يتضح التطوير اليهودي لصورة الله. لقد رأوا فيه عظمة وجبروتا، ولكن يجب أن يمنحوه أيضا جمالا وروعة تفوق جمال الإنسان. ومن الطبيعي جدا أن يجاري بنو إسرائيل الشعوب الأخرى في تصوراتها. فكتبة التوراة وجدوا ما كان عليه ملوك بابل وأصنامهم وما يحاط بها من هالة وتزيين. والواقع الجغرافي البيئي يقول لنا: إن بني إسرائيل الذين ما يزالون في صحراء سيناء، لا يرون سوى الرمال والحر والعواصف لا يمكن أن يأتوا بهذا الوصف للإله. خاصة بقول التوراة (شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف).

وفي مثل هذا النص يحددون خاصية لهذا الإله. فهو إله إسرائيل، ويجب أن يكون هذا الإله الخاص متميزا عن جميع الإلهة. وهذا طبيعي بالنسبة للشعوب والفئات الوثنية، فالتنافس في إضفاء الصفات الرائعة والمخيفة، الجميلة والجليلة، كان رفيق تلك الشعوب، وتلك الأزمنة. فكلما كان الإله يمتاز بصفات أكثر تضادا كلما كان أقوى وأكثر تفوقا، ويستحق التقدير. وتحضرنا الآن صورة الإله الهندوسي براهما ذو الأقانيم الثلاثة. فهو في أحد وجوهه إله الحرب، وفي وجه آخر إله الحب والرحمة. وهو في وجه ثالث إله خالق. لكنه إله واحد متعدد الوجوه، متعدد الصفات، مع ذلك فإن المأساة اليهودية تكمن في أن الإله الذي يتصوره بنو إسرائيل لم يكن هو الذي يضفي

---

(1) ابن حزم الأندلسي. الفصل بين الملل والأهواء والنحل ص 255 من تعليق المحقق د: عبد الرحمن عميرة.

على نفسه صفات القوة والعظمة والجمال والجبروت. إنما هم من يصنعون هذه الصفات لتتناسب وتفكيرهم وتصوراتهم القادمة وظروفهم المستجدة.

أن العقلية الإسرائيلية في سفر الخروج تؤكد على الصلة المباشرة بينهم وبين الله، ففي أكثر من عشرة مواضع يركز كاتب التوراة على نزول الرب من علياته ولقائه ببني إسرائيل. وفي كل لقاء، يضفي كاتب التوراة على الجو المحيط هالة أسطورية مهيبة. تقول التوراة: (وأخذ موسى الخيمة ونصبها له خارج المحلة بعيدا عن المحلة. ودعاها خيمة الاجتماع. فكان كل من يطلب الرب يخرج إلى خيمة الاجتماع التي خارج المحلة وكان جميع الشعب إذا خرج موسى إلى الخيمة يقومون ويقفون كل واحد في باب خيمته. وينظرون وراء موسى حتى يدخل الخيمة. وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة تنزل ويقف عند باب الخيمة، ويتكلم الرب مع موسى فيرى جميع الشعب عمود السحاب واقفا عند باب الخيمة. ويقوم كل الشعب ويسجدون كل واحد في باب خيمته. ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه) خروج 37: 7 ـ 11.

والواضح من خلال النص أن أفراد بني إسرائيل يدخلون إذا رغبوا إلى الخيمة واحدا بعد الآخر يريدون لقاء الرب. فإذا عدنا إلى بداية سفر الخروج نرى أن التوراة تورد أن الذين خرجوا من بني إسرائيل هم ستمائة آلف راجل فكيف يتسنى لهذا العدد أن يدخل لخيمة الاجتماع، أو نصفه أو ربعه. ولو كان الأمر مرتبطا بشخص نبياً كان أو غير نبي لاستحالت مقابلته لهم إلا بعد أشهر فكيف إذا كان هذا الذي يقابلهم هو الرب؟.

ويؤكد كلام الرب على وجود عمود السحاب الذي ينزل كلما دخل موسى الخيمة، ويذهب بعيدا إن خرج موسى من تلك الخيمة.

وموسى يكلم الرب وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه. فإن كان هذا من باب المجاز فنقول لماذا تصر التوراة على قولها كما يكلم الرجل صاحبه.

وإن قلت هذا من باب الحقيقة فإن الرب في هذه الحالة يتجسد شخصا عاديا، يجلس في الخيمة كالبشر. وهذا يتنافى حتى مع التوحيد الموسوي الذي أوضحه القرآن الكريم في كثير من آياته.

يقول تعالى: (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني - أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه سوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا. فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) الأعراف 143.

وقد أشارت الآيات القرآنية الكريمة إلى أن موسى عليه السلام كان كليم الله. وهذا مما خصه الله سبحانه لهذا النبي. ولكن رؤية الله على الحقيقة أمر محال. وظاهر الآية يدل على ذلك. فموسى عليه السلام لم ير الله، ولن يراه، حتى تلقى رسالة السماء. وقد وجد بعض المفسرين وبعض قراء هذه الآية (ولما جاء موسى لميقاتنا...) إلى آخر الآية أنها تدل على جواز الرؤية لله. وقد رد بعض الدارسين على ذلك. وجاء في أحد الردود:

إن موسى عليه السلام لم يسأل الرؤية لنفسه، إنما سألها لقومه، فقد روي أن قومه طلبوا ذلك منه، فأجابهم بأن الرؤية لا تجوز على الله سبحانه وتعالى. فلجّوا به وألحّوا عليه في أن يسأل الله تعالى أن يريهم نفسه، وغلب في ظنه أن الجواب إذا ورد من جهته، جلت عظمته كان أحسم للشبهة وأنفى لها.

ويقوي هذا الجواب قوله تعالى: (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) النساء 135.

ومنها قوله تعالى: (وإذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) البقرة 55(1).

وإذا عدنا إلى الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر الخروج نرى الكلام يجاري الصواب في مسألة رؤية موسى وذلك ما يناقض القول الأول ـ كما يكلم الرجل صاحبه ـ فتقول التوراة: فقال أرني مجدك...

وقال (لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش) الخروج 33: 18ـ 20.

ومع ذلك فإن التزيينات التوراتية، والزيادات التحريفية تأبى أن يبقى السياق توحيديا.

تقول التوراة: (وقال الرب هو ذا عندي مكان فتقف على الصخرة ويكون حتى أجتاز مجدي إني أضعك في نقرة من الصخرة وأسترك بيدي حتى أجتاز ثم أرفع يدي فتنظر ورائي وأما وجهي فلا يرى) خروج33: 21 ـ 23.

وهذا يعني أن الرب أجاز لموسى عليه السلام أن يرى ظهر الله وقفاه، وأن لا يرى وجهه، وهذا تجسيد بشع من قبل التوراة، ووثنية واضحة، إذ جعلت الله محدودا مجسدا، له وجه وله ظهر، وهذا ما يتنافى كليا مع عقيدة التوحيد التي تنزه الله عن المكان والحدود. والتجسيد والتجسيم.

وتتابع التوراة هذا التجسيد بقولها (فنزل الرب من السحاب. فوقف عنده هناك ونادى باسم الرب فاجتاز الرب قدامه) خروج34: 5 ـ 6.

---

(1) أبو القاسم الحسيني الموسوي. تنزيه الأنبياء ص 111ـ 112.

إله الذهب اليهودي

في عقائد التوحيد وحتى بعض العقائد الإثنية كالزاردشتية يتنزه الإله عن الماديات مهما كان قدرها ومهما كانت قيمتها. ومن المعروف أن أساس العقائد هو الجنوح دوما نحو المعنويات. فالمادة في خدمة قيم الخير والعدل والجمال وما إلى ذلك، لكن طبيعة أتباع العقيدة اليهودية تأبى أن تكون العقيدة كذلك. ويأبى هؤلاء أن يكون الإله منزها عن الماديات.

فالذهب هو المعدن الأثمن، يصبح في العقلية اليهودية وسواساً وهوساً حتى يصل بهم الحد إلى إفصاح إلههم عن حبه للذهب ولو كان الذهب حراماً ومسروقاً. وضمن تسلسل سفر الخروج وما بعده. سنجد الذهب يلعب دوره بشكل قوي في العقيدة اليهودية وفي ميول الإله التوراتي.

هذا الإله يأمر بني إسرائيل أن يسرقوا المصريين آنية الذهب والفضة بحجة الاستعارة، وذلك قبل يوم من هروبهم باتجاه سيناء.

تقول التوراة: (طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا. وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين) خروج 12.

ولكننا في الإصحاح الخامس والعشرين نرى الرب يأمر مباشرة بصنع تابوت العهد الذي ستحفظ به تعاليم التوراة. وسنرى كيف يلعب الذهب دوره المهم في صنع هذا التابوت.

تقول التوراة: وكلم الرب موسى قائلاً: (وهذه هي التقدمة التي تأخذونها منهم. ذهب وفضة ونحاس) خروج 25: 1و3.

فيصنعون تابوتاً من خشب السنط. وتغشيه بذهب نقي. من داخل ومن خارج تغطيه وتصنع عليه إكليلاً من ذهب حواليه. وتسبك له أربعة حلقات من

ذهب. وتصنع له عصوين من خشب السنط وتغشيهما بذهب. وتصنع غطاء من ذهب نقي طوله ذراعان ونصف. وتصنع كروبين من ذهب. وأنا أجتمع بك هناك، وأتكلم معك من على الغطاء من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة.

خروج 25: 10 ـ 11 ـ 12 ـ 14 وتصنع مائدة من خشب السنط، طولها ذراعان. وعرضها ذراع وارتفاعها ذراع ونصف وتغشيها بذهب نقي. وتصنع لها إكليلاً من ذهب حواليها. وتصنع لها حاجبا على شبر حواليها. وتصنع لحاجبها إكليلاً من ذهب حواليها.

وتصنع لها أربعة حلقات من ذهب. عند الحاجب تكون الحلقات بيوتاً لعصوين لحمل المائدة. وتصنع العصوين من خشب السنط وتغشيهما بالذهب. رتصنع صحافها وصحونها وكاساتها وجاماتها التي يسكب بها من ذهب نقي تصنعها، وتصنع منارة من ذهب نقي. عمل الخراطة تصنع المنارة قاعدتها وساقها. تكون كاساتها وعجرها وأزهارها منها. وست شعب من جانبيها. من جانبها الواحد ثلاثة شعب منارة. ومن جانبها الثاني ثلاثة شعب منارة. وفي الشعبة الواحدة ثلاث كاسات لوزية بعجرة وزهر. وفي الشعبة الثانية ثلاث كاسات لوزية، بعجرة وزهر وهكذا إلى الست شعب الخارجة من المنارة. وفي المنارة أربع كاسات لوزية، بعجرها وأزهارها، وتحت الشعبتين منها عجرة. وتحت الشعبتين منها عجرة إلى الست الشعب الخارجة من المنارة تكون عجرها وشعبها منها جميعها خراطة واحدة من ذهب نقي. وتصنع سرجها سبعة. فتصعد سرجها لتضيء إلى مقابلها وملاقطها ومنافضها من ذهب نقي من وزنة ذهب نقي تصنع من جميع هذه الأواني وانظر فاصنعها على مثالها الذي أظهر لك في الجبل.

وتقول: (وتصنع خمسين شظاظاً من ذهب).

ففي سفر الخروج، وفي إصحاح واحد هو الإصحاح الخامس والعشرون ترد كلمة ذهب عشرين مرة. وكل ذلك، ليؤكد الرب عظمته وهيبته وقدسية ما يقول النبي موسى ليحفظ تابوت العهد.

ولا شك أن هذه الفقرات المطولة توحي لنا بكثير من الأسئلة. أولها: موسى وبنو إسرائيل في سيناء أي في الصحراء فمن أين يأتون بكل هذا الذهب؟.

ثانيها: إذا كان الذهب الذي يحتاجونه لهذا الصنع موجودا فهل يعني أنهم سرقوا المصريين كل ذهبهم؟.

ثالثها: ما العلاقة بين الله والتوحيد من جهة، والذهب وتابوت العهد الذهبي من جهة أخرى؟.

والمدقق في حياة بني إسرائيل يرى أن الذهب يشكل فيها العنصر الأول. وعلى مدى التاريخ عرف اليهود بالإتجار بالذهب في كافة الأوساط الاجتماعية العالمية. وقد جاء ذلك من خلال المخزون النفسي اليهودي الذي بني على أساس إقتصادي صرف.

أما بالنسبة لما ورد في التوراة، فان المدونين في السبي البابلي نقلوا كل ما يمكن نقله عن البابليين، خاصة ما يتعلق بشؤون العبادة والمعابد وملحقاتها، ومن الطبيعي أن يلعب أغلى معدن - وهو الذهب - دوره المهم فيما يخص المعبود عند بني إسرائيل. وسنجد ذلك أيضا، وبشكل واضح عندما يصنعون العجل الذهبي، ويعبدونه في غياب النبي موسى عليه السلام.

ويرد في سفر الملوك الأول والثاني عبارات كثيرة تدل بشكل واضح على دور الذهب في حياة بني إسرائيل.

فحسب ما جاء في التوراة أن سليمان بنى هيكل الرب (بخشب أرز وخشب سرو وذهب حسب كل مسرّته) ملوك اول9: 11

ثم يرد: (وأرسل حيرام للملك مائة وعشرين وزنة ذهب) ملوك 9: 14.

وتقول التوراة: (ولأجل المحراب عشرون ذراعا طولا وعشرون ذراعاً عرضاً. وعشرون ذراعاً سمكاً. وغشاه بذهب خالص وغشى المذبح بأرز. وغشى سليمان البيت من داخل بذهب خالص. وسد بسلاسل ذهب قدام المحراب وغشاه بذهب وجميع البيت غشاه بذهب إلى تمام كل البيت وكل المذبح الذي غشاه بذهب) ملوك أول 6: 20ـ 23.

وتقول: (وغشى الكروبين بذهب.) 6: 29.

وتقول: (وغشى أرض البيت بذهب من داخل ومن خارج). 6: 30 ـ 31.

وتقول: (ورسم عليهما نقش كروبيم ونخيل وبراعم وزهور وغشاهما بذهب، ورصّع الكروبيم والنخيل بذهب). 6: 32.

وتقول: (وعمل سليمان جميع آنية بيت الرب المذبح من ذهب والمائدة التي عليها خبز الوجوه من ذهب والمنائر خمساً عن اليمين وخمساً عن اليسار أمام المحراب من ذهب خالص والأزهار والسرج والملاقط من ذهب، والطسوس والمقاص والمناضح والصحون والمجامر من ذهب خالص. والوصل لمصاريع البيت الداخلي أي لقدس الأقداس ولأبواب البيت أي الهيكل من ذهب). ملوك أول 7: 48ـ 51

وتقول: (وأدخل سليمان أقداس داود أبيه الفضة والذهب والآنية جعلها في خزائن بيت الرب..) 7: 50.

وتقول التوراة: (وكان وزن الذهب الذي أتى سليمان في سنة واحدة ست مائة وستا وستين وزنة ذهب ما عدا الذي من عند التجار وتجارة التجار وجميع ملوك العرب وولاة الأرض) ملوك أول 10: 14ـ 15.

وتقول: (وعمل الملك سليمان مائتي ترس من ذهب مطرق. خص الترس الواحد ست مائة شاقل من الذهب وثلاث مئة مجنّ من ذهب مطرق خص المجنّ ثلاثة أمناء من الذهب) 10: 16ـ 17.

وتقول: (وعمل الملك كرسيا عظيما من عاج وغشّاه بذهب إبرين) 10ـ 18.

وتقول: (وجميع آنية شرب الملك سليمان من ذهب وجميع آنية وعر لبنان من ذهب خالص لا فضة) ملوك أول 10: 21.

والواقع أن تركيز التوراة على الذهب كان الأهم من الحديث على أي أمر آخر. وقد تناست أو تقصّدت أن تتناسى مهمة النبي سليمان في الدعوة لديانة التوحيد. وكانت لمسات الملك وحدها هي الطاغية على شخصية النبي سليمان وليست لمسات النبوة.

وطالما أن التوراة افترت على النبي سليمان وادعت أنه انحاز عن طريق الله حينما أمالت نساؤه قلبه وراء الآلهة الوثنية. فليس غريبا أن تركز على اهتمام شخصية سليمان على عنصر الذهب وليس على عنصر التوحيد والعقيدة. إن تحليل الشخصية اليهودية عبر التاريخ يدلنا على أنها شخصية بنيت على علاقة اليهودي بدنياه وهذه العلاقة تستند إلى مقولة أن الإنسان في هذه الدنيا يخلق جنته وجحيمه بيديه. فليس هناك جحيم ولا جنة في الآخرة. وإن كان، فإن العقلية الكهنوتية اليهودية تحقن في نفوس اليهود مقولة إن الله لن يحاسب اليهود، وأنهم سيدخلون النعيم بغير حساب.

وعبر التاريخ بنيت بعض الخرافات والأساطير حول علاقة اليهود بالذهب. وهذه الخرافات والأساطير خلقها اليهود أنفسهم. فهناك مقولة إن الله أنزل بدل المطر ذهبا على بني إسرائيل لمدة سبعة أيام وما شبعوا. وفي مساحات فولكلورية كثيرة يقول بعض الجهلة إن اليهود من يوم أن أمطر الله عليهم الذهب وهم أغنياء يمتلكون ذهب العالم. وهناك خرافات أيضا تقول بأن كنوز

الذهب المدفونة في الأرض لا يعرف مكانها وأسرار كشفها سوى اليهود. وكم من قصة، وكم من إشاعة وإشاعة صدرها اليهود. تقول بأنهم بعد حرب 1967 قد حفروا مناطق كثيرة في الجولان وجنوب لبنان وحتى في سيناء ووجدوا كميات هائلة من الذهب.

ومع كل ما في هذه الأقاويل من خرافات ومبالغات فإن الثابت لدى الناس جميعاً حتى الأوروبيين بأن العقلية اليهودية عقلية مالية، وعلاقتها بالذهب علاقة وطيدة. وقد برزت هذه المقولات في الأدب الأوروبي بشكل عام. فمسرحية تاجر البندقية لشكسبير، أكبر دليل على عقلية اليهودي المحب للمال والذهب. فشايلوك اليهودي لم يثره هرب ابنته مع رجل مسيحي بقدر ما أثارته سرقة ذهبه وأمواله.

وقد أشاع اليهود منذ زمن بعيد أسطورة ما يسمى كنوز سليمان. وقد تناقلتها الألسن في التراث العربي بشكل واسع جدا وكذلك في التراث الأوروبي. وقد أضفت حولها كثيرا من الهالة والتضخيم حتى أصبحت في التفكير الشعبي شيئا لا يضاهى...

يهوه الإله المحارب

في أسفار التوراة الأولى، يبرز لنا سياق الأحداث الملحمي للقصص والحكايات التي تصور بداية صراع بني إسرائيل مع كثير من الأقوام التي كانت تقطن في شرقي الأردن وجنوب فلسطين. وهذه الأحداث التي تتطور، يتطور معها تصور بني إسرائيل للإله فهو أولا يأمرهم بالحرب، ويعدهم بسحق أعدائهم، ثم التدخل لصالحهم بقوة لا يمكن ردها ولو كانوا معتدين أو كانوا على باطل.

ويبلغ أوج الملحمة الأسطورية التوراتية في سفر يشوع، حيث تبدأ الصياغة بتسليط الضوء على طبيعة الإله المحارب.

ومن الطبيعي أن التصورات الإسرائيلية لهذا الإله تتجاوب مع الواقع الموضوعي والنفسي الذي يعيشه بنو إسرائيل في كل مرحلة من مراحل حياتهم.

وعلى الرغم من أن كثيرا من الدراسات تنفي ما تقوله التوراة عن الفتح الحربي الذي أجراه يشوع والإسرائيليون(1) إلا أن التدوين التوراتي يعطي لتلك الحروب التي قادها يشوع أهمية كبرى، باعتبارها تنفيذا لوصايا الرب ووعوده.

وبغض النظر عن صحة ما ورد في سفر يشوع أو عدم صحته، إلا أن التصورات التوراتية للإله تأخذ أهمية بالغة في هذا السفر. إذ يرى القارئ تحول هذا الإله إلى قائد عسكري دموي يقود مجموعة متوحشة من البشر باتجاه الإبادة للبشر والمدن والحضارة.

وترتكز صورة يهوه على الارتباط بما يسمى تابوت عهد الرب، فبه ينتصر إسرائيل وبدونه ينكسرون. وتركز الإصحاحات الأولى من سفر يشوع على وجود هذا التابوت باعتباره رمز العقيدة الإسرائيلية.

وتقول التوراة: (وأمروا الشعب قائلين عندما ترون تابوت عهد الرب إلهكم والكهنة اللاويين حاملين إياه فارتحلوا من أماكنكم وسيروا وراءه) يشوع 3: 3.

وتقول: (وقال يشوع للشعب تقدسوا لأن الرب يعمل غدا في وسطكم عجائب) يشوع 3: 5.

ثم تقول (هو ذا تابوت عهد سيد كل الأرض عابرا أمامكم في الأردن) 3: 11.

---

(1) ينفي فراس السوّاح دخول يشوع ارض كنعان ومن ثم ينفي كل ما حدث من مذابح على يد يشوع

ويرى بعض الباحثين المستندين على كلام التوراة أن يهوه إله حرب إقليمي، مثله مثل آلهة القبائل أو الممالك الأخرى، المنتشرة في الشرق القديم، اتخذه موسى إلها وجعله ينطق بما يشاء، ويضع الأوامر والأحكام على لسانه لتكتسب صفة القدس وفرض عبادته على قومه بني إسرائيل بالإرهاب المصحوب بالقتل والتذبيح⁽¹⁾ والواقع أن النبي موسى عليه السلام لم يدعُ إلى إله قبلي يذبح ويقتل ولكن التوراة المدونة هي التي شوّهت شخصية النبي موسى عليه السلام، بل شوّهت الإله، وجعلته إلها محاربا مزاجيا دمويا.

تبدأ قصة المحارب من هذه المستندات، والتصور التوراتي يحصر الإله في كونه قائدا عسكريا يخوض المعارك أمام بني إسرائيل

تقول التوراة: (وعبر بنو رأوبين وبنو جاد ونصف سبط منسى متجهزين أمام بني إسرائيل كما كلمهم موسى، نحو أربعين ألفا متجهزين للجند، عبروا أمام الرب للحرب إلى عربات أريحا) يشوع 4: 12- 13.

والواقع الذي يشير إليه النص أن الإله قائد عسكري أعلى يستعرض صفوف الجند والمقاتلين ثم يبعث هذا الإله القائد نائبه ليلتقي يشوع شاهرا سيفه، ويلبس عدة الحرب ليخوض المعركة الدموية إلى جانب بني إسرائيل.

تقول التوراة: (وحدث لما كان يشوع عند آريحا أنه رفع عينيه ونظر وإذا برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده فسار يشوع إليه وقال له هل أنت لنا أو لأعدائنا فقال كلا بل أنا رئيس جند الرب الآن أتيت فسقط يشوع على وجهه إلى الأرض وسجد وقال له بماذا يكلم سيدي عبده فقال رئيس جند الرب ليشوع إخلع نعلك من رجلك لأن المكان الذي أنت واقف عليه هو مقدس) يشوع 5: 13- 15.

---

(1) جرجي كنعان: وثيقة الصهيونية في العهد القديم ص 43.

ويقود الرب المحارب بني إسرائيل في معارك عديدة، يفتح البلدان والمدن ويأمر بتصفية أبنائها. يقتل الرجال والنساء والأطفال والشيوخ والبقر والحمير، وتحرق المدن، وهذا ما تصرح به التوراة نفسها.

تقول التوراة: (لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم) يشوع 23: 3.

وتقول: (قد طرد الرب من أمامكم شعوبا كثيرة وقوية... رجل واحد منكم يطرد ألفا لأن الرب هو المحارب عنكم كما كلمكم) يشوع 23: 10.

وتقول التوراة: فبعد غزو الرب ويشوع لعشرات المدن يستعرضان مرة أخرى جنود بني إسرائيل (وجمع يشوع جميع أسباط إسرائيل إلى شكيم. ودعا شيوخ إسرائيل ورؤساءهم وقضاتهم وعرفاءهم فمثلوا أمام الرب) يشوع 24 /1ـ 2.

وفي الملحمة اليشوعية التوراتية نرى أن الإله ذو نفس متصلبة قاسية، روحه عنيفة حاقدة، مرعبة، منتقمة، ونفسيته تشتعل بالثأر والانتقام، يسير أمام المحاربين لأنه رب الجنود، ويأمر بتدمير المدن وتذبيح البشر في هجمات بربرية وحشية.

ويبدو أن بني إسرائيل منذ اتخذوا يهوه إلَهاً لهم، جعلوه إلَهاً غاضباً ظالماً قاسياً يسر لرائحة المحرقات وينتشي برائحة الدم. ومسيرة الملحمة اليشوعية تظهر لنا طبيعة هذا الرب المحارب.

جاء في سفر يشوع (ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تضرمون المدينة بالنار. كقول الرب تفعلون) يشوع 8:8. ثم يعلّم الرب يشوع طرق الحرب وأساليبها وفنونها فقال الرب ليشوع مد المزراق الذي بيدك نحو عاي لأني بيدك أدفعها). يشوع 8: 18.

وتقول التوراة: (وأخذ يشوع جميع أولئك الملوك وأرضهم دفعة واحدة لأن الرب إله إسرائيل حارب عن إسرائيل). يشوع 10: 42

وتقول التوراة: (فقال الرب ليشوع لا تخفهم لأني غدا في مثل هذا الوقت أدفعهم جميعا قتلى أمام إسرائيل فتعرقب خيلهم وتحرق مركباتهم بالنار) يشوع 11: 6.

ويأمر الرب يشوع أن يجعل بعض المدن ملجأ للمجرمين وقطاع الطرق فيقول:

(وكلم الرب يشوعاً قائلا كلم بني إسرائيل قائلا إجعلوا لأنفسكم مدن الملجأ كما كلمتكم على يد موسى لكي يهرب إليها القاتل ضارب نفس سهوا بغير علم) يشوع 20: 3. وتكمل قولها: (فتكون لكم ملجأ من ولي الدم، فيهرب إلى واحدة من هذه المدن ويقف في مدخل باب المدينة ويتكلم بدعواه في آذان شيوخ تلك المدينة فيضمونه إليهم إلى المدينة ويعطونه مكانا فيسكن معهم) 20: 4. وإذا تبعه ولي الدم فلا يسلموا القاتل بيده)20: 5.

وتقول التوراة: (وأنتم قد رأيتم كل ما عمل الرب إلهكم بجميع أولئك الشعوب من أجلكم لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم) يشوع 23: 3

وفي سفر القضاة ترد مقاطع كثيرة تشير إلى أن الرب إله إسرائيل كان يتدخل باستمرار إلى جانب بني إسرائيل في حروبهم العدوانية ضد الشعوب والقبائل.

تقول التوراة: (فقالت دبورة لباراق قم. لأن هذا هو اليوم الذي دفع فيه الرب سيسرا ليدك. ألم يخرج الرب قدامك. فنزل باراق من جبل تابور ووراءه عشرة آلاف رجل فأزعج الرب سيسرا وكل المركبات...) قضاة 4: 15ـ 15.

وهكذا نجد الإله التوراتي قائدا عسكريا يخطط للمعارك، ويتدخل عند اللزوم لصالح بني إسرائيل، إن كانت حربهم عدوانية، أو كانت لأجل السلب والتدمير أو القتل الجماعي والإبادة.

وقد أشرنا منذ البداية إلى أن هذا التصور التوراتي للإله المحارب، والمعارك الإبادية التي خاضها بنو إسرائيل لا يأتي على ذكرها القرآن الكريم. وقد تحدث القرآن الكريم عن صراع بين طالوت وجالوت. وجبن بني إسرائيل وفرارهم من المعركة أمام جيش جالوت. أما فيما يتعلق بالملحمة التوراتية اليشوعية، فان التوراة تنفرد بالحديث عنها.

وقد أكد الباحثون الآثاريون والمؤرخون عدم وقوع هذه الملاحم التوراتية اليشوعية وذلك بسبب عدم ورود أي دليل تاريخي أو أثري يدل على وقوعها.

وإذا كانت قد حدثت فإنها في كافة الأحوال تفصح عن العقلية التوراتية المتمسكة بالإله الخاص المحارب الذي يخص بني إسرائيل وحدهم.

التوراتيون والإشراك بالله

تحدثنا في صفحات سابقة عن التعددية في العقيدة التوراتية وكذلك عن الإله العنصري والقبلي، وكذلك تعرفنا على علاقة الإله التوراتي بالذهب، ثم تعرضنا لهذا الإله المحارب، الذي تصوره التوراة بالقائد العسكري والمخطط الحربي الاستراتيجي.

وفي هذه الصفحات نرى عقيدة التوراتيين وقد جعلت هذا الإله بين آلهة أخرى. ومن ثم افترض التوراتيون أن له ولدا أو أولادا. وما إلى ذلك من قضايا الاشراك بالله، التي تدل على العقلية التوراتية الأسطورية وتخلفها عن ديانة التوحيد.

ونستطيع أن نرى عدة اتجاهات للعقيدة التوراتية في هذا الاتجاه:

1ـ الطغيان الأسطوري على العقيدة.

2ـ الثنائية الإلهية بحيث يظهر الإله التوراتي ليس وحده في هذا الكون

3ـ نسب بعض البشر لهذا الإله.

أما الطغيان الأسطوري فإنه يظهر في سفر التكوين بشكل كبير وفي الأسفار الأخرى بشكل موجز.

يرد في سفر التكوين: (وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت. فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت) تكوين 3: 8 ـ 9 ـ 10.

وجاء في سفر التكوين: (وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر. والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد فأخرجه الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أُخذ منها) تكوين 3: 22ـ 23.

ومن خلال هذين النصين نجد أن العنصر الأسطوري يطغى على كافة المفاهيم المطروحة وعندما نقول العنصر الأسطوري فإننا نعني به الاعتماد على عنصر الأسطورة المخالف لطبيعة التوحيد. فالله في النصين:

1ـ مجسد يتمشى لا يعلم أين آدم وامرأته يختبآن، فيقول النص أين أنت هو سؤال استفهامي وليس سؤالاً استنكاراً. والدليل على ذلك تجسيد القدرة الكلية المطلقة بقدرة جزئية، أو بعجز واضح.

2ـ وهو ليس له علم الغيب ولا القدرة على معرفة ماذا سيحصل مستقبلاً. لأن قول التوراة صار كواحد منا يعني أن آدم صار كالإله. ثم قولها لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ...

3ـ سبب كون الإله إلهاً يتجسد بالأكل من شجرة المعرفة وشجرة الحياة. فالله يبقى حيا لأنه أكل من شجرة المعرفة وشجرة الخلد وكل من يأكل منها يصبح مثله إلهاً. فهناك ثلاث صفات تنتقص من صفات الله الخالق.
وهي: أنه مجسد، وليس له علم بالغيب. ويخاف مما يتوقع حدوثه.

وهذه الصفات هي تخيل توراتي أسطوري لطبيعة الإله التوراتي. وهي تنم عن جهل في عقيدة التوحيد. وتنم عن إشراك بالله وبطبيعة الذات العلية له.

جاء في سفر التكوين: وحدث لما ابتدأ الناس يتكاثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسناوات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا. فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد. 6: 1 ـ 2

و تقول: (وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً. هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو إسم) 6: 4

وجاء أيضا في التكوين: (ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض. وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. فحزن الرب لأنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه. فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته) 6: 5ـ 7.

ومرة أخرى فالنصوص تنفي عن الله العلم المسبق المحيط بكل شيء. غير أن ذلك لا يتوقف هنا بل تصف الله أن له أولادا. وتعجبهم بنات البشر فيهبطون من عليائهم ليتزوجوهن. فمن هم أبناء الله؟. هل تقصد التوراة جنس الملائكة؟ أم تقصد أن أبناءه بشر أو لهم صفات البشر ينكحون ويعاشرون النساء. فإذا كان المقصود الأول فان النص لا يشير إلى أنهم ملائكة، ثم أن الملائكة أجسام نورانية ليس لها صفات البشرية فهي لا تشتهي وليس لها أعضاء تناسلية. وهي منزهة عن البشرية. لها طبيعتها الخاصة وإن كان المقصود أن لله

أبناء وهذا ما يشير إليه النص. فهم كالبشر ولهم شهوة وأعضاء تناسلية يقدرون على ممارسة الجنس مع النساء.

وفي الحالتين فإن التوراتيين يقعون في دائرة الشرك والكفر. ويضعون طبيعة الله في دائرة الحس الأسطوري الذي تناقلوه عن أساطير الشعوب الوثنية ثم إنه لو كان لله أبناء فلماذا لا يكون له بنات؟ يتزاوجون أبناء وبنات وينجبون أولادا لهم طبيعة الآلهة، طالما أن العنصر الإلهي مفضل على العنصر البشري؟.

إن النص التوراتي يريد أن يقول إن لله أبناء محرومين من الجنس ومن النساء. ولا يوجد نساء إلا بين البشر فاختار أبناء الله التنازل عن عنصرهم الإلهي وأرادوا أن يمارسوا مع البشر بشريتهم المتجسدة فقط في إعجابهم بالنساء البشريات ومن ثم ممارسة الجنس معهن وإنجاب أولاد منهن.

وعلى هذا أيضا لا نستخلص أن الأطفال المنجبين سيكونون ذوي نصفين في الطبيعة أي أنصاف آلهة وأنصاف بشر؟ أليس هذا هو التراث الأسطوري الذي استفاده التوراتيون من أساطير الشعوب التي تؤلّه ملوكها وأمراءها وقادتها الكبار، وفي سياق الطغيان الأسطوري الدال على الإشراك بالله تصور الإله ذا مزاج متقلب وتصور أفعاله بسبب ردة فعل آنية.

وتقول التوراة: (وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته) تكوين 8: 21.

وتقول التوراة: (فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما وقال الرب وهو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض. فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض فكفوا عن بنيان المدينة) تكوين: 11: 5 ـ 8.

ففي النص الأول يتضح أن الإله التوراتي صمم أن يقلع عن تدمير الأرض وإماتة البشر بعد أن يكون قد لعن الأرض لكثرة شرور بني البشر ووعد نوحا أن يبيد البشرية بالطوفان بعد أن أمره أن يبني فلكا يصعد فيه هو وأبناؤه.

أما النص الثاني ففيه أكثر من مظهر للإشراك بالله:

1ـ نزول الله من عليائه ليرى ماذا يبني هذا الإنسان.

2ـ غيرة الله من بني البشر لأنهم لسان واحد ويريدون بناء مدينة عظيمة.

ويتضح من خلال النص أن بني آدم لو ظلوا على لسان واحد وعمل واحد لفعلوا المعجزات التي من شأنها الخروج عن قدرة الله وتسييره للكون

3ـ قول التوراة هلم ننزل... فإما أن كلمة هلم هي قول الرب لنفسه بينه وبين ذاته أو أنها قوله لجنده وأمرٌ بالهبوط من السماوات العُلى إلى الأرض.

4ـ يفترض هذا النص أن الله ليس له علم مسبق بما سيؤول إليه الإنسان وعمله في الأرض وهذا أيضا يفترض أن الله لم يكن قبل أن ينظر إلى الأرض يعلم أن بني البشر راحوا يسعون لبناء مدينة وبرج في بابل. وبمعنى آخر فإنه كان ساهيا أو غافلا أو ما شابه ذلك. وهذا ما يدل بشكل قاطع على الشرك بالله والكفر بعظمته وقوته المطلقة. وقد ظهرت الوثنية بشكل مريع في نصوص التوراة. ويظهر أن تعدد الآلهة كان سمة بارزة لدى الشعوب آنذاك فمنذ النبي يعقوب تبدأ نصوص التوراة بالحديث عن الآلهة الأخرى من دون الله وكأنها أمر مسلم به، وكأن الإله واحد من هذه الآلهة. جاء في سفر التكوين: (فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه اعزلوا الإلهة الغريبة التي بينكم) 35:2.

جاء في سفر الخروج: (الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الإلهة) 18:11. وهذا القول جاء على لسان يثرون حمي موسى. وهو الذي وصفته التوراة

بأنه رجل صالح وزوج ابنته للنبي موسى. . وقوله أعظم من جميع الإلهة، هو مقارنة بين الإله والآلهة الوثنية المصنوعة بيد البشر. وهذا غير صحيح لا بالمقارنة ولا في سياق الإيمان بالإله المنزه الواحد وقد جاء في سفر الخروج: (لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضيّ) 20: 3ـ 5.

وجاء في سفر الخروج: (من مثلك بين الإلهة يا رب من مثلك معتزا في القداسة مخوفا بالتسابيح) 5: 11.

ونحن نريد أن نسأل مصنف هذا الكلام هل كان إله موسى بين الآلهة معتزا بالقداسة؟ وإذا كان كذلك فما موقعه فيما نبحث عنه في الأسفار الخمسة من الإشراك بالله. ويعلق عباس العقاد على ذلك بقوله: إن الوحدانية التي كان يدركها بنو إسرائيل في ذلك الزمن لم تكن وحدانية تفكير، ولكنها وحدانية تغليب لرب من الأرباب على سائر الأرباب. ولم يخط اليهود خطوة غير هذه الخطوة وهي أن لليهود إلها يعلو على آلهة غيرهم من البشر(1).

وجاء في سفر التثنية: (لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم لأن الرب إلهكم إله غيور في وسطكم لئلا يحمى غضب الرب إلهكم عليكم فيبيدكم عن وجه الأرض) 6: 14ـ15.

و لقد أصبح التوحيد يعني الواحد بالمعنى الرياضي (إسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد) تثنية 6: 4.

(و لما كان النصر في المعارك هو انتصار الإله على الآلهة الأخرى حسبما

---

(1) عباس محمود العقاد. إبراهيم أبو الأنبياء. ص 60 دار الهلال القاهرة بدون تاريخ.

تمليه بيئة الطوطم الثقافية، قال الكهنة وهم يضاهئون أعدائهم (الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة) خروج 18: 11 كما قالوا لنفس، السبب (إن الله قائم في مجمع الله في وسط الإلهة يقضي) مزامير 82: 1 إنه زعيم الآلهة إنه أعظمهم، (من في السماء يعادل الرب من يشبه الرب بين أبناء الله) مزامير 89: 6 (فلله أبناء والطريق إلى الألوهية أسهل)(1).

ومن هذا الذي تقدم نرى أن الإله التوراتي يدل على قصور عقل بني إسرائيل، والكتبة الذين دونوا هذا التوراة، لم يدركوا حقيقة التوحيد، ولا عرفوها. وهذا الذي أتوا به يتناقض كلياً مع ما أوحي إلى النبي موسى عليه السلام. ويتناقض حتماً مع نظرته كنبي موحد للذات الإلهية. ولو عدنا إلى القرآن الكريم نجد أن صفات الله كما عرفها موسى ليست هي صفاته التي وردت في التوراة المدونة. وطالما نسبوا للإله أبناء يتزوجون من بنات الناس في الأرض، فقد سهل عليهم أن ينسبوا عزيراً إلى الله فقالوا إن عزيراً ابن الله.

يقول الله تعالى: (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون) التوبة الآية: 3

يقول الله تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) التوبة: 31.

والواقع أن القرآن الكريم يوضح لنا أن من آمن بعقيدة موسى قليلون جداً وإيمانهم كان خوفاً ولم يكن إيمان عقيدة.

---

(1) عمر لطفي النجار. العقل والإلحاد ص 143 مكتبة المبتدأ والخبر دمشق 1997 ط1.

يقول تعالى: (فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملإيهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين) يونس 83.

و يتضح أن المسافة بعيدة جداً بين فهم موسى عليه السلام لطبيعة الله سبحانه وبين فهم اليهود أو بني إسرائيل. ولذلك نجد أن موسى يتذمر منهم طوال دعوته بينهم. وقد نصت التوراة على هذا التذمر كما أن القرآن الكريم عرض لذلك في آياته البينات كما رأينا مما سبق.

تطور مفهوم الإله عند بني إسرائيل

بعد السبي البابلي حدث اندماج بين اليهود وبين البابليين. فكان لا بد من التأثير والتأثر. ولما كان الأقوى يؤثر بالأضعف فإن بني إسرائيل هضموا تراث البابليين العقيدي وحاولوا مجاراتهم العقيدية في كثير من أجزاء العقيدة.

ومنذ البداية عرفنا أن بني إسرائيل حملوا مفهوماً محدداً للإله الخاص بهم. وعندما استقروا مسبيين في بابل وجدوا أن الله الذي تمثلوه لم يكن سوى إله القومي صغير بالقياس إلى آلهة البابليين ولاسيما الإله الكبير مردوخ.

ولقد أدرك بعض أنبيائهم هذا التفاوت الكبير في طبيعة الفهم لذات الله، فكان لا بد من إعادة النظر فيها وصياغتها صياغة جديدة تتناسب مع تطور الفهم ذاته. لقد ظن بنو إسرائيل أن يهوه إله لا يقهر وشعبه لا يقهر. وعندما أصبح الانهزام أمراً واقعاً، وأصبح بنو إسرائيل أسرى بيد البابليين سقطت مفاهيم كثيرة ترتبط بالإله القوي يهوه. فشعبه يهزم ويسبى، ولذلك فإنه حسب رأي الكثير منهم إله مهزوم لا يقدر على الصمود أمام آلهة الشعوب

إن هذا ولّد لدى أنبيائهم ردود فعل نفسية وفكرية. فخرجوا بنظرة جديدة للإله. الإله الأعظم والأكبر، الإله الواحد الذي لا تحاربه آلهة ولا أصنام أو أوثان وقد تجلت هذه النقلة النوعية في مفهوم الإله منذ النبي إشعيا.

جاء في التوراة: (أنا الرب وليس آخر. لا إله سواي. أنا الرب وليس آخر، مصدر النور وخالق الظلمة، صانع السلام، أنا صنعت الأرض وخلقت الإنسان عليها) أشعيا: 45.

و تقول أيضاً: (هكذا يقول الرب خالق السماوات وناشرها، باسط الأرض ورازقها ومعطي الشعب عليها نسمة، والساكنين فيها روحاً... أنا الرب وهذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر) إشعيا24: 5 ـ 8.

و تقول أيضاً: (أنا الأول والآخر، ولا إله غيري، وكل شيء أنا أعلم به، أنا الرب صانع كل شيء. ناشر السماوات وحدي، باسط الأرض، من معي؟ مبطل آيات المخادعين، وممحق العرافين، مرجع الحكماء إلى الوراء، ومجهِّل معرفتهم، مقيم كلمة عبده، ومتمم رأي رسله) إشعيا 44.

و قبل إشعيا بقليل كان النبي إرميا من أكثر أنبياء التوراة نقداً لبني إسرائيل وعقيدتهم وهو الذي أسس تقريباً لمفهوم الإله العادل المنصف كلِّي الجبروت.

جاء في التوراة أن يهوه أمره (أوصهم إلى سادتهم قائلاً: هكذا قال يهوه رب الجنود إله إسرائيل إني أنا صنعت الأرض والإنسان والحيوان الذي على وجه الأرض. وأعطيتها لمن حسن في عيني) إرميا 27: 4 ـ 5

و عند إشعيا الثالث تأكيد على أن يهوة ليس في شديد حاجة إلى المعبد (هكذا قال الرّب السساوات كرسي والأرض موطئ قدمي. أين البيت الذي تبنون لي وأين مكان راحتي) 66: 1

وعلى الرغم من هذا التحول فإن مفهوم الإله ظل معنياً به إله إسرائيل، وليس إله كل الشعوب. صحيح أنه حسب هذا التحول إله خالق السماوات والأرض والإنسان والحيوان لكنه ظل هو يهوه أي إله إسرائيل الذي يخص بني

إسرائيل ويغضب على من سواهم.

و لم يستطع بنو إسرائيل التخلص من هذه النظرة، وقد انعكست على جميع تصوراتهم، حتى تلك التي برزت بعد السبي البابلي واستمرت طويلاً إلى يومنا هذا.

إن من يعتبر اليهودية ديانة توحيدية يكون مخطئاً. لأن مستندها كما هو معروف تخيلات وتصورات وروايات كتبها أحبار اليهود أيام السبي البابلي. في ديانة أقرب إلى الوثنية. وتختلف كلياً عن عقيدة النبي موسى عليه السلام التي وصفها القرآن الكريم وبين فيها ذات الله المتنزهة عن التجسيم والتجسيد والمحدودية البعيدة عن الوثنية، والتعددية وما إلى ذلك مما تخيله مدونو التوراة.

تطور مفهوم الله عند فلاسفة اليهود

لم تخل العقيدة اليهودية من آراء فلسفية لعبت دوراً ما في تطور مفهوم الإله. فقد كان لهذه الآراء دور في نقد العقيدة اليهودية مما آلت إليه من تراكمات وثنية كثيرة وقد حاول بعض فلاسفة اليهود تحديد بعض المفاهيم المتعلقة بإله كذات.

وأقدم فلاسفة اليهود الذين وفّقوا بين النظرة الدينية والأفكار الفلسفية هو فيلون الإسكندري الذي ولد في السنة العشرين قبل الميلاد وتوفي بعد الميلاد بنحو سبعين سنة. وهذا يعني أنه عاش ما يقارب التسعين سنة. وقد اطلع فيلون على الفلسفة اليونانية وهضمها، واستطاع أن يصل إلى بعض الأفكار التوفيقية بين العقيدة اليهودية والفلسفة.

و تجلى نقده للتوراة والعقيدة اليهودية برفضه للصفات التي ألحقها كتبة التوراة بذات الله وقد رفض التجسيم والتشبيه. ورأى أن الله في وجوده الكامل

المطلق أعلى من أن تحده صفة تدركها العقول. لقد تعلم فيلون من دينه أن الله ذات، وتعلم من الفلسفة أن الله عقل مطلق مجرد من ملابسات المادة.

و كان فيلون يرفض أقوال الرواقيين التي تشبه القول بوحدة الوجود، وتجعل الله من العالم والعالم من الله. ولكنه أيضاً كان يرفض مذهب أرسطو في تجريده الله عن المخلوقات وزعمه أن كمال الله يقتضي هذا التجريد. ويرفض فيلون زعم الزاعمين أن الله يحتويه مكان أو زمان لأنه محيط بكل مكان وكل زمان.

يقول (إن الله واحد ولكنه بقدرته خيّر وحاكم فبالخير صنع العالم وبالحكم يديره وثمة شيء ثالث يجمع بين القدرتين وهو الكلمة لأن الله بالكلمة يجود ويحكم. والكلمة كانت في عقل الله قبل جميع الأشياء. والواقع أن أقوال فيلون اليهودي كانت بمثابة ثورة دينية في بني إسرائيل. وقد أدت هذه الثورة إلى انقسام المجتمع اليهودي إلى قرائين ملتزمين بالنصوص وربانيين يجيزون التفسير والتوفيق بين النص ومعطيات العلم والفلسفة. وقد ظهرت بوادر هذا الانشقاق بعد فيلون بتسعة قرون أي في زمن شيوع الفلسفة الإسلامية واستفاضة البحث في مسألة القضاء والقدر على الخصوص لأنها هي المسألة التي استحكم عليها الخلاف بين القرائين القائلين بالقضاء والربانيين القائلين بالاختيار)(1).

وقد برز من بين اليهود الفيلسوف موسى بن ميمون القرطبي (1135 ـ 1204) وقد حضنته الحضارة العربية في الأندلس وبرع في الطب لكنه قرأ علوم الكلام وبحوث التوحيد الإسلامية واطلع على فلسفة اليونان باللغة العربية فألف كتابه الأول (دلالة الحائرين) وتناول فيه مسائل الفلسفة ببعض التفصيل، ولا سيما مسألة الذات والصفات ومسألة المعاني والنصوص. وقد نقد تفسيرات بعض الربانيين اليهود فيما نسبوه إلى الله وفسر النصوص تفسيراً مختلفاً عما

---

(1) عباس العقاد. الله في عقائد الشعوب صفحة 167.

عهدوه من التفاسير.

ففسر مثلاً قول التوراة (إننا نصنع إنساناً على صورتنا وشبهنا) بقوله: إن الناس قد ظنوا لفظ صورة في اللسان العبري يدل على شكل الشيء وتخطيطه فيؤدي ذلك إلى التجسيم المحض ورأوا أنهم إن فارقوا هذا الاعتقاد كذبوا النص. وقال عن صفات الله كلها: إنها وضعت بحسب الأفعال الموجودة في العالم. أما إذا اعتبرنا ذاته مجرداً عن كل فعل فلا يكون له اسم مشتق بوجه، بل اسم واحد مرتجل للدلالة على ذاته.

و يقول (تبرهن أن الله عز وجل واجب الوجود، لا تركيب فيه، ولسنا ندرك إلا آنيته لا ماهيته).

ويقول: إن الله صورة العالم وسبب وجوده لأن وجود الباري هو سبب لكل وجود، وهو يمد بقاءه بالمعنى الذي يكنّى عنه بالفيض.

و يقول ابن ميمون بحدوث العالم: (أما أنا فأقول إن العالم لا يخلو من أن يكون قديماً أو محدثاً فله مُحدِث بلا شك.

ويقول (الاعتقاد بأن الله ليس جسماً لا يعارض المعتقدات الدينية التي تقوم عليها الشريعة، في حين أن الاعتقاد بقدم العالم كما هو الحال عند أرسطو يقضي على أساس الشريعة أي أنه يثبت عدم الجسمية لله عز وحل ويثبت أن العالم حادث(1).

وخرجت لنا بحوث معاصرة قالت بأن فلسفة ابن ميمون تستند في غالبيتها إلى صوفية محي الدين بن عربي. وقد كشف بعض الباحثين الاسبان أن ابن ميمون قد سرق الكثير من فلسفة ابن عربي ونسبها إليه. فليس له الفضل في أي نظرة فلسفية حول العقيدة وخاصة تلك المرتبطة بذات الله وصفاته.

---

(1) دلالة الحائرين الفصل 25 ج2. نقلاً عن كتاب. نقد التوراة للدكتور أحمد حجازي السقا ص 55.

الفصل الثالث

معالم النبوة ومفهومها
بين التوراة والقرآن

الإيمان بالأنبياء جزء من العقيدة

من المعروف أن العقيدة لا تكتمل ما لم يكتمل الإيمان بالله، وملائكته وبكتبه، وبأنبيائه، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره. وقد أوضح القرآن الكريم في كثير من آياته أن أركان الإيمان هي تلك التي أوردناها.

ولا يجوز الإيمان بالله والكفر بأنبيائه، ولا يجوز أن يكون الإيمان إلا بالأركان كلها. فهي تتكامل ومن ينتقص منها لا يكون مؤمنا.

يقول تعالى: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) البقرة الآية 285.

وكثيرة هي الآيات التي تشير إلى تكامل أركان الإيمان وتداخلها فيما بينها، وتحت هذه الأركان تندرج عشرات الأمور حتى روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: الإيمان بضع وسبعون شعبة أولها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الإيمان.

وفي أصول العقيدة فإن أركان الإيمان ترتبط أولا بالإيمان بالله وحده. وما أمر الله به يصبح ملزما لمن يريد أن يصبح مؤمنا حقا. وقد فرض الله سبحانه الإيمان بكتبه ورسله وملائكته وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

معنى النبوة والرسالة:

قد يظن بعضنا أن النبي إنما سمي بذلك لأنه يتنبأ بالغيب، أو المستقبل. والواقع أن مدلول كلمة نبي لا يعني التنبؤ بالغيب، فالغيب محصور لله سبحانه وتعالى. وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أنه لو يعلم الغيب لاستكثر من الخير وذلك في القرآن الكريم.

يقول تعالى في سورة الأعراف: (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون. قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) الأعراف الآية 187- 188.

وهذا أبلغ تصريح بأن النبي لا يعلم الغيب ولا يتنبأ. إنما هو نذير وبشير لمن يؤمن.

أما النبوة فتعني معنى الإخبار وهو النبأ. والنبي هو الذي يوصل ويحقق ما أمر به الله عن طريق الوحي. ومهمة النبي على هذا الأساس هي علاقة قائمة بين الخالق والنبي. هذه العلاقة تحقق الإبلاغ والإنباء. وهي تهدف إلى إيصال الخير من الله إلى عباده عن طريق من اختاره وهو النبي)(1).

أما الرسالة فهي صلة ما بين الرسول والناس. ولهذا كانت النبوة مما يمكن أن يتحقق بها معنى الرسالة إذا كلف النبي بالتبليغ(2).

---

(1) د: عبد السلام التونجي. الإيمان بالأنبياء والرسل ص 31.

(2) المرجع السابق. ص 31.

حاجة الناس إلى الأنبياء :

منذ أن خلق الله سبحانه آدم عليه السلام أرادت حكمته أن يكون أول البشر نبيّاً فكان آدم عليه السلام أول نبي لبني البشر. وقد حفل التاريخ الإنساني بشخصيات كان لها من الميزات والصفات ما مكنها من قيادة المجتمعات إلى طريق الهداية وبناء الأرض بناء صالحاً. لقد وُجد المصلحون والمفكرون والقادة الاجتماعيون، ليؤثروا في مسيرة أبناء قومهم. بعث الأنبياء والمرسلون ليوضحوا الرابط بين الخالق والمخلوق، بين الدنيا والآخرة.

والنبي المرسل، هو حامل تلك العلاقة بين السماء والأرض، يتلقى تعاليم السماء عن طريق الوحي، ويبلغها للبشر كي يظل التوازن قائماً في الأرض. ومن الطبيعي أن الصراع بين الخير والشر بمفهومهما العام يحتاج لمن يدافع عن الخير ويتصدى للانحراف ولذلك كان الأنبياء قادة يدعون للخير والصلاح والعلاقات الإنسانية الطيبة.

والصراع بين الخير والشر، يرتبط بالحساب الأخروي. وقد قدم الأنبياء بشكل واضح، طريق النجاة الموصل إلى حياة أخرى بعد الموت وأوضحوا لبني البشر آلاف التعاليم والموازين، التي تفرق بين طريق الهلاك والندم، وطريق الرضا وراحة النفس. ولم يعد لبني البشر حجة على الله، بأن التعاليم لم تصلهم، أو لم يعرفوها، لأن الله سبحانه بعث الأنبياء موضحين شارحين كل السبل على شتى نتائجها. يقول تعالى :

(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) الإسراء 15.

وهذا هو الميزان المنطقي الذي لا يرفضه عاقل. فمهمة الرسول التبليغ وإظهار طريق الحق من طريق الباطل. وما كان الله ليعذب أحداً أو قوماً دون أن يبعث لهم رسولاً يرشدهم إلى طريق الحق. فإن أبوا كان العذاب الإلهي جزاءً

وفاقاً لهم. وعندما ننظر إلى كافة الأقوام التي وجدت عبر التاريخ نرى أن الله بعث لها الأنبياء والرسل والمصلحين.

وفي آيات القرآن الكريم ذكر لكثير من الأقوام ولأنبيائهم. يبين من خلال آيات القرآن الكريم منهج الدعوة عند الأنبياء جميعاً وكذلك يوضح كيف أن العذاب لا يحيق بقوم إلا بعد أن رفضوا دعوة الأنبياء للتوحيد والصلاح والخير.

اختيار النبي والرسول من قبل الله سبحانه:

النبي لا يختار نفسه ليكون نبياً والأمر عائد لاختيار الله سبحانه. فهو الذي يختار من يشاء ليكون نبياً مبلغاً. وهذا الاختيار لا يكون عبثاً أو عشوائياً. فالله سبحانه يعرف أين يضع الرسالة، وبعلمه الخاص يختار من يصلح ليكون نبياً. بل إن دراسة واعية لشخصيات الأنبياء نرى أن الله سبحانه يهيئ النبي ليكون نبياً منذ خلقه. فالأنبياء كأشخاص وبشر تميزوا قبل بعثتهم وقبل أن يكونوا أنبياء. ولقد نقّاهم الله ونقّى قلوبهم وعقولهم تنقية متميزة حتى يكونوا مهيئين للنبوة أو الرسالة، يقول تعالى: (الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس) سورة الحج 75 فالأنبياء صفوة أخيار، وقد أثبت القرآن الكريم علو فطرتهم وصحة عقولهم وصدق أقوالهم، وتبليغهم الأمانة التي عهد الله إليهم أن يبلغوها.

يقول تعالى: (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) آل عمران 33.

ويقول تعالى: (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم) آل عمران 179.

وهذا الاختيار الرباني منزّهٌ عن الخطأ، يعرف أين يضع أمانته ورسالته، فكم هو عدد الأنبياء والرسل نسبة إلى عدد أبناء البشرية؟ بالطبع فهم قلائل

لأن الصفات التي يحملونها هي صفات من اختيار رباني.

وطالما أن النبي يختاره الله ليكون مبلغا للرسالة كان لا بد له من قرائن دالة على نبوته. هذه القرائن منها ما يخصه هو، أي ما يميز شخصيته ونفسيته. فهو يتحلى بصفات كثيرة بين قومه كالصدق والأمانة والعفاف والمروءة والشجاعة، ومنها ما يخص رسالته أو دعوته، وتنحصر في الوحي والرسالة، فإما أن تكون عن طريق كتاب سماوي، أو يمكن أن تكون عن طريق تعاليم يوحيها الله إليه عن طريق الأمين جبريل أو عن طريق الرؤيا.

فالنظرة الموضوعية للحركة النبوية تتجلى بالفرق بين النبي الموحى إليه والنبي المحترف فالنبي الموحى إليه يقاوم بعنف فكرة الألوهية القومية للعقيدة الشعبية الوثنية ويدعو إلى فكرة الإله الواحد رب العالمين.

بينما مدّعي النبوة أو النبي المحترف لا يبشر بمبدأ شخصي بل ينتهز اتباع التيار الشعبي مجرداً عن أي أثر أخلاقي، بعيداً عن أي إلهام رباني⁽¹⁾.

معالم النبوة بين التوراة والقرآن الكريم

بعد تلك التمهيدات التي أوردناها في الصفحات القليلة السابقة، والتي عرفنا من خلالها الفرق بين النبوة والرسالة، والاختيار الرباني للنبي، ومهمة التبليغ والرسالة، ندخل صلب الموضوع المتمحور حول معالم النبوة، كما وردت في التوراة وكما وردت في القرآن الكريم لندرك مدى التوافق، إن وجد ومدى الاختلاف والتناقض بين ما أوردته التوراة وما أورده القرآن الكريم.

لقد أوردت التوراة أسماء عدد كبير من الأنبياء وكذلك أورد القرآن الكريم عدداً محدَّداً من الأنبياء.

---

(1) عبد السلام التونجي: الإيمان بالأنبياء والرسل ص28 سبق ذكره.

والأنبياء الذين ورد ذكرهم في التوراة والقرآن هم:

آدم. إدريس (أخنوخ) نوح. إبراهيم. إسماعيل. إسحق. يعقوب. يوسف. موسى. داود. سليمان. إلياس. وأيوب وشعيب (يثرون).

أما الأنبياء الذين ورد ذكرهم في التوراة ولم يرد ذكرهم في القرآن الكريم فهم: أشعيا. أرميا. حزقيال. دانيال. صموئيل.

والأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن ولم يذكروا في التوراة صراحة فهم:

صالح. يونس. هود. عيسى. محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام.

وقد أوردت التوراة أسماء نساء ادَّعينَ أنهن نبيات. مثل مريم أخت موسى وهارونِ ودبورة التي عاشت في عصر القضاة.

وهناك أنبياء وردت أسماؤهم في القرآن الكريم بخلاف أسمائهم الواردة في التوراة مع أن الأحداث التي مروا بها تتشابه أو تتطابق. مثل أليشع. ذو النون. ذو الكفل. أما آدم عليه السلام فقد ورد في القرآن الكريم على أنه نبي. وكذلك أكدت نبوته أحاديث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول تعالى: (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم على العالمين) آل عمران 33.

فآدم نبي اصطفاه الله سبحانه وتعالى مثل ما اصطفى نوحاً وبقية الأنبياء وقد وردت بعض الأحاديث المشيرة إلى نبوته.

فروى ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله كم الأنبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر: جم غفير قلت يا رسول الله من كان أولهم قال آدم

قلت يا رسول الله نبي مرسل ؟ قال نعم خلقه الله بيده ثم نفخ من روحه ثم سواه قبلا)[1].

وقد أورد القرآن الكريم قصة خلق آدم وفيها طلب الله سبحانه من الملائكة السجود لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر. ومعنى السجود احترام ما خلق الله وليس سجود عبادة. ثم يورد القرآن الكريم قصة خطأ آدم. وبين أن آدم لم يكن له عزمٌ. وعلى هذا قيل إن آدم لم يكن من الأنبياء ذوي العزم.

على أية حال فإن مهمة آدم عليه السلام تبليغ عقيدة التوحيد لأولاده وأحفاده وتميزت منذ بدايتها بالاستغفار لله وطلب الهداية.

يقول تعالى: (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) البقرة 37.

ويقول تعالى: (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونَنَّ من الخاسرين) الأعراف 23.

أما التوراة فلا تشير إلى نبوة آدم وأنه صاحب رسالة. ويقتصر حديثها على أن الرب صنعه من تراب ووضعه في جنة عدن شرقا ثم خلق الله له حواء. ثم أغوت الحية حواء، فأكلت من الشجرة المحرمة. وأطعمت زوجها. ثم غضب الله عليهما وأهبطهما من الجنة إلى الأرض. وفي التراث التوراتي وكذلك التراث المسيحي، أن آدم سبَّب بخطيئته لعنة الله على الأرض، فقد ورد في رومية 12:5 (يذكر الرسول بولس أنه بآدم دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت. وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس).

---

(1) ابن كثير: قصص الأنبياء ص 53.

أما أخنوخ والذي هو إدريس حسب كافة المصادر الإسلامية فإن التوراة تحدثت عنه بشكل عابر جداً فهي تقول (وعاش أخنوخ خمساً وستين سنة وولد متوشالح. وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه) تكوين 5: 21ـ 24.

أما في القرآن الكريم فقد ورد ذكر النبي إدريس عليه السلام وأشارت الآيات إلى نبوته.

يقول تعالى: (واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا. ورفعناه مكانا عليا) مريم 56ـ 57.

فقد أثنى عليه الله ووصفه بالنبوة والصدّيقية ويقال إنه أول نبي أعطي النبوة بعد آدم عليه السلام. ولم تتضح رسالته وقومه. إنما الإشارة تقتصر على نبوته.

أما نوح عليه السلام ففي التوراة تفصيل توراتي عنه، وقد ذكر في القرآن الكريم في سور عديدة. ويتضح منهج دعوته وطبيعة قومه وقصة بنائه السفينة ثم الطوفان، تشير التوراة إلى صلاح نوح تارة وفساده تارة أخرى، فتقول: (كان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله، وسار نوح مع الله)، وتشير التوراة إلى أن الله تحدث لنوح عن فساد الأرض والبشر: (فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد أتت أمامي لأن الأرض امتلأت ظلما منهم) تكوين 6: 13.

وهذه الإشارة تبين أن صلة ما كانت موجودة بين الله وبين نوح وهذه الصلة كما نعرف لا تقوم إلا عن طريق الوحي بين الله سبحانه وبين نبي.

إن التوراة لم تشر إلى نوح على أنه نبي باللفظ إنما الواضح أنها تكني عن النبوة بقولها ـ سار مع الله ـ.

وتقول التوراة: (وبنى نوح مذبحاً للرب) تكوين 8: 20.

ثم تقول: (وبارك الله نوحاً وبنيه) تكوين 9: 1.

وقد جاء في سفر التكوين الإصحاح التاسع بعض التشريعات التي فرضها الله على نوح.

تقول التوراة: (غير أن لحماً بحياته دمه لا تأكلوه. وأطلب أنا دمكم لأنفسكم فقط من يد كل حيوان أطلبه. ومن يد الإنسان أطلب نفس الإنسان. من يد الإنسان أخيه، سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه)تكوين 9: 4 ـ 7.

وتقول (وها أنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم. ومع كل ذوات الأنفس الحية التي معكم) تكوين 9: 9ـ 10.

وقد أشارت التوراة إلى أن نوحاً قد سكر وتعرى داخل خبائه :

(استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته) تكوين 9: 24ـ 25.

والفقرات التوراتية التي أشارت لتعري نوح وشربه الخمر ولعنته لكنعان. ملفقة عليه. وهي من صنع كتبة التوراة.

وقد ورد الحديث عن النبي نوح عليه السلام في القرآن الكريم في عدد من السور، فقد ورد الحديث عنه في سورة يونس وفي سورة هود. وفي سورة المؤمنين وفي سورة الشعراء. وفي سورة العنكبوت وفي سورة الصافات وفي سورة القمر ووردت سورة كاملة باسم سورة نوح. وورد الحديث عنه في سورة النساء وسورة الأنعام وسورة التوبة. وسورة إبراهيم. وسورة الإسراء. وسورة الأحزاب. وسورة غافر وسورة الشورى وسورة ق وسورة الذاريات وفي سورة النجم وفي سورة الحديد. وفي سورة التحريم. والآيات التي أشارت إلى نبوته كثيرة.

يقول تعالى: (ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون) سورة الحديد 26.

ويقول تعالى: (إنَّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) الأنعام 163.

ويقول تعالى: (إنَّا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) سورة نوح.

ويقول تعالى: (قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين) الأعراف 61.

فالآيات تشير إلى نبوة نوح ورسالته. وتشير إلى الوحي الذي كان واسطة الرسالة إليه. أما منهجه في الدعوة فنعود له في صفحات قادمة لنرى مدى التناقض بين ما أوردته التوراة وما أورده القرآن الكريم.

ويعتبر إبراهيم من أكثر الأنبياء الذين تحدثت عنهم التوراة وتحدث عنهم القرآن الكريم.

وفي الاتفاق بين التوراة والقرآن فإن النبي إبراهيم هو أب لإسماعيل وإسحاق، وإسحق أنجب يعقوب، ويعقوب أنجب الأسباط ويوسف عليهم السلام. وقد ورد ذكر النبي إبراهيم عليه السلام في خمسة وعشرين سورة هي: البقرة وآل عمران والنساء والأنعام والتوبة وهود. يوسف. إبراهيم. الحجر. النحل. مريم. الأنبياء. الحج. الشعراء. العنكبوت. الأحزاب. الصافات. الشورى. ص. الزخرف. الذاريات. النجم. الحديد. الممتحنة. الأعلى.

وتتضح فيها نبوته ورسالته، ودعوته لديانة التوحيد. ومنهجه في هذه الدعوة. أمّا في التوراة فإن الحديث عن النبي إبراهيم يظهر مع بداية الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين. حيث تورد قولها المتكرر وقال الرب لأبرام... تقول التوراة في سفر التكوين: (وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك وعشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك) 12: 1.

وتقول (وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه) تكوين 13: 14.

وتقول بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى أبرام في الرؤيا قائلا لا/تخف يا أبرام أنا ترس لك. أجرُكَ كثيرٌ جداً) تكوين 15ـ 1.

وتقول: (في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا) تكوين 15 :8.

وتقول: (ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملاً فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً) تكوين 17: 1 ـ 3.

وتقول: (وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي) تكوين 17: 9.

وتقول: (وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حرّ النهار) تكوين 18: 1.

وجاء في التوراة: (ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء. قال بذاتي أقسمت يقول الرب) تك 22: 15ـ 16.

وجاء قبله: (فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم إبراهيم فقال هأنذا) تكوين 22: 11.

وجاء فيها: (وشاخ إبراهيم وتقدم في الأيام وبارك الرب إبراهيم في كل شيء) تكوين 24ـ 1.

وجاء فيها (وأسلم إبراهيم روحه ومات بشيبة صالحة شيخا وشبعانَ أياما وانضم إلى قومه) تك 25: 8.

ونلاحظ أن لفظة النبي وكذلك لفظة النبوة لم تردا في التوراة. إنما الذي دل على نبوته مناداة الله له أو مناداة ملاك الرب.

ومن خلال هذا النصوص التوراتية نرى أن إبراهيم لم يكن صاحب رسالة أو صاحب دعوة أو صاحب منهج معين في الدعوة. ولم تشر التوراة إلى أي رسالة سماوية تلقاها إبراهيم من ربه. ولم تتضح أية تعاليم تلقاها إبراهيم من ربه وكذلك لم نر أي تشريعات خاصة بديانة التوحيد.

ومن هنا نستطيع القول إن نبوة إبراهيم حسبما جاءت معالمها في التوراة هي نبوة ناقصة فيها عنصران هامان وتفتقد إلى عدة عناصر:

أ ـ عنصر الكلام بينه وبين الله والوحي.

ب ـ انصياعه لأمر الله في بعض القضايا واعتراف التوراة بأخلاقه الحميدة. بينما تفتقد نبوته إلى:

1 ـ الرسالة التي من المفترض أن يكون تلقاها من ربه.

2 ـ الدعوة إلى عقيدة التوحيد.

3 ـ منهج الدعوة كما عهدناها عند الرسل والأنبياء.

وإذا عدنا إلى آيات القرآن الكريم تتضح لنا معالم النبوة كاملة متكاملة. والآيات نفسها تبين ذلك.

يقول تعالى: (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) الأنبياء 51.

ويقول تعالى: (واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً) مريم الآية 41.

وهذا يدل صراحة بأن إبراهيم عليه السلام كان نبياً وصادقاً ودليل الرسالة التي تلقاها إبراهيم عليه السلام من ربه هو قوله تعالى:

(إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى) سورة الأعلى أخرج عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (قلت

يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب. قال مائة كتاب وأربع كتب. أنزل على شيث خمسين صحيفة وعلى إدريس ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان. قلت يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم؟ قال أمثال كلها. أيها الملك المتسلط المبتلي المغرور لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض. ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردها ولو كانت من كافر. وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ثلاث ساعات. ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه ويتفكر فيما صنع. وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال فإن في هذه الساعة عوناً لتلك الساعات واستجماعاً للقلوب وتفريغاً لها. وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه. فإن من حسب كلامه من عمله أقل الكلام إلا فيما يعنيه وعلى العاقل أن يكون طالباً لثلاث مرمّة لمعاش أو تزود لمعاد أو تلذذ في غير محرم.. قلت يا رسول الله: هل أنزل عليك شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى. قال يا أبا ذر نعم (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى)(1).

أما قصة إبراهيم عليه السلام فهي الدليل على رفضه عبادة الأصنام ودعوته للتوحيد ثم جداله مع من ادّعى الألوهية، ثم هجرته بدعوته تاركاً قومه إلى قوم آخرين ثم بنائه للبيت الحرام ودعوة الناس للحج تلبية لأمر الله ثم إقراره لأمر الله بذبح ابنه.

فرفضه لعبادة الأصنام ظهر في عدة مواقع من القرآن الكريم يقول تعالى: (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) الأنبياء 52.

---

(1) السيوطي: الدر المنثور في التفسير المأثور ص 571 المجلد 6.

ويقول تعالى: (قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين) الأنبياء 56

ويقول تعالى: (قال تالله لأكيدين أصنامكم بعد إن تولوا مدبرين. فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون.) الأنبياء 57 ـ 58.

وقوله تعالى في نجاته: (ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) الأنبياء 71 ومحاجّته للملك الذي ادعى الألوهية.

يقول تعالى: (ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربه أن أتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي الفوم الظالمين) البقرة 258.

أما هجرته بعقيدته ففي قوله تعالى:

(فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم.) العنكبوت 26.

أما انصياعه لأمر ربه في ذبح ابنه ففي قوله تعالى :

(فبلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ما ترى. قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين. فلما أسلما وتلّه للجبين وناديناه أنْ يا إبراهيم. قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين) الصافات 102 ـ 105.

وهذه الدلالات لا وجود لها في التوراة. سوى ما حرفت فيه من أن الذبيح هو النبي إسحق عليه السلام.

أما بناؤه البيت الحرام فهو دليل آخر على نبوته لأن بناء البيت يعني تأسيس عبادة للموحدين جميعهم.

يقول تعالى: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم) البقرة 127 ـ 128.

ويقول تعالى: (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود. وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) الحج 26 ـ 27.

وترتبط نبوة النبي إبراهيم عليه السلام بنبوة ولديه إسماعيل وإسحق باعتبار أنهما عاشا مع النبي إبراهيم زمنا طويلا. أما إسماعيل عليه السلام فقد ورد ذكر نبوته صراحة في القرآن الكريم.

يقول تعالى: (واذكر في الكتاب إسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) سورة مريم 54 ـ 55.

أما في التوراة فيرد حديث عن إسماعيل ليس فيه ما يدل على اعترافها بنبوته فقد ورد قولها: (وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، هأنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا) تك 17: 20.

وجاء في التوراة: (فسمع الله صوت الغلام. ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها ما لك يا هاجر لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو قومي احملي الغلام وشدي يدك به لأني سأجعله أمة عظيمة) تكوين 21: 17 -19.

وهذا الحديث الذي تكتفي به التوراة لا يشير من قريب أو بعيد إلى عقيدة إسماعيل أو نبوته أو رسالته أو أي دليل يدل على أنه نبي مرسل. أما في القرآن الكريم فقد أوضحت الآيات الكريمة الأمور التالية:

1ـ إسماعيل نبي بصراحة اللفظ في القرآن الكريم.

2ـ يقول الله تعالى: (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) سورة إبراهيم الآية 37.

فمهمة إسماعيل إقامة الصلاة التي تعني رمزاً من رموز عقيدة التوحيد

3ـ اشتراك إسماعيل مع أبيه إبراهيم بإقامة قواعد البيت الحرام. وتعني إقامة البيت بناء صرح خاص لعقيدة التوحيد وهذا الصرح يرتبط بركن من أركان عقيدة الإسلام وهو الحج. يقول تعالى: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) البقرة 127.

4ـ واستقرار إسماعيل في وادي مكة يعني أن مهمته متابعة الدعوة التوحيدية التي بدأها أبوه في الخليل وما جاورها.

5ـ وقد صدق إسماعيل رؤيا أبيه وانصاع لأمره حين أمره أن يستعد للذبح.

6ـ طالما أن القرآن الكريم أشار إلى صحف إبراهيم فمن الحق أن يقال إن إسماعيل علم التشريعات التي وردت في هذه الصحف وطالما أشار القرآن الكريم إلى نبوته فهذا يعني أن رسالة التوحيد تعلمها على يد أبيه واستمر عليها.

أما إسحَق فقد ذكر القرآن الكريم نبوته صراحة وذلك في قوله تعالى: (وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين. وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) سورة الصافات 112 ـ 113.

أما في التوراة فقد وردت قصة إسحق من مولده إلى وفاته والإشارة إلى كرامة إسحق في التوراة واضحة دون ان تلفظ بلفظة النبوة الخاصة به.

تقول التوراة: (وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابنا) تكوين 17: 16

وتقول: (فقال إني أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن) تك 18: 10.

وتقول: (وافتقد الرب سارة كما قال وفعل الرب لسارة كما تكلم فحبلت سارة وولدت لإبراهيم ابناَ في شيخوخته) تكوين 21: 1 ـ 2.

وتقول: (وصلّى إسحق إلى الرب لأجل امرأته لأنها كانت عاقراً فاستجاب له الرب فحبلت رفقة امرأته) تكوين 25: 21

وتقول: (وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر) تكوين 26: 3.

وتقول: (فظهر له الرب في تلك الليلة وقال أنا إله إبراهيم أبيك لا تخف لأني معك وأباركك وأكثر نسلك من أجل إبراهيم عبدي) تكوين 26: 24.

فإسحاق منحة من الله سبحانه لإبراهيم بعد أن شاخ وهرم ويبشر الله إبراهيم وزوجته بالغلام الذي ستحمل به سارة، وإسحق يصلي لله سبحانه ويدعوه أن تنجب امرأته فاستجاب الله له وقد ظهر له الرب. أو ملاك الرب في الرؤيا بمعنى أن هناك صلة بينه وبين الله ويأتي نص التوراة صريحا بقول الله سبحانه أنا إله إبراهيم أبيك.

وكل ذلك يعني أن إسحق سار على منهج التوحيد الذي كان عليه أبوه النبي إبراهيم :

1ـ فولادته معجزة من الله باعتبار أن أمه كانت عجوزا حين حملت به وولدته.

2ـ وقد رأى الله سبحانه بالرؤيا أو سمع كلامه. أو أوحي له حسب قول التوراة.

3ـ وقد صلى لله وهذه صفة من صفات الموحدين.

أما في القرآن الكريم فيرد أن ملائكة الله سبحانه بشرته بغلام عليم. يقول تعالى: (وبشروه بغلام عليم) الداريات 28.

ويقول تعالى: (قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) سورة هود 73.

ويقول تعالى: (قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين) الحجر 55.

ولم يصرح القرآن الكريم برسالة ما كلف بها إسحق، وكذلك لم تنص التوراة على ذلك وكان تركيزها على الوعد الذي زعمته بامتلاك إسحق ونسله لأرض كنعان وهذا ليس له صلة بنبوة أو رسالة، وتشير التوراة إلى وفاته بقولها (فأسلم إسحق روحه ومات وانضم إلى قومه شيخا وشبعان أياما ودفنه عيسو ويعقوب ابناه) تك 35: 29.

أما لوط عليه السلام، فهناك تناقض كبير حوله فيما ورد في التوراة وفيما ورد في القرآن الكريم، فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: (فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم) الأنبياء 71.

ويقول تعالى: (كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين) الشعراء 160 ـ 163.

ويقول تعالى: (وإن لوطاً لمن المرسلين. إذ نجيناه وأهله أجمعين) الصافات 133 ـ 134. فلوط نبي مرسل وهذا ما صرحت به آيات القرآن الكريم. وقد أرسل إلى قومه لأسباب كثيرة. إتيانهم الفاحشة وهي اللواط. وقطع السبيل. والإتيان بالمنكر في ناديهم. وتكذيبهم للرسل.

لقد بدأت رحلة الإيمان لدى النبي لوط عليه السلام منذ أن هاجر مع إبراهيم عليه السلام من أور إلى الأرض التي باركها الله للعالمين. وكانت مهمته كنبي إبعاد قومه عن تكذيب الرسل والرسالات. وإبعادهم عمّا ينافي الأخلاق الحميدة. ومن ثم نهيهم عن قطع السبيل وكانت العاقبة أن نجّاه الله ودمّر قومه تدميراً كاملاً. أما منهج دعوته فله صفحات أخرى.

أما التوراة فتورد أن الملاكين قد أتيا إلى سدوم مساء. (فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض) تك 19: 2.

وتقول التوراة (فقال لهما لوط لا يا سيد هو ذا عبدك قد وجد نعمة في عينيك وعظمت لطفك الذي صنعت إلي باستبقاء نفسي) تك 19: 18 ـ 19.

ولكن التوراة لا تشير إلى الصراع بين لوط وقومه سوى ما حدث عندما جاءه الملاكان وحاول قومه خلع باب بيته للوصول إلى الملاكين الذين على هيأة رجلين. ومع ذلك فإنها تلفّق على لوط ما يتنافى وأبسط قواعد السلوك البشري. ولم تمنحه أية عصمة بشرية أخلاقية. حيث قالت إنه زنى بابنتيه بعد أن سقتاه خمراً حتى ثمل وحملتا منه.

فلا علائم للنبوة ولا صفات إنسانية أخلاقية حميدة. إنما إلصاق التشويهات بشخص لا صلة بينه وبين ربه، أو عقيدة التوحيد التي تعلمها أساسا من عمه النبي إبراهيم عليهما السلام.

أما يعقوب فتتوسع الدائرة في الحديث عن نبوته إن كان ذلك في التوراة أو في القرآن الكريم. تورد التوراة أن إسحق بارك يعقوب ولكن هذه المباركة لم تتم إلا عن طريق الخدعة حيث كان إسحق قد فقد بصره وكان يحب ابنه الأكبر عيسو ويريد مباركته ولكن أم يعقوب تآمرت مع ابنه ليكذب على أبيه وينال بركته. وكل ذلك موجود بالتفصيل في التوراة.

وتقول التوراة: (ورأى حلما وإذا سلمٌ منصوبةٌ على الأرض ورأسها يمس السماء وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها. وهو ذا الرب واقف عليها فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق) تكوين 28: 12 ـ 13.

وتقول: (وها أنا معك أحفظك حيثما تذهب وأردك إلى هذه الأرض لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به) تكوين 28: 15.

وتقول: (وقال لي ملاك الله في الحلم يا يعقوب...) تكوين 31: 11.

وتقول: (وأما يعقوب فمضى في طريقه ولاقاه ملائكة الله. وقال يعقوب إذ رآهم هذا جيش الله) تكوين 31: 2.

وتقول: (وقال يعقوب يا إله أبي إبراهيم وإله أبي إسحق الرب الذي قال لي ارجع إلى أرضك وإلى عشيرتك فأحسن إليك) تكوين 32: 9

وتقول: (ثم قال الله ليعقوب ثم اصعد إلى بيت أيل وأقم هناك واصنع هناك مذبحا لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك) تك 35: 1.

وتقول: (فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم وتطهروا وأبدلوا ثيابكم) تكوين 35: 2.

وتقول: (وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فدان آرام وباركه وقال له الله اسمك يعقوب لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل) تك 35: 9 ـ 10.

وتقول: (وقال له الله أنا الله القدير أثمر وأكثر. أمة وجماعة أمم تكون منك) تك 35: 11.

وتقول: (فكلم الله إسرائيل في رؤى الليل وقال: يعقوب يعقوب فقال هأنذا فقال أنا الله إله أبيك لا تخف من النزول إلى مصر) تكوين 46: 2 ـ 3.

فمن خلال النصوص التي مرت معنا، نرى أن إسحق النبي بارك ابنه يعقوب ثم أن الرؤيا تكررت لدى يعقوب، رأى من خلالها ملائكة الله وسمع من خلالها نداء ربه، ويرد أن الله تعهد له بحفظه وأمره عدة أوامر فنفذها يعقوب تلبية لنداء ربه، ثم إن يعقوب يدعو أهله وبنيه لعبادة الله الواحد وعدم الإيمان بالآلهة الوثنية التي اعتبرتها التوراة غريبة عن إله يعقوب.

ثم إن الله سبحانه كلم يعقوب وغير اسمه إلى إسرائيل وهذه الكلمة تعني عبد الله. وجميع هذه المعالم هي من صفات النبوة عند يعقوب. إلا أن التوراة لم تشر صراحة إلى نبوته ولا إلى رسالته ودعوته وهذا ما رأيناه أيضاً من التوراة حين تحدثت عن بقية الأنبياء.

أما يعقوب في القرآن الكريم فتتضح معالم شخصيته النبوية بشكل آخر.

يقول تعالى: (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفّه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين. إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) البقرة 130 ـ 132.

ويقول تعالى: (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون) البقرة 133.

فمن خلال الآيات السابقة ندرك أن يعقوب تلقى ديانة التوحيد عن إبراهيم وإسماعيل وإسحق. ثم وصى يعقوبُ نفسُه بنيه أن يظلوا على ديانة التوحيد فالله واحد أحد. والإيمان بوحدانية الله هو إيمان متصل لا انقطاع فيه.

ويقول تعالى: (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) البقرة 136.

فهذه الآية توضح ثلاث نقاط تتعلق بنبوة يعقوب:

1ـ إن الله أنزل على إبراهيم وأبنائه ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى رسالة التوحيد.

2ـ هؤلاء لهم صلة بالنبوة.

3ـ عقيدتهم وعقيدة أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم واحدة وهي عقيدة التوحيد ويقول تعالى: (ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين. وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) الأنبياء 72 ـ 73.

فالواضح من الآية أن يعقوب مثلُ إسحق وإبراهيم إمامٌ في النبوة. وأوحي له كما أوحي للأنبياء قبله. وطبيعة الوحي أمرٌ من الله بفعل الخيرات وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وعبادة الله الواحد الأحد.

ويقول تعالى: (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا) النساء 163.

فظاهرة الوحي تخص الأنبياء ويعقوب أوحي له كما أوحي لغيره من الأنبياء. ويضاف إلى ذلك أن النبي يعقوب ابتلي بتغييب ابنه يوسف من قبل إخوته وصبر على المصيبة التي حلت به وقال في معرض صبره: (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) يوسف 18.

ويقول تعالى: (وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) يوسف 67.

ويقول تعالى: (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيئسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) يوسف 87

فهذه الآيات تشير أيضاً إلى الإيمان الراسخ لدى النبي يعقوب عليه السلام. وهذا الإيمان لا يتحلى به سوى الأنبياء ومن سار على منهجهم.

والتفاصيل التي جاء على ذكرها القرآن الكريم لم نرها في التوراة، وعلائم النبوة التي رأيناها في آيات القرآن الكريم هي بمثابة الأدلة المتكاملة على نبوة متكاملة أيضاً. وتطالعنا نبوة النبي يوسف عليه السلام بعد النبي يعقوب عليه السلام باعتبار أن هذا النبي ورث عن أبيه وجده إسحاق والنبي الأسبق إبراهيم عليه السلام وقد وردت آيات كريمة تدل على نبوته.

يقول الله تعالى: (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم) سورة يوسف الآية 6

ويجتبيك ربك يصطفيك ثم يفهمك من معنى الكلام وتعبير المنام ما لا يفهمه غيرك ويتم نعمته عليك بالوحي. ويحسن إليك بالنبوة كما أحسن بها إلى إسحق وإبراهيم وقد أوحى الله ليوسف في عدة مواقع.

يقول تعالى: (وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لايشعرون) يوسف 22.

ويقول تعالى: (ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين) يوسف 22.

وإتيان الحكمة والعلم من دلائل النبوة بعد أن اكتمل يوسف وأصبح مهيأ للنبوة وقد عصمه الله من الفحشاء عندما راودته امرأة العزيز. فهو من سلالة الأنبياء وقد حماه الله من مكر النساء.

وقد دعا يوسف صاحبيه في السجن إلى عبادة الله الواحد الأحد. وكانت دعوته لهما في هذا الحال في غاية الكمال.

يقول تعالى: (يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار. ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان. إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يوسف 39 ـ 40.

فهذه الدلالات إضافة لمسيرة حياة يوسف وهو يعمل عند ملك المصريين تدل بشكل واضح على نبوته.

أما في التوراة فتظهر كرامات يوسف وحرصه على عقيدته وأخلاقه من خلال رفضه ما دعت إليه امرأة قائد الحرس لدى ملك المصريين ودخوله السجن، ثم مقدرته على تفسير الأحلام، ثم عفوه عن إخوته الذين أتوا إلى مصر بسبب المجاعة ليأخذوا القمح إلى ذويهم. لكن التوراة لم تشر إلى نبوة يوسف لا من قريب ولا من بعيد. ولم تشر إلى دعوته إلى عقيدة التوحيد التي كلفه الله بها كما كلف الله بها آباءه وأجداده.

وبموت يوسف عليه السلام تنتهي مرحلة مهمة من مراحل النبوة الأولى التي بدأت بإبراهيم عليه السلام وانتهت بيوسف عليه السلام.

وعندما نتوقف عند النبي موسى سنرى الوضع يختلف تماما فسيرة موسى تأخذ مساحة واسعة في التوراة وكذلك في القرآن الكريم.

ومعالم نبوته تكاد تتطابق في ما بين التوراة والقرآن الكريم. وتعتبر شخصية النبي موسى من أهم الشخصيات النبوية في تاريخ الأنبياء. وذلك لأسباب كثيرة أهمها :

1ـ أن النبي موسى صاحب رسالة ونزل عليه كتاب هو التوراة وهو من بين أربعة كتب نزلت على أنبياء مشهورين. وهي التوراة والزبور والإنجيل والقرآن الكريم.

وقد وضحت التوراة تشريعات دينية كثيرة وهي مبثوثة في أسفار الخروج. واللاويين والعدد والتثنية.

2ـ أن النبي موسى كلم الله سبحانه وتعالى، وهذا ما نصت عليه التوراة ونص عليه القرآن الكريم إضافة لما أوحي إليه بواسطة الوحي أو ملاك الرب كما تقول التوراة.

3ـ أن النبي موسى ظل على رسالته مجاهداً موحداً على الرغم مما لاقاه من بني إسرائيل من كفر وانحراف ونفاق.

4ـ لقد صرح القرآن الكريم وكذلك التوراة بنبوته بل إن التوراة لم تصرح بنبوة أحد من الأنبياء الأوائل سوى موسى عليه السلام.

5ـ في القرآن الكريم وكذلك في التوراة قصة وضع موسى في صندوق وإلقائه في اليم ونجاته بقدرة الله.

6ـ في القرآن الكريم يرد أن الله اصطفاه نبياً لنفسه.

7ـ في القرآن الكريم منهج نبوي واضح لدى موسى خاصة في الدعوة إلى ديانة التوحيد وهنا يوجد اختلاف بين القرآن الكريم والتوراة حيث أن التوراة تركز على أمر واحد هو إنقاذ بني إسرائيل من ظلم بني فرعون.

يقول تعالى: (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين) القصص 7.

ويقول تعالى: (وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني) طه39

ففي الآيتين السابقتين إشارة واضحة إلى أن موسى عليه السلام سيكون من المرسلين وأنه قد رعاه الله رعاية خاصة واصطفاه.

يقول تعالى: (ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين) وهذه طبيعة رسالة التوحيد فالله سبحانه يهيىء من يريده أن يكون نبياً. ثم عندما يبلغ أشده ويصبح مؤهلاً لتحمّل الرسالة يؤتيه الله الحكمة والعلم والحكم ويقول تعالى: (لبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى. واصطنعتك لنفسي) طه 40 ـ 41 وقد من الله على موسى عليه السلام بأن منحه معجزة العصا. ومعجزة يده التي أمره الله أن يدخلها في جيبه فتخرج بيضاء.

يقول تعالى: (ما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى. قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى. قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى. واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى) طه 17 ـ 22 وقد عرف عدد من الأنبياء بمعجزات يقومون بها بإذن الله ومعجزة موسى عليه السلام كانت في العصا وفي يده.

ويقول تعالى: (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا) الإسراء 2.

ويقول تعالى: (فلما أتاها نودي يا موسى. إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى. إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) طه 11 ـ 14.

ناداه وكلمه دون وحي ولذلك يقال موسى كليم الله. استناداً إلى قوله تعالى: وكلم موسى تكليما.

ويبين القرآن الكريم دعوة موسى إذ يقول تعالى:

(اذهب إلى فرعون إنه طغى) طه 4 فموسى عليه السلام دُعمت نبوته بكتاب وهو التوراة.

ويقول على لسان موسى: (كي نسبحك كثيراً. ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيرا قال قد أوتيت سؤلك يا موسى) طه 33 ـ 36.

ومن علامات نبوة موسى عليه السلام قوله تعالى:

(وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة) الأعراف 142.

ومن علامات نبوة موسى عليه السلام إيذاء بني إسرائيل له. يقول تعالى: (وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين) الصف5 فمن سمات الأنبياء أن أقوامهم كانوا يعاندونهم ويؤذونهم ويتمردون عليهم.

ويقول تعالى: (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبيا وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا. ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) مريم 51 ـ 53.

وفي هذه الآية وغيرها من الآيات إشارة واضحة إلى نبوة موسى عليه السلام وكذلك نبوة هارون عليه السلام.

أما في التوراة فتتجلى نبوة موسى عليه السلام على الشكل التالي:

1 ـ (وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقه) خروج 3 ـ 2 (فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العلّيقة وقال موسى موسى فقال هاأنذا. فقال لا تقترب إلى ههنا إخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة. ثم قال أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب) خروج 3: 4 ـ 6.

وتقول التوراة: (فقال له الرب ما هذه في يدك فقال عصا قال اطرحها إلى الأرض فطرحها إلى الأرض فصارت حية فهرب موسى منها ثم قال الرب لموسى مد يدك وأمسك بذنبها...) خروج 4: 2 ـ 4

ثم قال له الرب أيضا أدخل يدك في عبك فأدخل يده في عبه ثم أخرجها فإذا يده بيضاء مثل الثلج) خروج 74: 6 ـ 7.

ومن علامات النبوة أيضاً أن بني إسرائيل تذمروا على موسى وكادوا يقتلونه وهذا ما وجدناه في آيات القرآن الكريم أيضاً.

تقول التوراة: (وتذمر الشعب على موسى وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش. فصرخ موسى إلى الرب قائلاً ماذا أفعل بهذا الشعب بعد قليل يرجمونني) خروج 17: 3 ـ 4.

وعن توراة موسى تقول التوراة:

(فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده) خروج 32: 15.

وتقول التوراة في نبوة موسى:

(ولم يقُم بعدُ نبّيٌ في بني إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعملها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه) تثنية 34: 10 ـ 12.

وقد تكررت عبارة وكلم الرب موسى في هذا السفر عشرات المرات، لتؤكد أن موسى عليه السلام. كان يكلم الله تكليماً في أغلب أوقاته دون وحي. وقد وردت بعض المقاطع في التوراة تدل على أن موسى عليه السلام قد التقى ملاك الرب.

ومما مر معنا في نصوص القرآن الكريم وفي نصوص التوراة نستدل على أن هناك اتفاقا شبه كامل فيما ورد في الحديث عن النبوة لدى موسى عليه السلام. أما منهج الدعوة عنده فهو مجال اختلاف جذري بين الذي ورد في التوراة وما ورد في القرآن الكريم.

أما النبي هارون عليه السلام فقد ورد الحديث عنه في سياق آيات القرآن الكريم وفي نصوص التوراة.

وقد ورد الحديث عن نبوته صراحة في آيات القرآن الكريم يقول تعالى: (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) مريم 53.

وقد كانت رسالته رسالة التوراة التي أنزلت على النبي موسى عليه السلام وقد رافقه في معظم حياته النبوية، حيث ترافقا معا في دعوة فرعون إلى ديانة التوحيد وكان موسى عليه السلام يلقنه تعاليم التوراة يوما بعد يوم.

غير أن التوراة لم تشر إلى نبوة هارون بل اتهمته بأنه هو الذي كان وراء صنع العجل الذهبي الذي عبده بنو إسرائيل أثناء غياب موسى عليه السلام للقاء ربه. و ادعت التوراة أن هارون كان وراء مقتل أخيه حسب ادعاء بني إسرائيل.

وعندما نصل إلى معالم النبوة عند النبي داود عليه السلام. نجد أن القرآن الكريم يشير إلى أن الله سبحانه منحه النبوة والملك. وقد أنزل الله عليه

كتابا اسمه الزبور. إلا أن التوراة ركزت على ملكه، واستثنت الحديث عنه كنبي له رسالة وله منهج.

يقول تعالى: (وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء) البقرة 251.

و يقول تعالى: (وآتينا داود زبورا) النساء 163

ويقول تعالى: (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا) الإسراء 55.

وهذه الآيات الكريمة تشير إلى نبوة داود بشكل واضح، وتشير أيضاً إلى أن الله سبحانه أنزل على داود كتابا اسمه الزبور.

ومن علامات تأييد الله سبحانه لنبوة داود تسخير الجبال والطير يسبحن له.

يقول تعالى: (مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين)

ويقول تعالى: (ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير) سبأ 10 ـ 11.

ويقول تعالى: (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب) ص 17.

ويقول: (إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق. والطير محشورة كل له أواب. وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) ص 18 ـ 20.

وقوله تعالى: وآتيناه الحكمة أي آتيناه النبوة.

ويقول تعالى: (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) ص 26.

وداود عليه السلام كان أعدل الناس في عصره وهذه منحة من الله سبحانه له وتقوية لعلائم نبوته.

أما في التوراة فترد بعض النصوص التي تشير إلى إيمان داود عليه السلام بالله منذ صغره.

تقول التوراة: (لأنه عير صفوف الله الحي) صموئيل الأول 17: 26.

وتقول: (وأنا آتي إليك باسم رب الجنود إله صفوف إسرائيل) صموئيل 171: 45.

وتقول على لسان داود: (هذا اليوم يحبسك الرب في يدي فأقتلك وأقطع رأسك) 46.

ثم تأخذ التوراة بالحديث عن سؤال داود للرب فيما يتعلق بحركاته وتحركاته، ثم تقول التوراة: (وأتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داود ملكا على بيت يهوذا) ص2 :1/ 4.

ثم تقول: (وجاء جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك إلى حبرون فقطع الملك داود معهم عهدا في حبرون أمام الرب ومسحوا داود ملكاً على إسرائيل) صموئيل الثاني 5: 3.

وتتوالى الفقرات التي تشير إلى أن الله قد تحدث لداود وأرشده في شؤون الحرب والقتال. وفي الإصحاح السابع من سفر صموئيل الثاني مقاطع تدل على مناجاة داود لربه وصلاته له.

وتقول: (فدخل الملك داود وجلس أمام الرب وقال: من أنا يا سيدي الرب وما هو بيتي حتى أوصلتني إلى هنا وقل هذا أيضاً في عينيك يا سيدي الرب) ص2 7: 18 ـ 19.

وتقول: (لذلك قد عظمت أيها الرب الإله لأنه ليس مثلك وليس إله غيرك حسب كل ما سمعناه بآذاننا) صموتيل الثاني 7: 22.

وتورد التوراة أقوالا منسوبة إلى النبي داود تدل بشكل واضح على صلته القوية بالله. ليس صلة الملك وإنما صلة الأنبياء على الرغم من أن التوراة تصر على تحييد النبوة عن داود وتركز على كونه ملكا. تقول: (وحي داود بن يسّى ووحي الرجل القائم في العلا مسيح إله يعقوب ومرنم إسرائيل الحلو. روح الرب تكلم بي وكلمته على لساني.. إذا تسلط على الناس بار يتسلّط بخوف الله) صموئيل الثاني 23: 1 ـ 2 ـ 3.

ويأتي في التوراة أن داود وصى سليمان عندما قربت وفاته وتقول التوراة: (احفظ شعائر الرب إلهك إذ تسير في طرقه وتحفظ فرائضه ووصاياه وأحكامه وشهاداته كما هو مكتوب في شريعة موسى لكي تفلح في كل ما تفعل وحيثما توجهت) ملوك أول 2: 3.

ومن خلال ما تقدم نرى أن كثيراً من الدلائل تشير إلى أن داود كان مع الله وكان الله معه لكن التوراة لم تشر إلى نبوته. وإنما أشارت إلى مزامير داود التي هي عبارة عن أناشيد وأدعية قالها على آلة موسيقية. ولم تشر إلى أن الله سبحانه أنزل عليه كتابا اسمه الزبور. ويعتقد كثيرون أن ما قاله داود عليه السلام في المزامير ليس سوى الزبور نفسه. ولكن آخرين نفوا ذلك إذ أن هذه المزامير من صنع داود ولم تنزل على داود من لدن رب العالمين.

وترتبط شخصية سليمان النبوية بشخصية داود عليهما السلام. فقد استلم سليمان الملك في أواخر حياة أبيه وتمتع من صغره بالفطنة والذكاء مما أتاح له التعلم من أبيه أصول ديانة التوحيد والحكمة والعلم والملك. يقول تعالى:

(ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين. وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين) سورة النحل 15 ـ 16.

والمراد بقوله (من كل شيء) كثرة نعم الله تعالى عليه ومنها تعليمه كلاما لا يعلمه سواه وهذه المنحة لم تذكر في كتب أهل الكتاب. وإنما يذكرون أن سليمان كان عظيم الحكمة ولذلك يسمونه سليمان الحكيم ولا يلقبونه بالنبي أصلاً(1).

ومن نعم الله عليه لتقوية معالم نبوته تسخير الله له الريح يقول تعالى: (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب) سورة ص 36.

وقوله تعالى: (ولسليمان الريح عاصفة تجري إلى الأرض التي باركنا فيها) الأنبياء الآية 81. وقد آتاه الله ملكا لم يعطه لنبي قبله أو بعده.

قال تعالى: (قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهّاب) ص 35.

وكذلك فقد أسال الله له عين القطر أي النحاس ليدعم به ما بناه. وقد منّ الله تعالى عليه وهداه إلى ما لم يهتد إليه أحد من قبله والتوراة خالية من ذلك(2)

---

(1) عبد الوهاب النجار. قصص الأنبياء صفحة 346.

(2) عبد الوهاب النجار. قصص الأنبياء صفحة357.

وسخّر الله له الجن. يقول تعالى: (ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير. يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجراب وقدور راسيات) سبأ الآية 13.

ولم يمنح نبي قط تسخير الجن له. وهذه ما تخص نبوة سليمان دون غيره من الأنبياء.

ومن نعم الله عليه أنه دعا ملكة سبأ إلى عقيدة التوحيد فآمنت. وكذلك من نعم الله عليه أنه عندما وافته المنية لم يعرف أحد من الجن والإنس أنه مات وما دلهم على موته سوى دابة الأرض. كما جاء ذلك في القرآن الكريم ولم يرد في التوراة.

وقد أوردت التوراة بعضاً من النصوص التي تشير إلى علاقة سليمان كملك بربه.

تقول التوراة: (وأحب سليمان الرب سائراً في فرائض داود أبيه) ملوك أول 3: 3.

وتقول: (في جبعون تراءى الرب لسليمان في حلم ليلا وقال الله اسأل ماذا أعطيك فقال سليمان إنك قد فعلت مع عبدك داود أبي رحمة عظيمة حسبما سار أمامك بأمانة وبر واستقامة قلب معك) ملوك 3: 5 ـ 6.

(فأعط عبدك قلبا فهيما لأحكم على شعبك) ملوك 3: 9 (وأميز بين الخير والشر) .

وتقول التوراة: (ولما سمع جميع إسرائيل بالحكم الذي حكم به الملك خافوا الملك لأنهم رأوا حكمة الله فيه لإجراء الحكم) ملوك أول 3: 28.

وتقول التوراة: (وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق وكل حكمة مصر وكان أحكم من جميع الناس) ملوك أول 3: 28.

وتقول: (وكان صيته في جميع الأمم حواليه. وتكلم بثلاثة آلاف مثل وكانت نشائده ألفا وخمسا) 33. وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته) ملوك أول 4: 34.

إذا فقد تبين لنا أن سليمان رأى الله في منامه. بمعنى أنه أوحي إليه. ومنحه الله الملك ووسعه. وأعطاه منه ما لم يعط غيره وكان حسب قول التوراة أحكم الحكماء. ومع هذا كله فإن التوراة لا تقول بنبوته إطلاقا ولا تأتي على ذكر دعوته التوحيدية وهذا ما يتناقض مع الحقيقة التي أوردتها آيات القرآن الكريم وفصلت في ذكرها.

لقد أوردنا ماذا قال القرآن الكريم بشأن الأنبياء الذين ورد ذكرهم في التوراة وكذلك في القرآن الكريم وتبين لنا أن ما أتت به آيات القرآن الكريم عن نبوة الأنبياء لم تأت به التوراة باستثناء النبي موسى عليه السلام. إذ هو النبي الوحيد المعترف عليه من بين أنبياء العهد القديم أي الأنبياء الذين بدأهم النبي إبراهيم وانتهوا عند النبي سليمان.

وتجدر الإشارة إلى أن التوراة جاءت على ذكر كثير من الأنبياء وسمتهم ولكن هؤلاء الأنبياء كانوا خاصين لبني إسرائيل يخدمون الرب عن طريق تمسكهم بشريعة النبي موسى عليه السلام.

من هؤلاء صموئيل. حزقيال. دانيال. وإرميا. وهؤلاء لهم أسفار في التوراة. وهناك ذكر لأنبياء جاء الحديث عنهم عرضاً مثل النبية مريم أخت موسى وهارون. ودبورة والنبي ناثان الذي كان مع النبي داود عليه السلام. وإيليا التشبي "إلياس". وأليشع. ونحميا. وأيوب. وأشعياء. ويوئيل. وعاموس. وعوبديا. ويونان بن أمتاي. وميخا. وناحوم. وحبقوق. وصفنيا ، وحَجي. وزكريا وملاخي.

ويرى الكثيرون من المفسرين وبعض المهتمين بالدراسات التوراتية أن إيليا هو النبي إلياس. وأن أيوب هو نفسه الوارد ذكره في القرآن الكريم. وأن يونان هو يونس عليه السلام. ولكن زكريا ليس زكريا النبي الذي ورد ذكره في قصة مريم. وبعضهم يرى أن كاهن مدين يثرون هو شعيب عليه السلام باعتباره والد زوجه موسى عليه السلام. وكما قلنا ينفرد القرآن الكريم بذكر صالح وهود وشعيب وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام:

1 ـ هل النبي شعيب هو نفسه يثرون كاهن مدين؟ ما معالم نبوته في التوراة؟ وما معالم نبوته في القرآن الكريم؟

2 ـ هل النبي إيليا هو النبي إلياس؟

3 ـ هل النبي أيوب هو نفسه النبي أيوب الذي ورد ذكره في القرآن الكريم؟

4 ـ هل النبي يونان بن أمتاي هو النبي يونس؟

جاء في التوراة أن النبي موسى عليه السلام عندما هرب من مصر بعد قتله المصري توجه نحو مدين ووجد فتيات يستسقين لغنمهن فساعدهن، وظهرت أخلاقه الحميدة أمامهن وعندما عدن تحدثن إلى أبيهن. فبعث واحدة منهن لتجلب موسى إليه. وقد ذهب موسى إلى ذلك الرجل الذي أطلقت عليه التوراة اسم يثرون ووصفته بأنه كاهن مدين. ثم تزوج موسى من ابنته التي تدعى صفوره. ثم يعود موسى إلى فرعون ليخرج بني إسرائيل من مصر. وعندما يعود إلى الصحراء مع قومه يتذكر حميه يثرون فيزوره ويروي له ما فعل الله بفرعون وجنوده. فحمده يثرون ثم أشار عليه أن يقضي لبني إسرائيل ولم تزد التوراة عن ذلك شيئاً.

والواقع أن قصة زواج موسى من بنت يثرون تشبه تماماً القصة التي وردت في القرآن الكريم. فمن المحتمل أن يكون هو شعيب عليه السلام باعتبار

أن حدث الزواج ووجود اسم مدين هو نفسه في نص التوراة ونص القرآن الكريم. ومع ذلك لم تبرز أية معالم للنبوة عند يثرون سوى مدحه لإله موسى الذي نجاه من الظالمين.

بينما نجد في القرآن الكريم معالم النبوة لدى شعيب عليه السلام. فهو نبي مرسل، ودعا قومه إلى عقيدة التوحيد فرفضوا فصعقهم الله جزاء على رفضهم دعوة نبيهم.

يقول تعالى: (كذب أصحاب الأيكة المرسلين. إذ قال لهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول أمين. فاتقوا الله وأطيعون) الشعراء 176 ـ 179.

فهذه الآية تشير بوضوح إلى أن شعيب كان نبياً مرسلاً.

وعقيدته واضحة من خلال الآيات الكريمة فهو يدعو إلى الله الواحد وعبادته.

يقول تعالى: (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود) هود 90

ثم نهاهم عن فعل السوء الذي تجلى في قوله تعالى: (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين) هود 85 .

وقد أشار القرآن الكريم في عدة مواضع إلى أن النبي شعيباً بعث لقومه من أهل مدين بقوله تعالى: (وإلى مدين أخاهم شعيباً. قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم. فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين) الأعراف 85 ويروي المفسرون أن قومه كانوا يعبدون الأيكة وهي شجرة من الأيك حولها غيضة ملتفة بها. وكانوا يقطعون السبيل ويخيفون المارة. ومن أسوأ

الناس معاملة يبخسون المكيال والميزان، ويطففون فيهما. ويأخذون بالزائد. ويدفعون بالناقص فبعث الله فيهم رجلاً هو رسول الله شعيب عليه السلام(1).

ثم حاول قومه أن يطردوه إذا لم يعد إلى ملتهم وضلالهم. ولكن النبي شعيب رفض كفرهم فعاقبهم الله بعد ذلك (فأصبحوا في ديارهم جاثمين) الأعراف 91

و هذا الذي نراه في القرآن الكريم لا نراه مطلقاً في التوراة.

أما النبي إلياس كما ورد اسمه بهذا اللفظ في القرآن الكريم فقد ورد اسمه في التوراة باسم إيليا. وقد ورد في القرآن الكريم صراحة أنه من المرسلين قال تعالى: (وإن إلياس لمن المرسلين) الصافات123 وقد بعث إلى قومه الذين هم قسم من بني إسرائيل يدعونهم إلى عبادة الله الواحد وإلى ترك عبادة البعل.

تقول بقية الآيات: (إذ قال لقومه ألا تتقون. أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين. الله ربكم ورب آبائكم الأولين. فكذبوه فإنهم لمحضرون. إلا عباد الله المخلصين. وتركنا عليه في الآخرين سلام على إلياسين. إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين) الصافات 124 ـ 132

وتورد التوراة حديثاً موسعاً عن إيليا وصراعه مع عبدة البعل. وتقول إنه وجد في زمن الملك الإسرائيلي الوثني آخاب بن عمري الذي تزوج من إيزابيل بنت ملك صيدا وتورد التوراة أن ملاك الرب التقى أيليا عدة مرات ونصره ضد عبدة البعل. وأمره بالهروب من وجه آخاب الوثني فهرب وكان الرب معه. وقد ورد أنه أشفى ابن امرأة بعون الله. تقول التوراة (وقال أيليا انظري ابنك حي. فقالت المرأة لإيليا هذا الوقت علمت أنك رجل الله وأن كلام الرب في فمك حق) ملوك أول 17: 24

---

(1) ابن كثير. قصص الأنبياء ص 186.

وظل الصراع قائماً بين إيليا وعبدة البعل حتى انتصر عليهم وأزال عبادة الأصنام. أما أيوب عليه السلام فقد أوردت آيات القرآن الكريم أجزاء صغيرة من قصته. وهو نبي بصريح العبارة في القرآن الكريم.

يقول تعالى: (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب) النساء 163 وركزت الآيات على ابتلاء أيوب وصبره وحبه لله تعالى.

يقول تعالى: (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه إني مسني الشيطان بنصب وعذاب) سورة ص 41

يقول تعالى: (رب إني مسّني الضر وأنت أرحم الرحمين) الأنبياء 83

وقد رافقت نبوة أيوب معجزة الماء البارد الذي اغتسل منه فشفي من جميع مرضه يقول تعالى: (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب. ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب) ص 42 أما التوراة فقد أفردت للنبي أيوب سفراً خاصاً أما معالم نبوته في التوراة فإنها لا تظهر إلا في بعض الأمور الجزئية.

تقول التوراة: (كان رجل في أرض عوص اسمه أيوب. وكان هذا الرجل كاملاً ومستقيماً يتقي الله ويحيد عن الشر) أيوب 1: 1

و تقول التوراة: (فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدي أيوب) أيوب 1: 8

و تقول: (وقال عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى هناك. الرب أعطى والرب اخذ فليكن اسمه الرب مباركاً. في كل هذا لم يخطئ أيوب ولم ينسب لله جهالة) أيوب 21/1 ـ 22

و تقول: (أالخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل. في كل هذا لم يخطئ أيوب بشفتيه) أيوب 2: 10

وهذه الأقوال تدل بشكل واضح على إيمان أيوب بالله إيماناً كاملاً. فهو كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر. ثم وصفه الله بأنه عبده. وهو مؤمن بخلق الله له وموته وبعثه ثم هو يقبل الابتلاء والخير من الله.

و بدءا من الإصحاح الثالث تنسب التوراة لأيوب أقوالاً هي أقرب إلى التجديف على الله والكفر به

أما في الإصحاح الأخير وهو الثاني والأربعون فتورد التوراة أن الله رد لأيوب عافيته ووهب له ضعف ما كان له من الأولاد والأموال تقول التوراة: (وبارك الرب آخرة أيوب أكثر من أولاده...)أيوب: 42: 12

(وعاش أيوب بعد هذا مئة وأربعين سنة ورأى بنيه وبني بنيه إلى أربعة أجيال ثم مات أيوب شيخاً وشبعان الأيام) أيوب 42: 16.

وإذا أخذنا أقوال التوراة الأولى عن أيوب على سبيل المجاز لا توضح لنا أنه نبي من الأنبياء وخاصة قولها كان كاملاً مستقيماً يتقي الله ويحيد عن الشر. لكن المدهش أن في كلام التوراة تناقضاً فادحاً خاصة عندما تنسب له التجديف على الله.

أما النبي يونس عليه السلام فقد ورد في القرآن الكريم عنه وعن نبوته

يقول تعالى: (وإن يونس لمن المرسلين. إذ أبق إلى الفلك المشحون. فساهم فكان من المدحضين. فالتقمه الحوت وهو مليم. فلولا أنه كان من المسبحين. للبث في بطنه إلى يوم يبعثون. فنبذناه بالعراء وهو سقيم. وأنبتنا عليه شجرة من يقطين. وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون. فآمنوا فمتعناهم إلى حين) الصافات 139 ـ 148.

من خلال هذه الآية الكريمة يتضح لنا أن: يونس

أ ـ كان نبياً من المرسلين

ب ـ و كان يسبح الله رغم ابتلائه العظيم

جـ ـ و قد أرسل إلى قوم يدعوهم إلى ديانة التوحيد

أما في التوراة فتورد أن يونان بن أمتاي قد تنبأ في أيام برعام الثاني ملك السامرة وتنبأ برد حدود السامرة. وكان موضوع نبوءته إنقاذ لبني إسرائيل من ظلم الآراميين السوريين.

وتورد التوراة قصة الحوت الذي ابتلع يونان. وفي سفر يونان رموز إلى أمور مستقبلية كقيامة المسيح وتبشير الأمم

ويقول السفر: (أن الله أمر يونان بالذهاب إلى نينوى عاصمة الآشوريين ليعلن خرابها وحاول التخلص من هذا الواجب. فعاقبه الله بأن ركب في سفينة وقعت في عاصفة قوية فألقاه أهل السفينة في البحر بعد إجراء القرعة. فابتلعه حوت عظيم وبعد ثلاثة أيام قذفه الحوت إلى البر. وبعدها صلى يونان إلى الله شكراً. وأطاع أمر ربه فذهب إلى نينوى فأصغى له سكانها وآمنوا وتابوا وصفح الله عنهم)(1)

ويعلق مؤلف الكلام في قاموس الكتاب المقدس بقوله: (وليس في سفر آخر في العهد القديم ما يظهر محبة الله بطريقة اعجب من المحبة التي يظهرها هذا السفر. إنه يحمل رسالة دينية لجميع العصور. إنه احتجاج على العصبية والعنصرية اليهودية الضيقة ومقتها للشعوب الأخرى مقتاً بشعاً ظهر بنوع خاص بعد عصر السبي. إن الله في نظر مؤلف هذا السفر يهتم بجميع الناس ويغفر

---

(1) قاموس الكتاب المقدس صفحة 1128.

لجميع التائبين إليه سواء كانوا أمماً أو يهوداً)(1).

ولعل الاتفاق على شخصية النبي يونس ـ يونان بين التوراة وبين القرآن الكريم تقع في نبوته. وابتلاع الحوت له. وصبره وإيمانه الراسخ بالله. ثم إرساله إلى قوم يدعونهم إلى التوحيد فآمنوا به ولو إلى حين.

وقد قال أكثر المفسرين المسلمين بأن يونس هو نفسه يونان. ويلقب أحياناً بذي النون أي صاحب الحوت كونه اشتهر من خلال قصة ابتلاع الحوت له.

أنبياء في القرآن الكريم لا وجود لذكرهم صراحة في التوراة

ورد في القرآن الكريم ذكر أنبياء لم توردهم التوراة أو تُحَدِّث عنهم. ولعل السبب الأساسي في ذلك أن التوراة دونت تاريخ الأنبياء الذين ينسبون أنفسهم إليهم فلم يذكروا هوداً وصالحاً وقد ذكرهما القرآن الكريم وذكر نبوتهم.

وباعتبار أن التوراة دونت قبل ميلاد المسيح عليه السلام فإنها لم تأت على ذكر النبي زكريا والنبي يحيى والنبي عيسى على الرغم من أن الثلاثة من أنبياء بني إسرائيل وكذلك لم تأت على ذكر رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

وبسبب عدم ذكرهم في التوراة فإننا سنقتصر في الحديث عن معالم نبوتهم بشكل مختصر لنلقي الضوء على معالم النبوة لديهم جميعاً.

أما هود فهو نبي بصريح العبارة وذلك في قوله تعالى:

(كذبت عاد المرسلين. إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون إني لكم رسول أمين) الشعراء 123ـ125. ودعا هود إلى عبادة الله الواحد الأحد وذلك في قوله تعالى: (فاتقوا الله وأطيعوه) الشعراء 126. (وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون) هود الآية 50 ويذكر القرآن

---

(1) قاموس الكتاب المقدس صفحة 1128.

الكريم أن الله عاقب قوم هود ونجاه. يقول تعالى: (فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) الشعراء 139 ويقول تعالى: (إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصراً في يوم نحس مستمر) القمر 19. أما النبي صالح عليه السلام فقد بعث لقوم ثمود يقول تعالى: (كذبت ثمود بطغواها. إذ انبعث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها) سورة الشمس 11ـ13. يقول تعالى: (وإلى ثمود أخاهم صالحا) الأعراف 73. ويقول تعالى: (كذبت ثمود المرسلين. إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون) الشعراء 141ـ142. ودعا صالح إلى عبادة الله الواحد. يقول تعالى: (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) الأعراف 73. ويقول تعالى: (ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالح أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون) النحل 45. وقد دعم الله نبوته بمعجزة الناقة: يقول تعالى: (قال هذه ناقة لها شرب يوم معلوم)الشعراء 155 ويقول تعالى:(إنّا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتضر) القمر 31. ويقول تعالى: (وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) الشعراء 53.

ويرتبط النبي زكريا والنبي يحيى برباط واضح في آيات القرآن الكريم. فيحيى هو ابن زكريا ويستدل من آيات القرآن الكريم أنهما وجدا في الفترة نفسها التي وجد فيها السيد المسيح عليه السلام. ومن خلال آيات القرآن يستدل أن زكريا أوحي إليه من لدن رب العالمين وذلك في قوله تعالى: (يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) مريم الآية 7.

ويصفه القرآن الكريم بأنه عبد الله. في قوله: (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) مريم 2 وقد منحه الله ابنه يحيى وهو رجل عجوز وامرأته عاقر. وكان يصلي في المحراب تعبداً لله الواحد الأحد.

أما يحيى فيأتي القرآن الكريم على ذكره بانه نبي مرسل وذلك بقوله تعالى: (يا زكريا إنا نبشرك بغلام إسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) وهذا مفسر بقوله تعالى: (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب إن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبيا من الصالحين) آل عمران 39

فيحيى نبي بصريح عبارة القرآن الكريم ثم هو مكلف بتطبيق الكتاب (التوراة) بقوة يقول تعالى: (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا) مريم 12 وكان يحيى براً والديه وكان تقياً.

وقوله يرثني ويرث من آل يعقوب: يعني يرثني بالنبوة والحكم في بني إسرائيل.

وقوله من آل يعقوب: أي كما كان آباؤه وأسلافه من ذرية يعقوب أنبياء فاجعله مثلهم في الكرامة التي أكرمتهم بها من النبوة والوحي. وتروي روايات المفسرين المسلمين أن مهمة زكريا ويحيى كانت عبادة الله الواحد ونشر الدعوة لبني إسرائيل الذين خرجوا عن ديانة التوحيد وحاربوها.

وقيل: إن بني إسرائيل قد قتلوا زكريا ويحيى، لأنهما حاولا إصلاح العقيدة اليهودية بعد أن أفسدوها. ودنسوا معبد الرب في القدس. وقيل: إن اليهود تعاونوا مع الرومان الوثنيين على قتل زكريا ويحيى. وترى الأناجيل أن يحيى هو الذي عمّد المسيح في نهر الشريعة. وهو الذي مسحه بالزيت المقدس على اعتبار أنه نبي قادم لبني إسرائيل. وبعض المفسرين اعتبروا نبوة زكريا ويحيى تمهيدا لنبوة المسيح عليه السلام.

أما عيسى عليه السلام فقد تحدث عنه وعن نبوته القرآن الكريم بشكل مسهب ومفصل وذلك باعتباره ينتمي إلى بني إسرائيل، ولأن الله سبحانه أنزل عليه كتاباً هو الإنجيل. وبسبب دعوته العالمية.

ومعالم نبوة المسيح عليه السلام جاءت متكاملة في القرآن الكريم. وإذا نظرنا إلى أخباره في الإنجيل وجدنا أن نبوته أيضاً واضحة على الرغم من المحاولات التي أرادت أن تضفي عليه صفة الألوهية. وقد تناول سيرته التلمود بالذم والبهتان والشتم واعتباره مارقا خارجا عن ديانة بني إسرائيل.

ويصرح القرآن الكريم بنبوة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وذلك في عدة مواضع. يقول تعالى: (قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا)

مريم31. ويقول تعالى: (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل. ورسولا إلى بني إسرائيل إني جئتكم بآية من ربكم إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله) آل عمران 7ـ8. فهو نبي رسول بصريح العبارة في القرآن الكريم وقد بُعث إلى بني إسرائيل. ثم يصرح القرآن الكريم بأن الله سبحانه يعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل فهو صاحب رسالة والكتاب الذي أنزل عليه هو الإنجيل.

ثم إن في خلقه من دون أب معجزة لم تحدث إلا مع آدم عليه السلام. وقد صُرح بذلك في القرآن الكريم: (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) آل عمران 59.

وكرم الله عيسى عليه السلام بأن وصفه بكلمته ألقاها إلى مريم وهو روح منه. ووصفه بالعبد لله وكذا دأب الأنبياء فأفضل صفة لهم بأنهم عباد الله.

ثم كرمه الله سبحانه بأنه رفعه إليه. ولم يستطع اليهود صلبه، وأنزل الله له ولأتباعه مائدة من السماء، وقد باركه الله وأمره بالصلاة والزكاة ما دام حيا. وكان برا بوالدته ولم يجعله جبارا عصيا أو شقيا. وقد منحه الله سبحانه بعض المعجزات كإحياء الموتى وشفاء المرضى وقد أوحي إليه من قبل الله سبحانه بواسطة جبريل عليه السلام وهذه المعالم جميعها كانت رداً على من شكّك بنبوته أولا وعلى من ادعى ألوهيته ثانيا.

وقد بشر المسيح عليه السلام بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ونجد ذلك صريحاً في القرآن الكريم. يقول تعالى: (يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) الصف 6.

أنبياء في التوراة لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم

للتوراة أنبياء كما سمّتهم. وهؤلاء الأنبياء لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم. إلا أن نبوءاتهم، وما أوردته التوراة عن صلتهم بالله وبملاك الله، يوضح أن لهم

منزلةً معينة عند بني إسرائيل، امتازوا بها من خلال عملهم اللاهوتي وإرشاداتهم وغضبهم على بني إسرائيل لعبادتهم آلهة الشعوب والابتعاد عن عبادة رب إسرائيل.

وتستخدم التوراة للنبي عادة التسمية العبرية (نابي) جمعها نابيم وهذه الكلمة يمكن ترجمتها بأشكال مختلفة منها (المنبئ) أو الذي ناداه الله. وقد ظهرت هذه التسمية متأخرة بعد تسرّبهم إلى فلسطين. وقد رأينا أن التوراة تجاهلت نبوة إبراهيم وأبنائه وأحفاده، واقتصرت على الاعتراف بنبوة موسى فحسب. وتطلق التوراة أحياناً على النبي الرائي. وقد ورد ذلك في سفر صموئيل الأول الإصحاح 9 الفقرة 9 وفي سفر القضاة وجد أنبياء رجال ونبيات من النساء مثل دبورة. وكان بنو إسرائيل يذهبون إليها للقضاء.

أما أنبياء التوراة فهم كثيرون، أول من ظهر منهم النبي صموئيل. ثم النبي عاموس. ثم النبي هوشع. ثم النبي إشعيا. والنبي ميخا. والنبي صفنيا والنبي ناحوم. والنبي إرميا والنبي حبقوق. ثم النبي حزقيال. إشعيا الثاني. ثم إشعيا الثالث. ثم النبي حجي ثم النبي زكريا. ثم النبي زكريا الثاني. ثم عوبديا. ويونان. وملاخي، ثم نحميا وعزرا. ثم دانيال. أما النبي صموئيل فقد أشارت له آيات القرآن الكريم دون التصريح باسمه. وارتبطت قصته باختيار ملك لبني إسرائيل يقودهم في الجهاد.

يقول تعالى: (ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا. فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين). البقرة 246.. وفي الآيتين 247 ـ 248 تتمة للحديث عن هذا النبي الذي أنبأهم أن الله اختار طالوت ملكا عليهم وبين أن آية ملكه أن يأتيهم التابوت الذي فيه بقية من التوراة.

وقد وافقت قصته في القرآن ما جاء في التوراة. لكن التوراة أوردت اسمه بينما القرآن الكريم لم يورد اسمه. وقد قال أكثر المفسرين المسلمين القدامى إن هذا النبي هو صموئيل أو شموئيل ومعناه سمع الله. وأهم علامات نبوة صموئيل حسب نصوص التوراة أن أمه وهبته لمعبد الإله. وقد تفرغ لعبادة الإله وخدمة معبده.

تقول التوراة (وكبر صموئيل وكان يهوه معه ولم يدع شيئاً من كلامه يسقط على الأرض وعرف جميع إسرائيل من دان إلى بئر السبع أنه قد أؤتمن صموئيل نبيا) صم 3 ـ 19 ـ 20.

ثم قضى لبني إسرائيل طوال حياته. وأشارت التوراة كثيراً إلى أن الرب كان يكلم صموئيل. أما النبي عاموس فإن التوراة تشير إلى نبوءات له وذلك أيام الملك الإسرائيلي يربعام.

تقول التوراة (لست أنا نبيا ولا أنا ابن نبي بل أنا راع وجاني جميز فأخذني يهوه من وراء الضأن وقال لي يهوه اذهب تنبأ لشعبي إسرائيل) عاموس 7: 14 ـ 15 وقد حذر عاموس بني إسرائيل لكثرة خطاياهم فتنبأ بأن الله سيحلّ عقابه بهم عن قريب وقد تنبأ بموت يربعام بالسيف وسبي بني إسرائيل.

فيرى أيضاً (لقد أتت النهاية على شعبي إسرائيل لا أعود أصفح له بعد) عاموس 2: 8.

والإله عند عاموس هو إله على كل الكون خالق ومدبر العالم. فهو الذي خلق النجوم في السماء والجبال على الأرض والذي يخلق الليل والنهار ويصنع الرياح وعنه تصدر الزلازل حين تطمو الأرض مثل ماء النهر) عاموس 4: 13 ـ 5، 908: 5.

ويتضح من خلال بعض الفقرات في سفر عاموس أن هذا النبي كان يحذر بني إسرائيل من يوم الآخرة حيث الحساب والعقاب. فهو يشير إلى أن الإله سوف يدق الخاطئين بالسيف شخصيا ولن يهرب منه أو ينجو أحد. ويرى

عاموس أن الطبيعة ستقاسي صدمة رهيبة، ستغيب الشمس ظهراً ويغطي الظلام الأرض التي ستبدأ بالارتجاج وهو يعبر عن يوم القيامة بتسمية يوم يهوه أو ذلك اليوم للدلالة على يوم الحساب والعقاب.

أما النبي هوشع فتشير التوراة إلى نبوته بقولها (قول يهوه الذي صار إلى هوشع بين بئيري في أيام عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهودا وأيام يربعام بن يوآش ملك إسرائيل، وقد عكست نبوءاته الأحداث العاصفة التي جرت في مملكة إسرائيل وقد تنبأ بيوم الله الذي يعاقب فيه بني إسرائيل لأنهم خانوا إلههم. ويعنّف هوشع بني إسرائيل، ويقرعهم، لأنهم ذهبوا وراء الأصنام، وعبدوا العجلين، ويرى أن انحرافهم سقوط أخلاقي للشعب. ويتنبأ هوشع بسقوط إسرائيل بيد الآشوريين، والإله عند هوشع هو إله قبلي متطور. إذ أنه بنظر هوشع يعاقب من يخالف من بني إسرائيل.

ويقول: (من هو حكيم حتى يفهم هذه الأمور وفهيم حتى يعرفها فإن طرق الرب مستقيمة والأبرار يسلكون فيها وأما المنافقون فيعثرون فيها) ملوك 142: 9ـ10.

أما النبي إشعيا فهو من أكثر الأنبياء الإسرائيليين شعبية ويتنبأ هذا النبي بسقوط بابل لأن ملكها كان طالما على حد قوله وتقول التوراة إنه بدأ يتنبأ في سنة وفاة الملك عزيا وأشعيا نفسه يروي ذلك.

تقول التوراة: (رأيت يهوه جالساً على كرسي عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل... عندها أصيب إشعيا بالهلع فقال: ويل لي إني هلكت لأنني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين لأن عيني قد رأتا يهوه رب الجنود) ملوك 62: 9 ـ 12.

وبقية الأنبياء ميخا وصفنيا وناحوم وحبقوق وأشعيا الثاني وأشعيا الثالث والنبي حجي وزكريا وعوبديا ويوئيل وملاخي ونحميا وعزرا تنبؤوا بأمور سيئة ستحدث لبني إسرائيل لأنهم خرجوا عن تعاليم الرب وانحازوا إلى عبادة

الأصنام. وكان صراع مستمر قد حدث بينهم كأنبياء وبين الملوك الذين تسلطوا على يهودا وإسرائيل.

وقد اقتصرت نبوءاتهم على هذا الجانب، فكانوا إصلاحيين يريدون أن يعود اليهود إلى عبادة الرب الواحد والابتعاد عن عبادة الأوثان والأصنام.

ويبرز لنا ثلاثة أنبياء كبار لدى بني إسرائيل كان لهم دور في تطوير مفهوم الألوهية وقد تنبأ الواحد منهم بأمور كثيرة. وقد وصفتهم التوراة بأنهم كانوا مع الله وقد تراءى لهم جميعاً ملاك الرب. وعانوا الويلات من عذاب وسجن من قبل ملوك اليهود وهؤلاء الأنبياء هم إرميا. وحزقيال. ودانيال.

أما إرميا، فيروي هو نفسه كيف أصبح نبأً فقد كانت إليه كلمة يهوه في أيام يوشيا ابن آمون ملك يهوذا. ويعرض إرميا مضمون كلمة يهوه بقوله (قبلما صورتك في البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك. جعلتك نبياً لشعوب. فقلت آه يا سيد الرب إني لا أعرف أن أتكلم لأني ولد. فقال: يهوه لي لا تقل: إني ولد لأنك إلى كل من أرسلك إليه تذهب وتتكلم بكل ما أمرك به) إرميا 1: 5 ـ 8.

وقد انتقد إرميا اليهود انتقاداً عنيفاً لأنهم انحازوا عن طريق الرب واعتبرهم زناة مع الآلهة الغريبة. ويهاجم إرميا أخلاقهم وظلمهم الاجتماعي. ولم ينج من لسانه بعض الذين ادعو النبوة. فانتقد جمعهم للمال وممالأتهم للملوك وخيانتهم لتعاليم الشريعة وقد نقل إرميا بعض الأمور في العقيدة اليهودية إلى تطور جديد حينما يصف الله بأنه كلي الجبروت وحكيم وعادل ومنصف. يعاقب على الشر ويكافئ على الخير. وقد تنبأ إرميا بسقوط الإسرائيليين في يد البابليين باستمرار. حتى أن الملك الإسرائيلي يهوياقيم قد سجنه في بئر. وعذبه وأراد قتله. إلا أن مجيء البابليين إلى فلسطين خلصه من الموت. أما حزقيال فقد تنبأ أيام السبي وكان من بين المسبيين. وقد أوردت التوراة في سفر حزقيال. أول لقاء بين حزقيال وبين الرب أو ملاك الرب.

وعندما رأى حزقيال ربه، خر ساجداً على وجهه، لكنّ الإله أمره بالنهوض وقال له (يا ابن آدم قم على قدميك أنا مرسلك إلى بني إسرائيل إلى أمة متمردة قد تمردت علي. هم وآباؤهم عصوا علي إلى ذات هذا اليوم. وهم إن سمعوا وإن امتنعوا لأنهم بيت متمرد فإنهم يعلمون إن كان نبيا بينهم) حزقيال 2: 1 ـ 5 وقد أوحى الإله له مرات عدة وهو على ضفاف الفرات وقد عنف حزقيال سلوك بني إسرائيل. خاصة انحرافهم إلى العبادات الوثنية وتركهم إلههم. ويشخص أورشليم والسامرة كزانيتين تخونان على الدوام زوجهما (يهوه) مع عشاق آشوريين ومصريين. ويرمز حزقيال بذلك إلى خيانة الإسرائيليين لعقائدهم.

أما دانيال فتقول التوراة: إنه حكيم ونبي عاش في القرن السادس قبل الميلاد في بابل وقد حافظ على ديانة التوحيد رغم أنه شغل مناصب عدة في بلاط ملوك وثنيين وقد تنبأ دانيال بسقوط بابل وانتقالها إلى يد الفرس وتحطيم الدولة الفارسية من قبل الإسكندر المقدوني وتفكك المملكة بعد موته. والحروب التي جرت بين الذين شقوا دولته.

وقد تنبأ دانيال بمجيء المسيح المخلص. وكذلك بالقيامة والحساب والعقاب تقول التوراة (كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية. وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي) دانيال 12: 2 وفكرة قيامة الموتى تعتبر تطورا هائلاً في العقيدة اليهودية. إذ أن التوراتيين يبتعدون كثيراً عن تصور يوم البعث.

ومن خلال قراءتنا لأسفار التوراة التي تتحدث عن أنبياء بني إسرائيل نرى أنهم جميعاً حاولوا جاهدين إرجاع بني إسرائيل إلى عقيدة التوحيد ولم يفلحوا إلا في فترات زمنية قليلة. والواقع أنهم بعد نزول توراة النبي موسى عليه السلام لم ينزل عليهم كتاب آخر. وقد كانت سمة التنبؤ لديهم تكمن فقط في قولهم: إن الرب تراءى لهم وأمرهم بتصحيح اعوجاج قومهم.

منهج الدعوة عند الأنبياء في التوراة والقرآن

من خلال قراءتنا المتواصلة للقرآن الكريم، ومن خلال ما توصل الباحثون والعلماء والدارسون نستطيع أن نتعرف على منهج الدعوة عند الأنبياء جميعاً. والقرآن الكريم الذي تناول سيرة الأنبياء، يوضح لنا أن دعوة الأنبياء واحدة في كل الأزمان والعصور.

وعلى الرغم من اختلاف الازمنة بين الأنبياء الذين ذكرهم القرآن الكريم، إلا أنهم جميعاً تلقوا تعاليم واحدة، مصدرها الوحي الذي يأمره الله أن يبلغ هؤلاء الأنبياء مهماتهم لدى شعوبهم أو لدى الأمم جميعا.

ويمكننا أن نتعرف على منهج الدعوة لدى الأنبياء من خلال محطات واضحة.

1 ـ الدعوة إلى عقيدة التوحيد.
2 ـ التعريف بالله من خلال مظاهر الخلق الكونية والبشرية.
3 ـ الاعتبار بالأمم السابقة وكيف كانت عاقبتها.
4 ـ الترغيب والترهيب بالأمور الدنيوية والأمور الأخروية كالحساب والموت والبعث والجنة والنار.
5 ـ الدعوة إلى الأخلاق الحميدة والابتعاد عن الأخلاق السيئة.

ونستطع أن نتعرف على الأسلوب النبوي في نشر الدعوة من خلال:

1 ـ روحانية الدعوة وواقعيتها.
2 ـ الإخلاص في الدعوة والاتكال على الله.
3 ـ وضوح الرؤية وبساطة لغة التخاطب.
4 ـ صدق القول واستقامة العمل.
5 ـ الأمانة وإبعاد الكذب في القول والعمل.
6 ـ تبيان إن الأجر على الله ولا وطمع بمال أو بجاه أو بسلطان.

فنوح وهو أول الأنبياء الذين بعثوا إلى أقوامهم، دعا قومه إلى عبادة الله الواحد كأول أمر من أمور الدعوة.

يقول تعالى: (أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) هود 26.

ويقول تعالى: (ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلاّ على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون) هود 29.

ويقول تعالى: (ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين) هو 31.

ويقول تعالى: (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) هود 32.

ويقول تعالى: (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا. يرسل الماء عليكم مدرارا. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً) نوح 10 ـ 12.

ويقول تعالى: (ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا. وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً) نوح 15 ـ 18.

فمن خلال هذه الآيات الكريمة نرى أن نوح:

1 ـ دعا قومه إلى عبادة الله الواحد.
2 ـ بيّن لهم أنه لايملك خزائن الأرض ولا يعلم الغيب.
3 ـ جادلهم طويلاً بالتي هي أحسن حتى ضجّوا من مجادلته لهم.
4 ـ واستخدم أسلوب الترغيب الدنيوي والأخروي.
5 ـ ودعاهم إلى التفكير في الكون وخلق الله وفي أنفسهم.

6 ـ بين لهم أنه لا يريد أجرا ولا مالا ولا سلطانا فأجره على الله.

7 ـ بين لهم أن الذين آمنوا به وإن كانوا فقراء مستضعفين فهم خير من بني قومهم الذين لم يؤمنوا بالله وبرسالة نوح.

لقد كان نوح عليه السلام مدركا ماهية الدعوة فهي تنطلق من روحانية ترتبط بالإيمان بالله ومن واقعية ترتبط بالحياة الدنيا ومعيشتها ونستطيع أن نستشف صدق دعوة نوح عندما بين لهم أنه لا يريد أجرا على دعوته. وأنه في الوقت نفسه لا يملك المال والذهب حتى يُغرقهم بهما. فهو واقعي وروحاني في الوقت نفسه. ثم توضح الآيات الكريمة مدى إخلاص نوح في دعوته فهو لا يكل عن مجادلتهم كي يقتنعوا لقد كانت رؤية التوحيد واضحة لدى نوح، وهو متكل على الله ولغته بسيطة ليس فيها غموض. ثم إن قوله صادق ولو كان فيه كذب لتوضحت مصلحة هدايتهم نفسها. وبعد هذا الوضوح الذي نراه في منهج الدعوة عند النبي نوح عليه السلام نتساءل هل كان لنوح منهج دعوة في التوراة؟.

في سفر التكوين الإصحاح السادس والسابع والثامن والتاسع لا تذكر التوراة أي دعوة توحيدية لنوح، ولا تذكر قومه، ولا جداله معهم. وتنفرد التوراة بذكر ميثاق كتبه الله بينه وبين نوح وبنيه فحسب. فلا خصائص للنبوة. ولا منهج لدعوته. ولا وجود لقوم يجادلهم ويدعوهم إلى ديانة التوحيد وإذا دققنا النظر في سلوك نوح كما أوردته التوراة لوجدنا أنه يرتبط بسلوك إنسان شاذ. فهو كما تقول التوراة قد تعرى داخل خبائه وشرب الخمر حتى ثمل. ثم لما استيقظ من سُكره أخذ يصب اللعنات على ابن ابنه حام كنعانَ. وكل ذلك التشويه والتلفيق لأَجل أن يتعلم اليهود سياسة القتل في أبناء كنعان الذين ستسبى أرضهم من قبل التوراتيين المنحرفين فيما بعد.

إن النبي نوح عليه السلام، نموذج حي لواقع جميع الأنبياء الذين ذكرهم القرآن الكريم وإذا نظرنا مليا في منهج الدعوة لدى الأنبياء نرى الواقع نفسه يتكرر مما يدل على أن الدعوة واحدة لديهم جميعاً، وكذلك الغاية والأسلوب.

فإبراهيم عليه السلام يدعو إلى عبادة الله الواحد وترك عبادة ما دونه وما سواه.

بقول تعالى: (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين، قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين. قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين. قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين) الأنبياء 51 ـ 56. فإبراهيم يدعو إلى عبادة الله الواحد، ثم يعرف بالله من خلال مظاهر الكون.

ويقول تعالى: (وحاجه قومه قال أتحاجونني في الله وقد هداني ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون) الأنعام 80.

فإبراهيم يجادل قومه ويحاججهم. والمحاجة أسلوب عقلي في الإقناع. وهو أيضاً ثابت العقيدة لا يخاف مما يعبدون لأنهم يعبدون ما لا يقدر على الدفاع عن نفسه. وإبراهيم في دعوته يتحاشى الاصطدام مع أبيه لأن من أخلاق النبي بل المسلم بشكل عام أن يكون باراً لوالديه وإن كانا في ضلال.

يقول تعالى: (قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا) مريم 47. وإبراهيم صادق القول ثابت العزيمة أمين على رسالته.

يقول تعالى: (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن أتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب فبهت الذي كفروالله لايهدي القوم الظالمين) البقرة 258. ويستدل من ذلك الحجة العقلية التي تمتع بها النبي إبراهيم والتي هي أحد الأسس في منهاج الدعوة لدى الأنبياء.

أين منهج الدعوة عند إبراهيم في التوراة؟

إبراهيم يلبي دعوة ربه في الهجرة من أور الكلدانيين إلى أرض كنعان والغاية أن يملك الله إبراهيمَ أرضا.

تقول التوراة: (فذهب إبرام كما قال له ربه وذهب معه لوط) تكوين 12 : 4.

ويعز على إبراهيم أن يهلك الله جميع الناس في سدوم وعمورة.

تقول التوراة: (فتقدم إبراهيم وقال أفتهلك البار مع الأثيم عسى أن يكون خمسون بارا في المدينة أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين بارا الذين فيه. حاشى لك أن تفعل مثل هذا الأمر أن تميت البار مع الأثيم فيكون البار كالأثيم حاشا لك) تكوين 18: 24 ـ 25.

وإبراهيم صاحب عهد لا ينقض عهده مع من عاهده وفي ذلك تقول التوراة (وحدث في ذلك الزمان أن أبيمالك وفيكول رئيس جيشه كلما إبراهيم قائلين الله معك في كل ما أنت صانع. فالآن احلف لي بالله ههنا أنك لا تغدر بي ولا بنسلي وذريتي كالمعروف الذي صنعته إليك تصنع إلي وإلى الأرض التي تغربت فيها. فقال إبراهيم أنا أحلف) تكوين 21: 24 وتقول التوراة (فقطعا كلاهما ميثاقا) تك 21: 27 وإبراهيم بسلوكه واستقامته عامله شعب الأرض التي تغرب فيها معاملة تليق به. فعندما ماتت زوجته سارة أراد أن يدفنها فذهب إلى حبرون وطلب أن يشتري قطعة أرض فيها مغارة كي يدفن زوجته فيها. وبسبب من استقامته وصدقه حاول أهل الأرض أن يمنحوه الأرض هدية فرفض إلا أن يدفع ثمنها أربعمائة قطعة من الفضة.

تقول التوراة: فأجاب بنو حث إبراهيم قائلين له: (إسمعنا يا سيدي أنت رئيس من الله بيننا في أفضل قبورنا إدفن ميتك) تك 23: 5 ـ 6.

وهذا ما يمكن أن نجده في صفات الداعي، إن كان نبياً أم غير نبي وإذا قارنا بين ما جاء به القرآن الكريم، وما جاءت به التوراة لوجدنا الفرق شاسعا واسعاً ففي التوراة لا دعوة مباشرة من إبراهيم إلى عقيدة التوحيد. فهو لم يدعُ آباه وقومه إلى عبادة الله الواحد. ولم يستعمل الحجة العقلية في حجاجه مع الملك الذي ادعى الألوهية. ثم هو لم يظهر أي صلة بينه وبين أبيه الذي كان

على غير عقيدة التوحيد.

وطبيعة الاختلاف تكمن في الاختلاف الجوهري في الأحداث. فما أورده القرآن الكريم يختلف عما أوردته التوراة. وغاية القرآن الكريم ليس تبيان التاريخ وتفاصيله إنما تبيان الألوهية والأدلة عليها ثم تبيان مظاهر النبوة وغاياتها. بينما التوراة تهدف - خاصة في الحديث عن إبراهيم وسلالته - إلى صلة الوعد الإلهي المزعوم بهذه السلالة. فهي لا هم لها سوى التركيز على منح أرض كنعان لنسل بني إسرائيل. أما قضايا التوحيد والدعوة إلى عقيدة التوحيد فليس من شأنها ولا في غاياتها، وكذلك فإن معالم منهج التوحيد مفقود في التوراة لدى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ويوسف. وكما رأينا فإن التوراة لا تصف أيا منهم بالنبي. وقد اعتبرت التوراة أن موسى عليه السلام، هو النبي الذي لم يأت مثله في بني إسرائيل، ونفت صفة النبوة عمن سبقه من الأنبياء. وعلى هذا الاعتبار لابد لنا أن نتوقف عند منهج الدعوة لدى هذا النبي لنرى مدى تركيز الآيات القرآنية عليه ومدى ما حرفت التوراة في منهجه، على الرغم من أنه هو الذي نزلت عليه التوراة. وبيّن لبني إسرائيل التعاليم والتشريع اللذين يجب اتباعهما.

فقبل أن يبعث الله موسى نبياً تعرض لمشكلة أودت بحياة أحد المصريين. فلام نفسه كثيراً وقال (هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين. قال ربي إني ظلمت نفسي فاغفر لي. فغفر له إنه الغفور الرحيم. قال ربي بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين) القصص 15 ـ 17. فتميز موسى أول ما تميز بأنه لوامٌ نفسَه واعتبر أن عمله من عمل الشيطان.

إن منهج الدعوة عند النبي موسى يتضح بشكل جلي عندما بعث إلى فرعون. فهو يدعوه أولا إلى عبادة الله الواحد قال فرعون وما رب العالمين. قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين) الشعراء 23 ـ 24.

ثم إنه صبور في دعوته ينفذ أمر الله كما هو. لقد أمره الله أن يجادل

فرعون بالتي هي أحسن. فقال له. فقل له قولاً لينا. وهذا ما شاهدناه من حوار بين موسى وفرعون ثم أن النبي موسى يعرف حدود قدرته فيطلب من الله أن يكون أخوه هارون معه كي يساعده في دعوته. ولا يتخلى موسى في دعوته عن الاتكال على الله (وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) يونس 84.

وموسى ثابت العزيمة ثقته بربه كاملة لا تتزعزع. يقول تعالى (قال كلا إن معي ربي سيهدين) الشعراء 62.

وعندما رجع من ميقات ربه وجد قومه يعبدون العجل فكان موقفه حازما تجاههم فقرعهم وأنّبهم بل أخذ برأس أخيه هارون يجره ليحاسبه على ما جرى في قومه :

يقول تعالى: (ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال يا بن أمَّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين) الأعراف 150.

ثم أن موسى راح يذكر قومه باستمرار بنعم الله عليهم. وهم ينحرفون ولا يقتنعون بعقيدته تمام الاقتناع.

ثم هو يستعين بالله في كل ظرف وموضع لأنه كنبي داع يعرف ويدرك بإيمانه أنه بدون الاستعانة بالله، لا يمكن أن ينتصر أو يحقق دعوته التوحيدية.

يقول تعالى: (قال: رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وين القوم الفاسقين) المائدة 25 ومن خلال دعوته يستشهد بما صنع الله في السماء والأرض (الذي جعل لكم الأرض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى).. طه 53.

ولعل أهم محطات منهج الدعوة عند النبي موسى عليه السلام ما ورد في

القرآن الكريم من أحداث مختصرة بينه وبين العبد الصالح.

فموسى عليه السلام على الرغم من نبوته وإنزال التوراة عليه أراد أن يتعلم من العبد الصالح فكان مثال التلميذ مع أستاذه فلم يتذمر أو يرفض متابعة المسير مع العبد الصالح على الرغم من أنه لم يكن يدرك معنى الأفعال وأبعادها التي نفذها العبد الصالح بأمر من الله سبحانه وتعالى: (قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً) الكهف 66.

ثم قال: قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً) الكهف 69.

ثم قال: قال (لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا) الكهف 73.

ثم قال: قال (إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا) الكهف 76.

وإذا نظرنا في سفر الخروج وجدنا أن النبي موسى عليه السلام تمتع أيضاً بكافة المستلزمات التي من شأنها تبليغ الدعوة.

فهو الصابر دوما في دعوته خاصة في مجادلته لفرعون حتى قضى الله له بالخروج من أرض مصر وهو الصابر دوما على بني إسرائيل الذين تمردوا عليه وعلى عقيدته.

وهو الذي لم ينقطع عن لقاء قدرة ربه يتلقى التعاليم ويعود بها إلى بني إسرائيل يبلغها وينشرها بينهم.

ثم هو المستمع إلى نصائح حميه (يثرون) (والذي قد يكون النبي شعيب نفسه) فيأخذ عنه كيفية القضاء بين بني إسرائيل.

تقول التوراة: (فلما رأى حمو موسى كل ما هو صانع للشعب قال ما هذا الأمر الذي أنت صانع للشعب) خروج 18: 14.

وتقول التوراة: وسمع موسى لصوت حميه وفعل كل ما قال) خروج 18:

..24

ويحارب موسى كل العقائد الوثنية التي جبل عليها بنو إسرائيل فلا يكل ولا يمل من توضيح هذه الانحرافات وعقابها الإلهي.

تقول التوراة: فجاء موسى وحدّث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام) خروج 24: 3.

نظرة إجمالية في منهج الدعوة عند الأنبياء

لا يختلف منهج الدعوة بين نبي وآخر. فجميعهم مكلفون بتبليغ رسالة الله سبحانه. وقد اصطفاهم الله لمهمة التبليغ لأنهم أهل لها.

يقول تعالى عن النبي هود عليه السلام: وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون) هود 50.

(يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون) هود 51. (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين) هود 52.

(قال إني أشهد الله واشهدوا إني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون. إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم) 54 ـ 56.

(فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا. إن ربي على كل شيء حفيظ) هود 57.

فهذه الآيات الكريمة ترشدنا إلى المنهج الذي طبقه النبي هود وهو ينحصر بـ:

الدعوة إلى التوحيد، وعدم طلب الأجر الدنيوي، والأجر على الله، طلب الاستغفار فبسببه ينزل الله الغيث، ويزيدهم قوة. وتبرؤه منهم ومن عبادتهم

وسلوكهم. والتوكل على الله والثقة به. والتذكير لهم بأنه بلغ رسالته، والإنذار لهم بأن الله سيستخلف غيرهم إن ظلوا على كفرهم.

وفي نفس السورة يذكر القرآن الكريم ما كان مع النبي صالح وقومه. يقول تعالى: (وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره وهو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه وتوبوا إليه إن ربي قريب مجيب) هود 61.

وكذلك قص علينا القرآن الكريم ما كان مع شعيب عليه السلام وقومه.

(قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره. ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط. ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين. بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ) هود 84 ـ 86.

ويقول تعالى: (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد) هود 88 ـ 89.

ويقول تعالى: (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود) هود 90.

فمنهج الدعوة يستند في أسسه الأولى على الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله الواحد والإيمان به، ثم إلى الإصلاح الاجتماعي والبعد عن الفساد والاتكال على الله، والعبرة من الأقوام السابقة التي كانت برهانا واضحاً على ما جرى لها بسبب عنادها لأنبيائها. وبسبب بعدها عن عقيدة التوحيد والكفر بالله وفعل المنكرات الضارة بالناس وبالمجتمع بشكل خاص.

نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والقرآن

محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وآخر سلسلتهم. ورسالته أكمل الرسالات وأعمها جاءت لتجمع كافة خصائص التوحيد التي سبقت منذ آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام حتى المسيح عليه السلام.

وقد نص القرآن الكريم على نبوته وعالمية دعوته في كثير من الآيات القرآنية الكريمة. أنزل عليه القرآن الكريم من الله سبحانه عن طريق الوحي الأمين جبريل عليه السلام خلال ثلاث وعشرين سنة.

وانتشر الإسلام في كافة أصقاع الدنيا وجميع المسلمين يرفعون شعار التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وتمتاز خصائص نبوته بشموليتها وتكاملها، إن كان ذلك على المستوى الشخصي، أو كان على المستوى الغيبي، أو على مستوى الدعوة

1ـ فقد اصطفاه الله سبحانه ليكون آخر الأنبياء وخاتمهم.

2ـ حياته قبل النبوة أربعون عاماً من التعبد والتفكير والحماية الإلهية.

3ـ أوحي إليه وكان الوحي جبريل عليه السلام.

4ـ اصطفاه الله بكتاب هو القرآن الكريم الذي تحدى الإنس والجن أن يأتوا بمثله.

5ـ بدأ الدعوة فرداً وصمد في وجه الكفار حتى النهاية. ونشر الدعوة حتى عمت فأصبح الإسلام عقيدة إنسانية لا تقتصر على أمة أو شعب.

وعلى مدار التاريخ البشري عرفنا أنبياء حدثنا عنهم القرآن الكريم فوجدناهم بشراً، ولكنهم يختلفون عن البشر، حيث اصطفاهم الله سبحانه ليكونوا أنبياء. ومن يصطفيهِ الله سبحانه لا بد أن يكون محل الاصطفاء.

فالنبي محمد عليه الصلاة والسلام اختاره الله سبحانه ليكون نبي آخر الزمان وخاتم النبيين ولم يدّعِ من نفسه النبوة أو يتمثلها بدافع شخصي ذاتي.

يقول تعالى: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً) الأحزاب الآية 4

فالآية الكريمة توضح أن الله اختار هذا الإنسان ليكون خاتم النبيين ورسالته خاتمة الرسالات.

ويقول تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون) سبأ 28.

وهذا الاختيار الرباني لا يأتي عبثاً، فالنفوس التي يختارها الله لتحمل رسالة السماء هي نفوس تربيها الذات الإلهية تربية خاصة مميزة. وقد تربى النبي صلى الله عليه وسلم لا أماً ترعاه ولا أباً. وكانت رعاية الله هي التي حفظته لأنها اختارته ليولد في هذا العالم ليكون أول نبي وآخر نبيٍ يبعث للناس كافة وليس لقوم محددين، والفرق بين من يختاره الله ليكون نبياً، وبين من يظن ظنا أنه سيكون نبياً فرق شاسع فقد انتظر بعض الموحدين أن ينزل عليهم الوحي، ومن هؤلاء أمية بن أبي السلط ولكن إرادة الله التي أوجدت محمداً اصطفته ليكون نبياً. وخلقت ظروفا اجتماعية وتاريخية ونفسية ليكون خاتم الأنبياء هو الشخص بعينه.

في تاريخه قبل البعثة، عرف بالصدق والأمانة والاستقامة. ام يعبد الأوثان والأصنام. ولم ينحرف في مسيرة حياته، فكان المثل الأعلى في المجتمع الجاهلي المكي، وكانت تلك المسيرة الكريمة حجة على قريش والعرب والناس جميعاً. فصاحب الرسالة معروف بنسبه وسلوكه وأخلاقه.

لم يكن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يعرف أنه سيكون نبي آخر الزمان، وخاتم المرسلين، فلذلك راعه وأرعبه نزول الوحي عليه فذهب إلى زوجته يرتجف.

قال تعالى: وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكوننّ ظهيرا للكافرين) القصص 86.

فالتطلع إلى الرسالات العظيمة ليس بالتمني والأمل ولكن بالاختيار الرباني والطاقة عليها. وكم من طامحين لا يملكون إلا الجرأة على الأمل. وكم من راسخين يطويهم الصمت حتى إذا كلفوا أتوا بالعجب العجاب.

نزل عليه الوحي وهو في سن النضج والاكتمال سن الأربعين وأنزل الله عليه القرآن ليتحدى ويعجز العقول والألباب. وتوالى نزول القرآن على قلبه حتى اكتمل بعد ثلاث وعشرين سنة.

امتاز رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه شاهد ومبشر ونذير. وقد عرف ذلك أهل الكتاب من اليهود والنصارى فأكثرهم حرّف الصدق وقليل منهم أنصف وصدّق.

لقد أنزلت التوراة الحقيقية على موسى عليه السلام قبل نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بحوالي 1800 عام. وأنزل الإنجيل على المسيح عليه السلام قبل نزول القرآن بحوالي 570 عاما. ولكن سلسلة الأنبياء الربانيين سلسلة واحدة. عقيدتها التوحيد. وكل نبي يمهد الطريق أمام النبي الآتي بعده ويبشر قومه بقدومه ولو بعد زمن طويل.

وهذا ما حدث فعلا.

لقد بشرت التوراة بقدوم سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم. وكتبت أوصافه في ذلك الكتاب. وجاءت هي نفسها الأوصاف التي جاء بها

القرآن الكريم. وبشر بقدومه المسيح عليه السلام. ولكن اليهود أنكروا وهم يعرفون وأخفوا الحقائق وهم يدركون.

ومما بشرت به التوراة عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم ما ورد في سفر التثنية في الإصحاح الثامن :

تقول (وسوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين إخوتهم وأجعل كلامي في فمه ويكلمهم بكل شيء آمره به. ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي فأنا الذي أنتقم منه. فأما النبي الذي يجترئ علي بالكبرياء ويتكلم باسمي بما لم آمره به أو باسم آلهة أخرى فليقتل. وإذا أحببت أن تميز بين النبي الصادق والكاذب فهذه علامتك إن ما قاله ذلك النبي باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب. يريد تعظيم نفسه ولذلك لا تخشاه) وقد قال اليهود إن هذه البشارة ليوشع بن نون. ولكنهم يعرفون أن يوشع ليس كموسى. ومع أنهم كانوا ينتظرون في مدة المسيح نبيا آخر غير المسيح. وقد أرسلوا ليوحنا المعمدان (يحيى) يسألونه عن نفسه فقالوا له أنت إيليا فقال: لا فقالوا أنت المسيح فقال: لا فقالوا أنت النبي فقال: لا فقالوا ما بالك إذا تعمد إذا كنت لست إيليا ولا المسيح ولا النبي. فهذه تدل على أن التوراة تبشر بإيليا والمسيح ونبي لم يأت بعد وحتى زمن المسيح. ثم أن التوراة تقول في صفة النبي إنه مثل موسى وقد نصت في آخر سفر التثنية على أنه لم يقم في بني إسرائيل نبي مثل موسى وورد في هذه البشارة أن النبي الذي يفتري على الله يقتل. ونبينا مكث بين أعدائه الألداء المشركين واليهود ثلاثة وعشرين سنة يدعوهم فيها إلى الله. ومع ذلك عصمه الله منهم كما قال تعالى: (والله يعصمك من الناس) المائدة 76. وقد أخبرتنا هذه البشارة عن العلامة التي نعرف بها صدق النبي من كذبه وهي الإخبار بما سيأتي. وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء كثيرة فحدثت كما أخبر عنها كغلبة الروم على الفرس.

وروى القاضي عياض في الشفاء أن عطاء بن يسار سأل عبد الله بن عمر بن العاص عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) الأحزاب 33. إذ تقول التوراة وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق. ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا)(1).

وتقول التوراة في ذلك: (نابي أقيم لا يقيم مقارب أحيهم كاموخا إيلا وتشماعون) وتفسيره (نبيا أقيم له من وسط أخوتهم مثلك به فليؤمنوا)

ويعلق السموأل بن يحيى المغربي(2) على ذلك بقوله إنما أشار إلى أنهم يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم فإن قالوا: (إنه قال من وسط اخوتهم، وليس في عادة كتابنا أن نعني بقوله اخوتكم إلا بني إسرائيل. قلنا: بلى قد جاء في التوراة اخوتكم بني العيص وذلك في الجزء الأول من السفر الخامس قوله: أنتم عابرون في تخم اخوتكم بني العيص المقيم في سعير إياكم أن تطمعوا في شيء من أرضهم).

فإذا كان بنو العيص اخوة لبني إسرائيل لان العيص وإسرائيل ولدا إسحق فلذلك بنو إسماعيل اخوة لجميع ولد إبراهيم. وإن قالوا إن هذا القول إنما أشير به إلى شمويل النبي عليه السلام. لأنه قال من وسط اخوتكم مثلك وشمويل كان مثل موسى من أولاد ليوي، يعنون من السبط الذي كان منه

---

(1) رواه البخاري في البيوع باب كراهية الصخب في الأسواق رقم 2125.

(2) السموأل بن يحيى المغربي. حبر من الأحبار اليهود في القرن السابع الهجري أسلم ورد على اليهود بكتاب مهم جدا اسمه غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود. وفي توفي في مراغة من أعمال أذربيجان.

موسى فلنسألهم. فإن كنتم صادقين فأي حاجة بكم إلى أن يوصيكم بالإيمان بشموايل وأنتم تقولون أن شموايل لم يأت بزيادة ولا بنسخ أشفق من أن لا تقبلوا لأنه أرسل ليقوي أيديكم على أهل فلسطين وليردكم إلى شرع يخاف تكذيبكم من ينسخ مذهبكم ويغير أوضاع ديانتكم. فالوصية بالإيمان به مما لا يستغني مثلكم عنه. ولذلك لم يكن بموسى حاجة أن يوضيكم بالإيمان بنبوة يرميا ويشعيا. وغيرهما من الأنبياء. وهذا يدل على أن التوراة أمرتهم في هذا الفصل بالإيمان بالمصطفى عليه السلام وأتباعه)(1).

ويرى البروفيسور عبد الأحد داود(2). أن الكلمات الواردة في التوراة في الفصل 33 والجملة 2 تنص على ما يلي :

وجاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ قادماً من جبل فاران وجاء معه عشرة آلاف قديس ومن يده اليمنى برزت نار شريعة لهم.

ولم تكن لأي واحد من الإسرائيليين بما فيهم المسيح أية علاقة بفاران فإن هاجر مع ولدها إسماعيل تجوّلا في متاهات بئر السبع وهم الذين سكنوا بعد ذلك في قفار فاران.

وقد أفرد البروفيسور عبد الأحد داود كتاباً خاصاً تحت عنوان. محمد في الكتاب المقدس. حلل فيه كافة النبوءات والإشارات التوراتية والتي تشير إلى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم. كما حلل نصوص الإنجيل المرتبطة بالنبوءة الخاصة التي تقول: بمجيء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد فضح القرآن الكريم تزييف أهل الكتاب للحقائق المتعلقة بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فهم يعرفون صفاته ومهماته من خلال كتابهم

---

(1) غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود. السموأل بن يحيى المغرب. مخطوط ص 27 .

(2) عبد الأحد داود هو كاهن مسيحي آشوري اسمه الأصلي بنجامين كلداني. أستاذ في علم اللاهوت وقس سابقا. وهو من ديجالا في إيران. إعتنق الإسلام عام 1905 في استانبول.

التوراة ومن خلال وصايا أنبيائهم باتباعه والسير على طريقه.

يقول تعالى: (الذين أتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون.) البقرة 146.

ويقول تعالى: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) آل عمران 157.

ويقول تعالى: (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما) النساء 162.

ويقول تعالى: (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلما تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين.) البقرة 91.

ويقول تعالى: (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) البقرة 89.

ويقول تعالى: (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون. يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) آل عمران 70- 71.

ويقول تعالى: (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءتهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين) آل عمران 86.

الفصل الرابع

عالم المخلوقات الخفية
بين التوراة والقرآن
الملائكة. الجن. إبليس. الشيطان

يأخذ عالم الغيبيات حيزاً واسعاً في الكتب السماوية والديانات جميعها. وبنظرة إجمالية، فإن العقائد لدى كثير من الشعوب تُعيد عالم الغيبيات إلى صنفين يمثلان الخير والشر، وأساس هذا التصور قديم قدم الإنسان، إذ هو يقوم على الصراع بين قوى تمثل الخير وقوى تمثل الشر.

وتتضح صورة هذا الصراع بشكل أوسع في العقائد الثلاث اليهودية المسيحية والإسلام إذ أصبح فيها تصنيف واضح، فالملائكة تمثل جانب الخير في عالم الوجود الغيبي. والشيطان أو إبليس يمثل جانب الشر بكل أبعاده النفسية والدينية.

غير أن القرآن الكريم أوضح كثيراً من طبيعة هذه المخلوقات ومهماتها. وكذلك فقد حوت نصوص التوراة كثيراً من الأحاديث عن هذه المخلوقات.

ويعتبر الإيمان بالملائكة جزءاً من العقيدة الإسلامية إذ أن العقيدة تربط بين الإيمان بالله وبرسله وبملائكته وكتبه واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

وقد تلاقت نصوص القرآن مع نصوص التوراة في الحديث عن بعض المواقف الواقعية والأحداث، وما للملائكة من دور فيها. ولكنها اختلفت فيما بينها في كثير من الصفات والمهمات أيضاً. إضافة لما ورد في العقيدة اليهودية من ميل إلى تقديس إبليس ومن عداء للملاك جبريل.

وقد اختلط على كتبة التوراة أو هم خلطوا بين عمل الله سبحانه وعمل الملائكة والجن. فنسبوا أعمال الله إلى إبليس تارة ونسبوا أعمال إبليس إلى الله

تارة أخرى. وقد ورد ذلك في عدد من نصوص التوراة. ولا يأخذ الجن حيزاً واسعاً في التوراة كما هو في القرآن الكريم. بل أننا نجد أن التوراة تتحدث أحياناً عن استعانة بعض ملوك بني إسرائيل بالجن أو بالعرافات والعرافين الذين يدعون أن الجن يخدمهم، وينفذ أوامرهم .

وفي عدد من نصوص التوراة نعثر على ما يسمى الكروبيم وهي جمع لكلمة كروب ، ويمثلون لهذه المخلوقات بأجسام لها أجنحة وأشكال غريبة. وقد يرمزون بها إلى قوى قد تكون من الملائكة أو من غيرها.

ويمكن لنا أن نرتكز في ذلك على عدة أمور، يمكن أن نعتبرها مفتاح المقارنة والدراسة .

أ ـ الملائكة وأصنافهم ومهماتهم
ب ـ إبليس أو الشيطان. طبيعته ومهامه
ت ـ الجن
ث ـ الكروبيم والتجسيد
ج ـ اختلاط أعمال هذه القوى المخلوقة بأعمال الله في التوراة.

عالم الملائكة

من خلال ما تعلمناه من القرآن الكريم نرى أن عناصر المخلوقات العاقلة ثلاثة أنواع: الإنسان. الملائكة. الجن .

وقد ورد الحديث عن الملائكة في القرآن الكريم عشرات المرات بصيغة الجمع ومرات عديدة بصيغة المفرد ـ ملك ـ .

ولعلّ أول ذكر للملائكة في السياق الزمني هو الذكر المرتبط بخلق آدم. وهذا يعني أن الله خلق الملائكة قبل أن يخلق آدم عليه السلام. يقول تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد

فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) ـ البقرة 30

فهذه الآية تشير بوضوح إلى أن الملائكة يسبحون الله ويقدسون له وهذه هي مهمتهم الأولى بشكل عام.

ويقول تعالى: (وعلّم آدم الأسماء كلّها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) البقرة 31 ـ 32

ثم يقول تعالى: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) البقرة 34

وفي الآيتين 31 ـ 32 يبين القرآن الكريم محدودية علم الملائكة. فهم لا يعلمون إلا ما علمهم إياه رب العالمين.

أما الآية 34 فتدل على أن الملائكة ينفذون أمر الله دون اعتراض.

فالحديث عن الملائكة يرتبط هنا بحدث محدد وهو خلق الله لآدم. ولو راجعنا نصوص سفر التكوين التوراتي الذي تحدث عن خلق الإنسان لما وجدنا أي ذكر لهذا الحدث ولا أي ذكر للملائكة.

ففي اليوم السادس يخلق الله الإنسان بعد أن خلق السماوات والأرض والوحوش والنبات.

تقول التوراة: وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا) تكوين1: 26

وعن تعليم الله لآدم الأسماء تقول التوراة:

(وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء وأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها. وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو

اسمها. فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية) تكوين 2: 19ـ 20.

ونلاحظ أن لا وجود للملائكة في عالم خلق الله. وقد اعتبرت أن آدم أول مخلوق يتحدث أو يعقل. وهذا يدل على أن كتبة التوراة يتجاهلون خلق الملائكة ويعتبرون أن الإنسان الأول آدم العاقل هو الأساس في المخلوقات الحية العاقلة. وقد نضع هنا سؤالا استفهاميا حول ذلك التجاهل. لماذا التجاهل؟ ما أسبابه؟ ما غاياته وأهدافه؟

الملائكة والوحي

أوضحت آيات القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى يكلف الملائكة بمهمات، كل ملك له مهمة، وجبريل عليه السلام كان مكلفا بتبليغ رسالة السماء. فهو الذي يحمل معه آيات القرآن الكريم ويلقنها لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وقد وردت بعض الأحاديث النبوية الشريفة التي تشير إلى أشكال الوحي الذي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول الله تعالى: (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزّله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين. من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين.) البقرة 97ـ 98

ويقول تعالى: (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) التحريم ـ 4 ـ

وهذه هي المرات الثلاث التي ورد ذكر جبريل صراحة فيها. وقد وُصف الملك جبريل بعدة أوصاف في القرآن الكريم. منها الأمين. والروح القدس. والروح. والروح الأمين. يقول تعالى: (وانه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) الشعراء 192ـ 195.

ويقول تعالى: (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) النحل 102.

ويقول تعالى: (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) النحل 2.

فجبريل أو الروح القدس أو الروح الأمين أو الروح. جميعها تطلق على جبريل عليه السلام وهو المكلف بتنزيل الرسالات وتبليغ أمر الله لأنبيائه ورسله.

أن هذا ما لا تعترف التوراة به ولا في أي موضع منها. فجبريل لم ينزل بالرسالة على أي من الأنبياء.

وقد أورد المفسرون المسلمون سبب نزول قوله تعالى: قل من كان عدوا لجبريل... فاجمعوا على أن حديثا نبويا ورد من عدة أوجه يوضح المسألة: أخرج عن ابن عباس قال: حضرت عصابة من اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي. قال: (سلوني عما شئتم ولكن إجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئا فعرفتموه لتتابعني. قالوا فذلك لك. قالوا أربع خلال نسألك عنها. أخبرنا أي طعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة. واخبرنا كيف ماء الرجل من ماء المرأة وكيف الأنثى منه والذكر. وأخبرنا كيف هذا النبي الأمي في النوم ومن وليه من الملائكة. فأخذ عليهم عهد الله لئن أخبرتكم لتتابعني. فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق. قال فأنشدكم بالذي أنزل التوراة هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضا طال سقمه. فنذر نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها فقالوا: اللهم نعم. فقال اللهم اشهد قال أنشدكم بالذي لا إله إلا هو هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ وأن ماء المرأة

أصفر رقيق فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله. أن علا ماء الرجل كان ذكرا بإذن الله وإن علا ماء المرأة كان أنثى بإذن الله. قالوا اللهم نعم. قال اللهم اشهد. قال فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن النبي الأمي هذا تنام عيناه ولا ينام قلبه؟ قالوا نعم. قال: اللهم اشهد عليهم. قالوا أنت الآن تحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نتابعك أو نفارقك. قال: وليي جبريل ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه قالوا: فعندها نفارقك. لو كان وليك سواه من الملائكة لاتبعناك وصدقناك. قال: فما يمنعكم أن تصدقوه قالوا: هو عدونا فأنزل الله، تعالى: من كان عدوا لجبريل ... إلى قوله كأنهم لا يعلمون. فعند ذلك باؤوا بغضب على غضب.)⁽¹⁾.

وفي حديث آخر أخرجه سفيان بن عيينه عن عكرمة: كان عمر يأتي يهودا يكلمهم فقالوا: إنه ليس من أصحابك أحد أكثر إتيانا إلينا منك فاخبرنا من صاحب صاحبك يأتيه بالوحي فقال: جبريل. قالوا: ذاك عدونا من الملائكة ولو أن صاحبه صاحب صاحبنا لتبعناه. فقال عمر: من صاحب صاحبكم قالوا: ميكائيل. قال وما هما. قالوا أما جبريل فينزل بالعذاب والنقمة وأما ميكائيل فينزل بالغيث والرحمة وأحدهما عدو لصاحبه. إلى آخر الحديث)⁽²⁾

واستنادا على ما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المستند على آيات القرآن الكريم ندرك أن جبريل عليه السلام ولي لكافة الأنبياء دون سواه. ولذلك تحاشت التوراة ذكر جبريل وذكر تنزيل آيات الكتب السماوية على الأنبياء. وآيات القرآن الكريم تشير لنا أن جبريل عليه السلام مكلف بمواصلة الاتصال بكافة الأنبياء، لأن كل ما يأمره الله به هو وحي يجب تبليغه تنفيذا لأمر الله عز وجل.

---

(1) السيوطي. الدر المنثور في التفسير المأثور ص 173- 174.

(2) السيوطي. الدر المنثور في التفسير المأثور ص 174.

أورد القرآن الكريم أنه أوحى إلى نوح. ولم تتضح كيفية الوحي أهي بواسطة الملاك أم في الرؤية.

فقال تعالى: (وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) هود 36.

لكن التوراة تورد مرارا قولها: وقال الله لنوح. وقال الرب لنوح. وكلم الله نوحا. وبارك الله نوحا وبنيه وقال لهم أثمروا...) (وكلم الله نوحا وبنيه معه قائلا). ولم تشر إلى وحي أو إلى الطريقة التي أوحى لنوح فيها.

وقد أشارت آيات القرآن الكريم إلى أن الله سبحانه قد أوحى إلى الأنبياء. وقد خاطب القرآن الكريم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بقوله:

(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ورسلاً قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) النساء 163ـ 164.

والوحي له طرق وأساليب فما أوحاه الله لإبراهيم يختلف عما أوحاه للأسباط مثلا. والوحي بالكتاب غير الوحي بالتعاليم الشفوية. ونحن نعرف أن الله سبحانه لم ينزل كتبا على كافة الأنبياء. والوحي كما هو معلوم من خلال الآيات الكريمة تختص به الملائكة وجبريل تحديدا .

وقد يشمل الوحي تبشيرا للأنبياء أو إنذارا.

يقول تعالى: (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) هود 69.

ويقول تعالى: (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين) آل عمران 39.

ويقول تعالى: وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين) آل عمران 42.

ويقول تعالى: (إذ قالت الملائكة إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين) آل عمران 45.

هذه الآيات توضح أن من مهمات الملائكة أيضا أن تبشر الأنبياء ببشارات كبرى ترتبط بالمعجزات ولا تخضع لناموس البشر أو قانون العقل الإنساني المحدود.

أما في التوراة فيظهر ملاك الرب كما تسميه التوراة لهاجر زوجة النبي إبراهيم وأم إسماعيل عليهما السلام عند عين ماء في البرية.

تقول التوراة: (فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية على العين التي في طريق شور وقال يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت وإلى أين تذهبين) تكوين 16: 7ـ 8.

وقال لها ملاك الرب تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة. وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فستلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك) تك 16: 11. ثم يظهر لها ملاك الرب مرة أخرى (فنادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو) تك 21: 17.

ويرد أيضا: فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم إبراهيم فقال هأنذا) تك 11:22.

ويرد أيضا ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء) تك 22: 15

وهذا ما يدل على أن ملاك الرب أو جبريل عليه السلام كانت له مهمة البشرى والتدخل لدى الأنبياء بأمر الله سبحانه وتعالى .

وفي القرآن الكريم يرد أن الله سبحانه بشر إبراهيم بإسحاق نبيا. والبشرى كما ورد في الآيات السابقة كانت بواسطة الملائكة. فهم الذين بشروا مريم وزكريا وكذلك بشروا إبراهيم عليهم السلام جميعا.

ومن مهمات الملائكة أيضا أن الله سبحانه يرسلهم لمعاقبة الأشرار من الأقوام والأفراد. وقد أورد القرآن الكريم قصة النبي لوط وقدوم الملائكة إليه ينذرونه بأنهم سيعاقبون قومه. وقد صدر أمر الله بذلك. وقد وردت قصة قوم لوط في التوراة أيضا:

تقول التوراة: وجاء الملكان إلى سدوم مساء وكان لوط جالسا في باب سدوم فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض.

وتقول التوراة: ولما طلع الفجر كان الملكان يعجلان لوطا قائلين قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك باسم المدينة) تكوين 19: 15.

ويقول القرآن الكريم:

(ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب) هود 77.

ويقول تعالى: (قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) هود 81.

وتتفق نصوص التوراة مع آيات القرآن الكريم في توضيح مهمة ملائكة الله ورسله في تدمير قوم لوط ومساكنهم.

وقد وردت في القرآن الكريم إيماءات وإشارات إلى أن الملائكة موكلون من قبل الله بعقاب الضالين والكافرين من الأقوام السابقة.

ويتكفل الملائكة بأمر الله سبحانه بتبليغ الاطمئنان للمؤمنين والتبشير بالجنة جزاء على إيمانهم وإخلاصهم لعقيدتهم.

يقول تعالى: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا والآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون) فصلت 30ـ 31.

ويؤيد الله المؤمنين بإنزال ملائكته يقاتلون معهم في حربهم ضد المشركين.

يقول تعالى: إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم.) الأنفال الآية 9ـ 10.

ويقول تعالى: إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان.) الأنفال 12.

وللملائكة أيضا مهمة قبض الروح.

يقول تعالى: (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) النحل الآية 32 .

ويقول تعالى: (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) النحل 28 .

ويقول تعالى: (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون) الأنعام 61.

ويقول تعالى: (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) السجدة 11.

أما في التوراة فليس هناك إشارة إلى مهمة الملائكة بقبض الأرواح. وأعتقد أن مرد ذلك يعود إلى الارتباط الضعيف بين اليهود وبين الإيمان بما بعد الموت.

ويمكن أن نستعرض نصوص التوراة جميعها التي جاءت على ذكر الملائكة بمواقف شتى فمنها أن الله بعث رئيس الملائكة ليحارب مع جيش يشوع عند أريحا (أنه رفع عينه ونظر وإذا برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده فسارع يوشع إليه وقال له هل لنا أنت أم لأعدائنا فقال كلا بل أنا رئيس جند الرب الآن أتيت) يشوع 13ـ 14.

فهنا يشار إلى الملاك بأنه رئيس جند الرب أرسله الله للقتال إلى جانب يشوع.

وتقول التوراة: (وكان رجل من صدعة من عشيرة الدانيين اسمه منوح وامرأته عاقر لم تلد فتراءى ملاك الرب للمرأة وقال لها: ها أنت عاقر لم تلدي. ولكنك تحبلين وتلدين ابنا والآن فاحذري ولا تشربي خمراً ولا مسكرا ولا تأكلي شيئاً نجساً) قضاء 13: 2 – 3

وتقول التوراة: (فتكلم دانيال مع الملك يا أيها الملك عش إلى الأبد. إلهي أرسل ملاكه وسد أفواه الأسود فلم تضرني لأني وجدت بريئاً قدامه وقدامك أيضاً) دانيال: 6: 21 – 22

ويرد في التوراة إشارة إلى قوة الملائكة :

تقول التوراة: (باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه) المزمور 103: 20

تقول التوراة: (فقال منوح لملاك الرب ما اسمك حتى إذا جاء كلامك نكرمك. فقال له ملاك الرب لماذا تسأل عن اسمي وهو عجيب) قضاة 13: 17

وتقول : (فكان عند صعود اللهيب عن المذبح نحو السماء أن ملاك الرب صعد في لهيب المذبح ومنوح وامرأته ينظران) قضاة 13 : 20

وقول التوراة يدل في مضمونه على سرعة حركة الملائكة :

وتشير التوراة إلى بعض أسماء الملائكة

فجاء فيها : (ورئيس مملكة فارس وقف مقابلي واحداً وعشرين يوماً وهو ذا ميخائيل واحد من الرؤساء الأولين جاء لإعانتي) دانيال 10 : 13 ـ 14

ويرد اسم الملاك ميخائيل مرة أخرى عند قول التوراة

(ولكني أخبرك المرسوم في كتاب الحق ولا أحد يتمسك معي على هؤلاء إلا ميخائيل رئيسهم) دانيال 10 : 21

ويرد أيضا أسمه في قولها :

(وفي ذلك اليوم يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت وفي ذلك الوقت ينجي شعبك كل من يوجد مكتوباً في السفر) دانيال 12 : 1

ويرد اسم الملاك جبرائيل في قول التوراة : وسمعت صوت إنسان بين الاي فنادى وقال يا جبرائيل فهّم هذا الرجل الرؤيا) دانيال 8 : 16

والغريب في الأمر أن اسم الملاك ميخائيل (ميكائيل) واسم الملاك جبرائيل لم يردا في التوراة إلا في هذا الموقع. والغريب أيضا أنهما لم يذكرا حتى مع الأنبياء الهامين في التوراة كإبراهيم وموسى وداود باعتبار أن الملاك جبريل هو الذي ينزل الكتب من لدن الله سبحانه على هؤلاء الأنبياء المرسلين .

ويلفت النظر اعتماد التوراة على قولها إن ميكائيل رئيس الملائكة ولم يرد ذلك في القرآن الكريم ولا يعترفون بأن جبريل هو ولي الأنبياء الذي هو الصلة

بين الله وبينهم. ولكن كما أشرنا سابقاً إلى أن اليهود يكنون عداوة للملاك جبريل. ويعتمدون ميكائيل رئيسا للملائكة ووليا للأنبياء .

ويرد في التوراة اسمان يطلقهما التوراتيون على الملائكة وهما السرافيم. والكروبيم تقول التوراة: (في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالسا على كرسي عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل. السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة باثنين يغطي وجهه وباثنين يغطي رجليه وباثنين يطير. وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس رب الجنود مجده ملءُ كل الأرض. فاهتزت أساسات العتب من صوت الصراخ وامتلأ البيت دخاناً)إشعيا 6: 1 - 3

ولا يخفي علينا التجسيد لذات الله وملائكته. فقد رأى حزقيال السيد (أي الرب) جالساً على كرسي عال مرتفع وحوله الملائكة ذوو الأجنحة. وهذا دأب التوراة بالتجسيد وبالتأثر بأساطير الشعوب القديمة التي تصنع من مخيلتها هالة ملموسة ومحسوسة حول الله ومعاونيه .

أما الكروبيم فيرد ذكرهم في عدة مواقع من التوراة .

تقول التوراة: (ثم نظرت وإذا على المقبب الذي على رأس الكروبيم شئ كحجر العقيق الأزرق كمنظر شبه عرش) حزقيال 10: 1 وفي هذا الإصحاح العاشر من سفر حزقيال، يرد وصف كامل للكروبيم. ويشطح الخيال والتجسيد بكاتب التوراة ويصف الكروبيم بأوصاف يراها المرء أمامه مجسدة. فالكروب يمد يده إلى النار التي بين الكروبيم. (هذا هو الحيوان الذي رأيته عند نهر خابور) حزقيال 10: 15

ويقول كاتب التوراة: (وخرج مجد الرب من على عتبة البيت ووقف على الكروبيم. فرفعت الكروبيم أجنحتها وصعدت عن الأرض قدام عيني) حزقيال 10: 18

ثم يقول: (هذا هو الحيوان الذي رأيته تحت إله إسرائيل عند نهر خابور) حزقيال 10: 20

ونستشف من هذا الكلام تجسيداً لذات الله وملائكته أن الله يركب على حيوان ملائكي له أربعة وجوه وله أجنحة يطير من الأرض إلى السماء وهو يحمل الله على ظهره .

ويرى كتاب قاموس الكتاب المقدس أن كروبيم جمع كروب. وهم ملائكة يرسلون من قبل الله أو يقيمون في حضرته تعالى كما أقامهم الله على أبواب جنة عدن عندما طرد آدم وحواء منها.

تقول التوراة: (فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة) تكوين 3: 13 ويقال عنهم إنهم ذوو أجنحة. أما أشباههم فكانت من ذهب وأوقفت على غطاء تابوت العهد وقد ورد ذلك في سفر الخروج 25: 18 و19 وسفر أخبار الملوك الثاني 3: 10ـ 13. وكان جناحا الكروبيم يظللان التابوت. وجاء في المزمور 18: 10 أن الملك داود قال إن الله ركب على كروب لما ظهر بمجده على الأرض. وكما رأينا كانت الكروبيم تحت عرش الله لما ظهر لحزقيال. وكان في هيكل سليمان كروبان كبيران مغشّيان بالذهب يظلل جناحاهما التابوت الذي كان بينهما وبين قدس الأقداس. وحيطان البيت كانت منقوشة بكروبيم مع نخيل. وكذلك مصراعا الباب كانا منقوشين بكروبيم. ملوك 6: 27 ـ 29

وكان وجود الكروبين فوق التابوت لتظليل مجدَ الله عن الناظر. حزقيال 19: 9 و16 و24(1).

---

(1) قاموس الكتاب المقدس 1. حرف الدال 358ـ 359. حرف الكاف ص 779. حرف الحاء ص 302ـ 303.

وقد خلطت التوراة أعمال الله بأعمال الملائكة أحياناً، وأحياناً أخرى خلطت أعمال الملائكة والله بأعمال الشيطان. ووقع كتّاب التوراة في خطأ قاتل حين وصفوا الله بأوصاف الملائكة ووصفوا الملائكة بأوصاف الله عز وجل .

ومن الاختلاطات التي وقعت فيها التوراة بين ذات الله والملائكة ما ورد في سفر التكوين حين وصفوا الملائكة بأبناء الله.

تقول التوراة: وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسناوات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد) تكوين 6: 1ـ 3.

ومن الاختلاطات الواضحة ما حدث في قصة النبي إبراهيم عليه السلام. تقول التوراة: وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت النهار فرفع عينيه ونظر فإذا ثلاثة رجال واقفون لديه. فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض) تكوين 18: 1ـ 2. ويقول قاموس الكتاب المقدس (ويظهر أن الرب كان واحدا منهم.)(1).

ومن الاختلاطات أيضا ما يخلطون به عمل الملائكة بالشيطان والإنسان.

والمراجع لسفر صموئيل الثاني يرى أن بعض الصفات الملتزمة للملائكة تلصق بالإنسان، أو إلى أناس. وبعض الأعمال الخاصة للملائكة تنسب إلى بشر وليس إلى أرواح سماوية. وقد رد القرآن الكريم على من زعموا أن لله بنات أو أولادا في آيات قرآنية كثيرة.

يقول تعالى: (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) الزخرف آية 16.

ويقول تعالى: (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون) الأنعام الآية 100.

---

(1) قاموس الكتاب المقدس ص 921 باب الجيم.

ويقول تعالى: (ويجعلون له البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) النحل 57

وجاءت هذه الآيات رداً على مَن زعم أن الملائكة أبناء وبنات الله. وعندما تنسب التوراة لله بنين فإنها بذلك تكفر بأبسط قواعد الإيمان.

وفي سفر أخنوخ الذي لم يدوّن في التوراة حديث طويل عن الملائكة.

وقد جاء فيه أن الأرض أخذت تنتحب وامتلأت بصيحات الأسى فآثرت الأم الأرض في أربعة من الملائكة الأصدقاء الذين طلبوا من يهوه وضع حد لتلك المهزلة وفي الوقت نفسه نشأ نزاع بين السيد أزازيل وهو ملاك متزوج من فتاة أنسية والأمير سيميازاس. فتلقى هذا الأخير بضع لكمات على فكيه، فقد منصبه على إثرها وحل أزازيل زعيماً بدلاً منه فأرسل يهوه رفائيل ليقضي على أزازيل وحاصره في أحد الكهوف.⁽¹⁾

ودرجات الملائكة عند اليهود عشر درجات 1- كادوشيم أو المقدسون الطاهرون. 2- أفاميم أو السريعون. 3- أوراليم أو الأقوياء. 4- شاسماليم أو المتوهجون. 5- سيرافيم أو الشرارات. 6- مالافيم أو الرسل. 7- آلوهيم أو الإلهيون. 8- بن آلوهيم أو أبناء الله. 9- كيروبيم أو الثيران. 10- إبشم أو المتحمسون⁽²⁾.

عالم الجن بين التوراة والقرآن

يأخذ عالم الجن والشياطين مساحة واسعة من القرآن الكريم. فهو مخلوق من مخلوقات الله سبحانه. أشار القرآن بوضوح، أنه خُلق من مارج من نار. وأفاضت آيات القرآن الكريم في الحديث عن الجن بأنهم أقوام مثلنا، وفيهم

---

(1) ليوتاكسل: التوراة كتاب مقدس ام جمع من الأساطير. ترجمة د. حسان اسحق ص59.

(2) المصدر السابق، أعلاه ص 60.

الصالح وفيهم الكافر وقد جاء في التوراة أيضاً بعض الأحاديث عنهم وعن العرّافين والعرّافات الذين استعانوا بهم ظناً منهم أن لهم قدرات خارقة .

أما إبليس فقد أخذ الحديث عنه مساحات واسعة. واقترن اسمه بالشيطان الذي يضل الناس ويعيث في الأرض فساداً.

ومنذ الحضارات الأولى تبرز صفات الشيطان على أنه يمثل الشر المطلق. ودراسة الشيطان إنما هي العودة إلى تاريخ الأخلاق وتاريخ الإنسانية وأن من الممكن استخلاص تاريخ الأخلاق الإنساني من تاريخ الشيطان(1).

كيف تحدث القرآن عن الجن ؟

لو عدنا إلى تسلسل الأحداث الزمنية في القرآن الكريم وجدنا أن الحديث عن الجن سبق الحديث عن آدم والبشر. وقصة الخلق الأولى الواردة في القرآن الكريم توضح أن الله سبحانه أمر الملائكة بالسجود احتراماً لآدم الذي خلقه رب العالمين فسجدوا إلا إبليس كان من الجن .

يقول تعالى: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) الكهف 50. وهذا يدل على أن الله سبحانه خلق الجن قبل أن يخلق آدم.

وفي التكوين التوراتي لا ورود لكلمة جن أو إبليس أو الشيطان وقد رمز كتاب التوراة إلى إبليس بالحية التي أغوت حواء فأكلت هي وزوجها من شجرة الخلد. تقول التوراة: (وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله فقالت للمرأة أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة فقالت المرأة

---

(1) عباس محمود العقاد. إبليس ص 6.

للحية من ثمر الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا. فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكم وتكونان كالله عارفين الخير والشر) سفر التكوين 3: 1 ـ 6. وهذه إشارة إلى سير سنن الأقدمين الذين كانوا يوحدون بين الضرر الحسي وبين الخطيئة الأخلاقية. وقبل أن تصبح الحية مجرد رمز إلى الشيطان نلاحظ فيه المشابهة بين نفث السم ونفث الشر على أسلوب المجاز(1).

وقبل أن نتعرض لدراسة ظاهرة الشيطان في القرآن الكريم والتوراة نعود إلى مسألة الجن وعلاقتها بالعقيدة. وكيف جاء الحديث عنها في القرآن الكريم والتوراة. فالجن كما ورد في آيات القرآن الكريم مخلوق من مخلوقات الله. والإيمان بوجوده هو إيمان بما قاله الله سبحانه وتعالى.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن غاية الله من خلقه للجن والإنس هي عبادته.

يقول تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الطور 56.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الله بعث رسلا إلى الإنس والجن.

يقول تعالى: (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) الأنعام 130.

فالجن والإنس سواء في التكليف وسواء في الحساب. لقد جاءتهم رسلهم تبلغهم رسالة التوحيد فكفروا، فحق عليهم العذاب.

وفي السياق نفسه تورد الآيات القرآنية بما سيؤول إليه الجن والإنس بسبب كفرهم وانحرافهم.

---

(1) عباس محمود العقاد. إبليس ص 94.

يقول تعالى: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون.) الأعراف 179.

وتوضح آيات القرآن الكريم عجز الجن عن التنبؤ بالغيب. ومحدودية قوتهم أمام قوة الخالق عز وجل.

يقول تعالى: (فلما قضينا عليه بالموت ما دلهم عليه موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين). سبأ 14.

وفي سورة الجن تحدد الآيات الكريمة صفات للجن .

لقد استمعوا لآيات القرآن الكريم فآمن بعضهم .

وقد استعان بهم بعض الإنس فزادوهم رهقا وتعبا.

وأن الجن حاولوا اختراق الفضاء لاستراق السمع فوجدوها ملئت حرساً شديداً من الملائكة.

واعترفوا أنهم لا يعرفون من أسرار السماء شيئا.

يقول تعالى: (وإنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا) الجن 8

ويقول تعالى: (وإنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا) الجن 10

وقد تحدى الله سبحانه الأنس وتحدى الجن في أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم فقال تعالى: (قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) الإسراء 88 وتناولت آيات

القرآن الكريم العلاقة بين الجن والإنس في الخروج عن تعاليم الله عز وجل ونشر الفساد والشر ومن ثم عاقبتهم جميعا بما كانوا يعملون.

(ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الأنس وقال أولياؤهم من الأنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم) سورة الأنعام 128.

ويوضح مرة أخرى عاقبتهم لما فعلوه من إضلال بعضهم.

يقول تعالى: (قال ادخلوا في أمم خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادَاركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فأتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) الأعراف 38. فالآيات جميعها التي وردت آنفا تشير بوضوح إلى أن الجن مخلوق، وأن فيهم رسلا يبلغون عقيدة التوحيد. فمنهم الصالحون المؤمنون ومنهم الكافرون. وسيحاسبون يوم القيامة ويعذب الكافرين منهم. وهم عاجزون أمام قدرة الله وعاجزون عن استشراف الغيب. ومساعدة غيرهم من الأنس الذين يستعينون بهم .

أما قصة الجن في التوراة فتختلف اختلافا كليا عما ورد في القرآن. ففي سفر التكوين لا وجود ولو لإشارة توحي بأن الله خلق الجن من مارج من نار. ولا ترد قصة سجود الملائكة لآدم وتمرد إبليس الجني على أمر الله.

وليس هناك إشارة إلى أن الجن أقوام وشعوب مثل الأنس، ثم لا يرد أنهم مكلفون بالإيمان وأن فيهم رسلا يدعونهم إلى عقيدة التوحيد. ثم لا وجود لذكر حسابهم في يوم الدين.

وقد أوردت التوراة قصة عن استعانة الملك شاؤل بامرأة عرافة تستعين بالجن تقول: (فقال شاؤل لعبيده فتشوا لي عن امرأة صاحبة جان فاذهب إليها

وأسألها فقال له عبيده هوذا امرأة صاحبة جان في عين دور. فتنكر شاؤل ولبس ثيابا أخرى فذهب هو ورجلان معه وجاءوا إلى المرأة ليلا وقال اعرفي لي بالجان واصعدي لي من أقول لك فقالت له المرأة هوذا أنت تعلم ما فعل شاؤل كيف قطع أصحاب الجان والتوابع من الأرض فَلِمَ إذاً تضع شِرْكاً لنفسي لتميتها...) صموئيل أول 28: 47 .

وقد جاء في التوراة حكم بالقتل على من كان به جان.

فتقول: (وإذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعة فإنه يقتل. بالحجارة يرجمونه دمه عليه) لاويين 20: 27.

وجاءت توصيات من الرب لموسى عليه السلام تحذره بأن لا يكون في قومه من يستعين بالجان (ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جانا أو تابعة ولا من يستشير الموتى) تثنية 18: 11.

إبليس في التوراة والقرآن

إبليس في القرآن الكريم اسم لجني معروف بعصيانه أمر الله سبحانه بالسجود لآدم، وقد جاءت آيات القرآن الكريم موضحة القصة بتفاصيلها في عدة سور قرآنية، ومن خلال سياقها نعرف أن إبليس خلق قبل خلق آدم. إذ انه والملائكة كانوا مخلوقين، حاورهم رب العالمين في قصة خلق لآدم. وهذا يعني أن الجن مخلوق قبل آدم وإبليس من صنف الجن.

يقول تعالى: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) البقرة 34.

وقد ورد ذكر إبليس في القرآن الكريم إحدى عشر مرة، تسع مرات ارتبطت بمسألة السجود واثنتين لم ترتبطا، إنما ارتبطتا بعالم الغيب قبل خلق

الإنسان.

يقول تعالى: (فسجد الملائكة كلهم أجمعون. إلا إبليس أبى أن يكون من الساجدين) الحجر 30ـ 31 .

ويقول تعالى: (فسجد الملائكة كلهم أجمعون. إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين) ص 73ـ 74.

ويقول تعالى: قال: يا إبليس مالك ألاّ تكون من الساجدين) الحجر 32.

ويقول تعالى: وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى) طه 116.

ويقول تعالى: ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين) الأعراف 11.

ويقول تعالى: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) الإسراء 61.

ويقول تعالى: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) الكهف 50.

ويقول تعالى: (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين) سبأ 20.

ويقول تعالى: (وجنود إبليس أجمعون) 95، وسبقها قوله تعالى: (وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون. فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون) الشعراء 92ـ 95.

ولو دققنا في سياق الآيات لوجدنا أن إيراد لفظة إبليس في هذا السياق لم تأت عبثاً. والواضح فإن إبليس كان عابداً لله موحداً، وقد حضر مع الملائكة

عندما أبلغهم الله عز وجل أنه سيخلق خليفة له في الأرض. وأمره بالسجود له فسجدوا إلا إبليس. فإبليس قبل هذه المسألة لم يكن من الرافضين لوحدانية الله وأوامره بل كان من المقربين. وطالما أن الأمر متعلق بأمر غيبي لم يكن البشر مخلوقين فإن لفظة إبليس هي المناسبة لهذا المقام. إذ لم يحصل الصراع بين الشر والخير بعد. حتى يطلق على إبليس اسم الشيطان. فإبليس هو الاسم الذي أطلقه الله على هذا المخلوق عندما كانت الوقائع تجري في السماء ولم يكن بشر بعد في الأرض، والآية التي تشير إلى جنود إبليس توضح أن جنوده هم من اتبعوه من الشياطين والأنس. وقد تحدث الله سبحانه عن ذلك في سياق يوم الآخرة، والحساب والعقاب فقال فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون. أي أنهم كبكبوا في نار جهنم. والنار والجنة أمران غيبيان لم يرهما بشر رؤية العين. إذا فالحديث عن إبليس في أمر السجود أمر غيبي لم نره، والحساب والنار أيضاً أمر غيبي لا نراه. وهذا يقودنا إلى القول إن بداية إبليس غيبية ونهايته المحتومة غيبية بالنسبة لنا ثم في قوله تعالى: أتتخذونه وذريته أولياء من دوني. تشير إلى اتخاذ بعض البشر إبليس إلهاً باعتباره قوة قديمة خلقها الله قبل آدم ويزعم بعض عبدة الشيطان أن إبليس كان ذا قوة تضاهي قوة الله وإلا لما عارض ورفض إطاعة أوامره .

ونخلص من ذلك إلى أن مجيء إبليس في تسع آيات ترتبط بالغيب. أما الصراع بينه وبين الإنسان يأتي بعد مرحلة خلق آدم وغضب الله على إبليس، بعد أن رفض أمر الله. فأصبح الصراع بينه وبين الإنسان على الأرض فأطلقت عليه الآيات إسم شيطان. لأنه خرج من الجنة ومهمته الجديدة اختلفت عن مهمته وهو في عالم الغيب. لقد اقتصرت مهمته في الغيب في رفض أمر الله فحسب بينما توسعت مهمته في الأرض بعد إنزاله من السماء. وتعددت وسنرى في آيات القرآن الكريم التي جاءت على ذكر الشيطان مهمات عديدة للشيطان

حتى أننا نستطيع القول إنه مثل الشر المطلق على الأرض. بل مثل أحد طرفي الصراع في الوجود الأرضي. بحيث مثل الإنسان طرفاً والشيطان مثل طرفا آخر .

وهناك أحاديث كثيرة في السنّة النبوية وفي روايات ابن عباس وغيره من الصحابة تشير إلى أن إبليس كان ذا مكانة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى. وقال بعضهم إنه كان من الملائكة واسمه عزازيل وذلك قبل ان يعصي أمر به.

ورفْضُ إبليس السجود لآدم كان أمراً مفترضاً لأنه حكم على ظاهر الأمور. فآدم مخلوق من طين وإبليس مخلوق من نار، ورأى نفسه أعلى مرتبة من آدم فرفض أمر ربه ولكنه لما تبين أن الله سبحانه نفخ في آدم من روحه أدرك أن آدم هو أفضل منه. ولكنه حق القول عليه فلم يرجع عن كفره وغيه وكبريائه، وأصبح العدو الأول لبني آدم بعد أن أصبح آدم في الأرض، وكثر نسله وبدأ الصراع بينهم وبين إبليس ونسله من الشياطين .

إن جهل إبليس بعلم الله جعله يحكم على الأمور بظاهرها. وهذا بالطبع دليل قصور ومحدودية في قدرته لأنه مخلوق. والمخلوق مهما تفوق يظل مخلوقاً من صنع الإله .

ولم تظهر كلمة إبليس في العهد القديم (التوراة) وإنما وردت كلمة شيطان. وقد اختلط المصطلحان ببعضهما، ورمز له بالحية في سفر التكوين. وقد أورد العهد الجديد الإنجيل شيئاً عن إبليس وعداوته لله وللإنسان والمسيح. ولهذا سندرس الشيطان وصفاته وأعماله كما وردت في القرآن الكريم والتوراة، كما سنضيف رؤية التلمود للشيطان باعتباره شرحاً لأحبار اليهود الذين ادعوا أن التلمود من الله أوحى به للأحبار .

ورد اسم الشيطان في القرآن الكريم ستين مرة بصيغة المفرد شيطان. وثماني عشرة مرة بصيغة الجمع شياطين .

ويمكن أن نلخص صفات الشيطان وأعماله على الشكل التالي :

1ـ إنه عدو لله والإنسان.
2ـ إنه يفسد العقول والنفوس ويوسوس فيها.
3ـ وعود الشيطان كاذبة وتودي إلى التهلكة.
4ـ يزين الأمور أمام الأعين فيضل الناس.
5ـ ينهى عن الخير ويحض على فعل الشر بكل أشكاله.
6ـ يتدخل الشيطان في النفس والعقل فينسي الإنسان ذكر ربه وينسيه الأمور.
7ـ للشيطان أولياء وجنود وأتباع وحزب.
8ـ يحذر الله سبحانه من الشيطان.
9ـ يحذر الله سبحانه من عبادة الشيطان لأن ذلك كفر بالله.
10ـ هناك شياطين من الجن وآخرون من الإنس مهمتهم الإفساد بين البشر.
11ـ مصير الشيطان وأتباعه نار جهنم.
12ـ جعل الله في السماء شهباً لرد الشيطان عن سرقة أخبار السماء.
13ـ ليس للشيطان سلطان على عباد الله المؤمنين.

وأمثلة على ما قلناه نرى الآيات القرآنية الكريمة التالية.

يقول تعالى: (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) الإسراء 27

يقول تعالى: (إن الشيطان للإنسان عدو مبين) يوسف 5

يقول تعالى: (فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين) يوسف 42

يقول تعالى: (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) النساء 120

يقول تعالى: (وإذا زين لهم الشيطان أعمالهم وقال: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب) الأنفال 48

يقول تعالى: (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) المائدة 91

يقول تعالى: (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا) الكهف 63

يقول تعالى: (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) الأنعام 121

يقول تعالى: (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) المجادلة 19

يقول تعالى: (ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً. يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) النساء119 - 120

يقول تعالى: (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) الأنعام 112

يقول تعالى: (فوربك لنحشرنّهم والشياطين ثم لنحضرنّهم حول جهنم جثيا) مريم 68

يقول تعالى: (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين واعندنا لهم عذاب السعير) الملك 5

يقول تعالى: (وإنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً) الجن 8

يقول تعالى: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً. قال أرأيتك هذا الذي كرمت لئن أخرتنِ إلى يوم القيامة لاحتنكنَّ ذريته إلا قليلا. قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً. واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجِلِكَ وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا. إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً) الإسراء 60 ـ 65

فمن خلال آيات القرآن الكريم ندرك أن الشيطان له مهام كثيرة، أهمها الإفساد بكل وجوهه. ولكن تبعية ذنب الإنسان التي يحمّلها للشيطان ليست سوى تبعية الإنسان نفسه. فهو يتبع الشيطان وما زين له من مفاتن. ولكن ليس للشيطان سلطان جبري قدري على الإنسان. وهو مخلوق مثله مثل الإنسان.

يقول تعالى: (وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين) الصافات 30. والشيطان يأمر بالكفر الإنسان فإذا ما أوقعه في الكفر تخلى عنه وتبرأ منه.

يقول تعالى: (كمثل الشيطان إذا قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين) سورة الحشر 16

ويقول تعالى: (وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيَّ إني كفرت بما أشركتمون. من قبلُ إن الظالمين لهم عذاب أليم) إبراهيم 22

ويربط القرآن الكريم الجن بالسحر وآثاره الضارة السلبية على الإنسان فعلم الغيب والسحر لدى الشياطين ليس إلا خداعاً للحس وفتنة للنفس تخيل إلى المخدوع ما ليست له حقيقة قائمة في غير وهمه(1) وعندما أتى القرآن الكريم على قصة هاروت وماروت وقصة الشياطين الذين كفروا لأنهم راحوا يعلمون السحر للناس بما يضرهم فإنه فند الزعم بأن الشياطين والجن يعلمون بالغيب أو يستطيعون ضرر الناس بدون إذن الله عز وجل.

يقول تعالى: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان لكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر. فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه. وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) البقرة 102.

هذا هو الشيطان وهذه هي الشياطين كما علمناها وعلمنا أخبارها من القرآن الكريم ولكثرة الآيات الكريمة التي تحدثت عن الشياطين سبب واضح هو أن الشيطان يمثل الشر المطلق ، وهو أحد طرفي الصراع في هذه الحياة الدنيا .

أما التوراة فإنها تناولت الشيطان في مواقع قليلة من أسفارها. وكما أن مفهوم الإله المطلق لم يكن واضحاً لدى بني إسرائيل، فإن مفهوم الشر والشيطان لم يكن واضحاً أيضاً، ويرى الكثيرون من الباحثين، أن مفهوم الشيطان لم يعرفه بنو إسرائيل، إلا بعد السبي البابلي بعد أن تأثروا بعقائد شعوب بابل وما بين النهرين .

---

(1) عباس محمود العقاد. إبليس صفحة 127.

وتتضح شخصية الشيطان في التوراة بشكل كبير في سفر أيوب حيث تورد أنه دخل مع أبناء الله على حضرة الله فحاوره الله حتى أسفر الحوار عن قصة امتحان العبد أيوب.

تقول التوراة: (وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم. فقال الرب للشيطان من أين جئت فأجاب الشيطان الرب وقال من الجولان في الأرض ومن التمشي فيها. فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدي أيوب لأنه ليس مثله في الأرض رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر. فأجاب الشيطان الرب وقال هل مجاناً يتقي أيوب الله ..الخ) سفر أيوب ١: ٦ ـ ٩ .

ويستمر الحوار حسب زعم التوراة بين الله والشيطان طويلاً ويلقاه مع أبناء الله أكثر من مرة. فالشيطان في هذه القصة التوراتية حسود لا يحب الرجل التقي المستقيم ويستطيع ـ حسب زعم التوراة ـ أن يقنع الله كي يمتحن عبده أيوب .

وعلى الرغم مما في القصة من إلحاد وأسطورة وخرافة إلا أن ما يهمنا هنا الكشف عن طبيعة الشيطان كما نجدها في النص وكما تتكشف من تسليط الضوء عليها.

وقد ورد في القرآن الكريم في سورة الأنبياء حديث عن أيوب وما مسه من ضر بينما وردت في سورة (ص) أربع آيات تتحدث عنه ومنها آية يذكر الشيطان فيها.

يقول تعالى: (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب) ص 41.

وقد ورد اسم الشيطان صراحة في التوراة في قصة إحصاء داود عليه السلام للشعب.

تقول التوراة: (ووقف الشيطان ضد إسرائيل وأغوى داود ليحصي إسرائيل) أخبار الأيام الأول 21: 1

وكان ذكر الشيطان على الوصف لا على التسمية فجاء مرة بمعنى الخصم في القضية وجاء مرة أخرى بمعنى المقاوم في الحرب وأطلق مرة على الملك الذي تصدى لبلعام في طريقه لأنه كان بمعنى المعترض أو الضد أو الخصم المقاوم. ولم يذكر بصيغة العلم إلا حين قيل في الإصحاح 21 من سفر الأيام الأول (إنه وقف الشيطان ضد إسرائيل)(1).

وفي قصة أيوب التي ذكرناها سابقاً .

ويعلق العقاد قائلاً: (لم يشعر العبريون الأوائل بما يدعو إلى عزل الشيطان أو إسناد الشرور إليه لأنهم كانوا يتوقعون من الإله أعمالاً كأعمال الشيطان، وكان العمل الواحد عندهم ينسب تارة إلى الشيطان وتارة إلى الإله كما حدث في قصة إحصاء الشعب، على عهد داود)(2) ففي المرة الأولى كان الشيطان هو الذي أغوى داود وفي المرة الثانية كان الإله هو نفسه الذي أمر داود بإحصاء الشعب (حمي غضب الرب على إسرائيل فأهاج عليهم داود قائلاً امض وأحص إسرائيل ويهودا) صموئيل(3).

وللشيطان قصة طويلة في كتاب التلمود، الذي يراه اليهود أهم من كتاب التوراة فيرى التلمود أن الله خلق الشياطين يوم الجمعة، عندما خيم الغسق ولم يخلق لهم أجساداً ولا ملابس، لأن يوم السبت كان قريباً. وما كان لديه الوقت

---

(1) عباس محمود العقاد. ابليس ص 94 – 95.

(2) عباس محمود العقاد. إبليس ص 94 – 95.

(3) عباس محمود العقاد. إبليس ص 94 ـ 95.

الكافي ليعمل كل ذلك. وعلى حسب رواية أخرى لم يخلق لهم أجساداً عقاباً لهم لأنهم كانوا يريدون أن يخلق الإنسان بلا جسد.

وحسب تفسير التلمود فإن الشيطان على جملة أنواع. فبعضهم مخلوق من مركب مائي وناري، وبعضهم مخلوق من الهواء، وبعضهم من الطين، أما أرواحهم فمخلوقة من مادة موجودة تحت القمر لا تصلح إلا لصنعها .

ويرى التلمود أن بعض الشياطين من نسل آدم، لأنه بعدما لعنه الله، أبى أن يجامع زوجته حواء حتى لا تلد له نسلا تعيساً، فيحضر له اثنتان من نساء الشياطين فجامعهما فولدتا شياطين .

وجاء في التلمود أن آدم كان يأتي شيطانة مهمّة اسمها ليليت مدة 130 سنة فولد منها شياطين.

وكانت حواء لا تلد في هذه المدة إلا شياطين بسبب نكاحها من ذكور الشياطين. والشياطين حسب التلمود يتناسلون ويأكلون ويشربون ويموتون .

وأمهات الشياطين المشهورات أربع، استخدمهن سليمان الحكيم بما كان له عليهن من السلطة وكان يجامعهن .

قال التلمود: (إن إحدى هؤلاء النسوة امرأة الشيطان المسمى (شماعيل) تذهب مع بناتها في مقدمة مائة وثمانين ألف شيطان بصفة رئيسة عليهم ليضروا الناس في ليلتي الخميس والسبت، وليليت السابق ذكرها، عصت آدم. فعاقبها الله بموت أولادها. فهي تنظر كل يوم مائة من أولادها يموتون أمامها. ومن ذلك الحين تعهدت أن لا تقتل أحداً من الأطفال التي لها عليهم السلطة إذا تليت عليهم ثلاث أسماء من أسماء الملائكة. وهي تعوي دوماً كالكلاب ويصحبها مائة وثمانين ملكاً من الأشرار .

وتوجد شيطانة أخرى من الأربع المذكورات، دأبها الرقص دون أن تستريح وهي تصحب معها مائة وتسعاً وسبعين روحاً شريرة.

أما محل سكن الشياطين، فقال الحاخامات: (إن بعضهم يسكن في الهواء. وهم الذين يسببون الأحلام للإنسان). وبعضهم يسكن في قاع البحر وهم الذين يتسببون في خراب الأرض إذا تركوا وشأنهم وبعضهم يسكن في أجساد اليهود المتعودين على ارتكاب الخطايا.

ويرى التلمود أن اثنتين من الشيطانات تسكنان في جبال الشرق المظلمة اسمهما إذا ـ وإذائيل. وهما اللتان علمتا السحر لبلعام وأيوب. وكان يحكم الملك سليمان على الطيور والشياطين بواسطتهما وكانتا السبب في حضور بلقيس إليه(1).

من خلال ما تقدم نرى أن كلام التلمود هو أقرب إلى الهذيان والأسطورة. وفيه من معالم الكفر ما لا يعد ولا يحصى.

ونلاحظ أن ما عجزت التوراة عن ذكره عن الشياطين، قدمه التلمود ولكن بأسلوب خرافي أسطوري يعبق برائحة الكفر والإشراك بالله والتجني على آدم وحواء .

---

(1) يوسف نصر الله. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 62 ـ 63.

الفصل الخامس

الموت والبعث واليوم الآخر النعيم والجحيم في التوراة والقرآن الكريم

عرفت جميع العقائد والديانات الموت باعتباره إحدى القضايا الأساسية التي تمس الإنسان والحيوان والنبات. فكانت لكل عقيدة نظرتها وفلسفتها وقد صاغت كل الشعوب فلسفتها حول الموت من خلال سؤال طرحه الإنسان منذ وجوده الأول وهذا السؤال يقول ما هو الموت؟ لماذا الموت؟.

وتوسع العقل البشري في تساؤلاته حتى صار سؤاله موجهاً نحو ما وراء الموت. كيف ركب الإنسان؟ ما الروح وما الجسد؟ ما علاقتهما ببعضهما؟. ما الذي يفنى وما الذي يبقى؟.

وتصور العقل البشري حياة غير مفهومة للإنسان بعد الموت. فتارة يرى أن هذا الإنسان ينتقل إلى حياة أخرى فلذلك وضعوا معه عند موته الطعام والشراب واللباس وتارة تصوروا أن الروح تنتقل إلى إنسان آخر في بلد آخر فيما سمي بعدئذ بالتناسخ . وقبل سبعة آلاف عام اعترفت ملاحم وأساطير بلاد الرافدين القديمة بفشل الإنسان في قهر الموت. وبعد أ ن عجز عن النصر اعترف أن سر الحياة بقي للآلهة. وأنه عجز عن امتلاكه.

أما الديانات الهندية فرأت أن الجسد وحده يموت أما الروح فهي خالدة. و في نهاية المطاف ستتحد روح الإنسان الصالح بروح الإله.

وقد آمنت أكثر الديانات القديمة بوجود عالم آخر. فحسب عقائد بلاد الرافدين فإن العالم الآخر عالم فظيع تسكنه الأطياف ويهوي إليه الموتى. ويرون في العالم الآخر عالما سفليا، مظلما. ولم يفكروا بخلود الصالحين في جنة نعيم.

بل رأوا أن الإنسان ينتقل إلى العالم المظلم ويبقى فيه إلى الأبد. ويتساوى البشر في هذا العالم. الملوك والناس العاديون كلهم سواسية في عالم الموت المظلم.

وقد تميزت عقائد المصريين بتطور مهم في مفهوم الموت وما بعد الموت. فقد آمنوا بالحياة بعد الموت والحساب والنشور والجنة والنار. وأكدوا فكرة الخلود. وللروح شأن مهم في عقائدهم. فهي ذات منفصلة عن الجسم إلا أنها تحل فيه بشكل متصل ومنقطع. وهي جوهر خالد يشكل صلة الوصل بين الإنسان والإله. وتتصل الروح بعالم الآلهة ما دام الإنسان على قيد الحياة. ويمكن للأرواح أن تتصل بعالم الأحياء بعد الوفاة وتنبئ الأحياء بأسرار المستقبل. وتحذرهم من الأخطار. ويرى المصريون القدماء أن الروح تزور الجسد بين الحين والأخر.

ويرون أن الموت بداية الطريق إلى اليوم الآخر. فإما إلى الخلود والنعيم وإما إلى الجحيم وفي الديانة المصرية آلهة للحساب والميزان. فمن كانت أعماله الصالحة أكثر من سيئاته دخل النعيم وأما إذا كان العكس فإن مأواه الجحيم. وصورت النقوش المصرية الإله أوزوريس وهو يزن قلب الإنسان ليرى ما فيه من خير وشر، وما الذي يزن اكثر من الآخر حتى يجازى صاحبه حسب أعماله.

مفهوم الموت في التوراة والقرآن

يظهر مفهوم الموت في التوراة منذ سفر التكوين أي السفر الأول من هذا الكتاب. وترى التوراة أن آدم حكم على نفسه بالموت عندما خيره الله بين أكل ثمر الشجرة المخلَدة وبين عدم أكلها. واختار آدم أكل ثمرة الشجرة، شجرة المعرفة. فلذلك عصى أمر ربه فطرد من الجنة وأصبح معرضاً للموت

من صنع اليهود يصبح محظوراً إذا لمس غير اليهودي الزجاجة أو مر بيده فوقها. وينطبق هذا على المسيحيين جميعاً لكنه أقل تشدداً بشأن المسلمين فإذا لمس المسيحي زجاجة النبيذ ينبغي سكبها على الأرض أما إذا لمسها المسلم فيمكن بيعها أو تقديمها كهدية. وفي الحالتين يحظر على اليهودي شربها. وينطبق أيضاً على الملحدين غير اليهود لكنه لا يطبق على الملحدين اليهود.

مغالاة التلمود في التعامل مع غير اليهود

1 ـ يحرم أي تعامل مع ـ الوثنيين قبل أعيادهم بثلاثة، فعلينا أن لا نعيرهم شيئاً مما قد يفيدهم أو نستعير منهم شيئاً والأمر ذاته ينطبق على حالة النقود بل يحرم دفع أجرة لهم أو أخذ أجرة منهم مع ذلك يؤكد ح. يهودا قائلاً: يحلل أخذ أجرة منهم لأن هذا يتعس من يدفع.

2 ـ يحرم بيع الوثنيين كل الأشياء التالية. أكواز التنوب. التين الأبيض على أغصانه، اللبان. الديك الأبيض لكن ح. يهودا قائلاً: يمكن بيع الديك الأبيض ضمن ديوك أخرى أما إذا بيع وحده فيجب قطع أحد أصابعه لأن الوثنيين لا يقربون حيواناً فقد منه أحد أعضائه. ويمكن بيع كل ما عدا ذلك من أشياء إذا كانت لغاية غير محدودة أما إذا قالوا أنهم يشترونها بهدف العبادة فيجب ألا يبيعهم مع ذلك حرم ح. مئير بيعهم أشجار النخيل الجيدة. قصب السكر وأنواعاً من البلح.

3 ـ يبيح الشرع بيع الماشية الصغيرة (أغنام ـ ماعز الخ) للوثنيين في الأماكن التي تباع فيها عادة أما الأماكن التي لا يعتبر هذا فيها بالأمر العادي فالبيع غير شرعي. يجب ألا تباع لهم الماشية الكبيرة إطلاقاً. لا العجول ولا صغار الحمير سواء أكانت صحيحة أو مكسورة السيقان.

4 ـ يجب الا تؤجر البيوت للوثنيين في فلسطين بغض النظر عن الحقول، ولكن حتى الأماكن التي يباح فيها التأجير فيجب ان لا يكون ذلك بهدف الإقامة ويجب عدم تأجير الحمام في أي مكان لأنه سمي على أسم صاحبه الذي هو (إسرائيلي) وثمة شك بأنه قد يحميه يوم السبت.

5 ـ يجب ألا توضع الماشية في خانات الوثنيين لأنه يشك بأنهم قد يضاجعونها وللسبب ذاته يجب أن لا تبقى معهم أنثى بمفردها لأنه يشك بأنهم يتطاولون عليها بالفعل القبيح ولا يجلس معهم ذكر بمفرده لأنه يشك بأنهم قد يسفكون دمه.

6 ـ يجب أن لا تتعهد ابنة الإسرائيلي وثنياً لأنها تتعهد شخصا للوثنية لكن يمكن للوثنية أن تتعهد إسرائيلياً. وينطبق الشيء ذاته على مسألة الرضاع فعلى الإسرائيلية أن لا ترضع أبن وثنية بينما يمكن للأخيرة أن ترضع إسرائيلياً إذا كان تحت سيطرة الأولى.

7 ـ يمكن لواحدنا (اليهودي) الإفادة من خدماتهم (الوثنيون) لعلاج أملاكه الخاصة إنما ليس لعلاج جسده. ومع ذلك يحرم قص الشعر على أيديهم أينما كان. ويؤكد العلماء أنه يمكن لواحدنا أن يفعل ذلك في مكان عام إنما ليس حينما يكونان وحدهما.

8 ـ يحرم كل ما يخص الوثنيين مما يلي. لكن لا يحرم الفائدة منه. الحليب الذي يحلبه الوثنيون دون حضور إسرائيليين وخبزهم وزيتهم.

9 ـ لا يسمح باستخدام الجبال والهضاب التي يعبدها الوثنيون إنما ليس الأشياء التي تحضر منها(1).

---

(1) التلمود البابلي. رسالة عبدة الأوثان ترجمة وتقديم نبيل الفياض.

10 ـ ويمتلئ التلمود بمثل هذه التعاليم حتى يصعب على القارئ حصرها فالتلمود نفسه كبير جداً وكل نص مشنا يفسره الحاخامون في الجمارا وتتكاثر الآراء والأقوال لكهنة اليهود والربانيين. وقد أولوا غير اليهود قوانين كثيرة تبدأ من قوانين القتل ولا تنتهي. وتتداخل هذه القوانين بالحس العنصري الواضح. فكل وثني يعني كل من هو غير يهودي. ويعني كل من هو غريب أو أمي أو غوييم.

المصادر والمراجع

1ـ القرآن الكريم

2ـ صحيح البخاري ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الأزهر. القاهرة 1399 هـ.

3ـ السيوطي. الدر المنثور في التفسير المأثور. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. الطلعة الأولى 1411 هـ. 1990م.

4ـ محمد طه الدرة. تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه. دار الحكمة دمشق. بيروت. الطبعة الأولى 1402 هـ 1982م.

5ـ ابن كثير. البداية والنهاية ـ المجلد 3. دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1415 هـ 1994م.

6ـ عباس العقاد: الله في عقائد الشعوب. دار المعارف بمصر الطبعة الرابعة 1964م.

7ـ سليمان مظهر. قصة الديانات. دار الوطن العربي بيروت ط أولى عام 1984م.

8ـ د. حسن ظاظا. الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه. الدار الشامية بيروت. دار القلم دمشق الطبعة الثالثة 1416 هـ 1995م.

9ـ عمر لطفي النجار. العقل والإلحاد. مكتبة المبتدأ والخبر الطبعة الأولى دمشق 1997 م.

10ـ د. أحمد سوسة. العرب واليهود في التاريخ. العربي للطباعة والنشر الطبعة السابعة دون تاريخ.

11ـ د. أبو سريع محمد عبد الله الهادي. الربا والقرض في الفقه الإسلامي. دار

الاعتصام القاهرة دون تاريخ ودون دار نشر.

12ـ الجزيري. الفقه على المذاهب الأربعة. دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان. المجلد الخامس والمجلد الأول الطبعة السابعة 1406 هـ 1986 م.

13ـ محمد فارس بركات. الجامع لمواضيع آيات القرآن الكريم دار قتيبة بيروت الطبعة الرابعة 1405 ه ـ 1985 م.

14ـ محمد فارس بركات. المرشد إلى آيات القرآن الكريم وكلماته دار قتيبة بيروت الطبعة الرابعة 1405 ه ـ 1985 م.

15ـ السموأل بن يحيى المغربي. غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود. مكتبة الجهاد الكبرى المنصورة دون تاريخ.

16ـ د. أحمد حجازي السقا. نقد التوراة أسفار موسى الخمسة مكتبة الكليات الأزهرية طبعة مصر مطبعة مورافتلي آذار 1976 م.

17ـ الكتاب المقدس العهد القديم والجديد دمشق الطبعة الثانية 1982م.

18ـ قاموس الكتاب المقدس. منشورات دار الكتاب المقدس دمشق الطبعة السادسة 1984 .

19ـ عباس العقاد. (إبليس) دار الكتاب العربي بيروت دون تاريخ، دون طبعة

20ـ ابن حزم الأندلسي. الفصل بين الملل والأهواء والنحل. دار الجيل بيروت دون تاريخ

21ـ عباس العقاد. إبراهيم أبو الأنبياء. دار الهلال. القاهرة دون تاريخ.

22ـ د. عبد السلام التونجي. الإيمان بالأنبياء والرسل. جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. طرابلس ليبيا الطبعة الأولى 1986م.

23ـ ابن كثير. قصص الأنبياء. دار الخير دمشق الطبعة الأولى 1990م. ،

24ـ عبد الوهاب النجار. قصص الأنبياء. دار الخير دمشق الطبعة الأولى 1990م.

25ـ عبد الأحد داود. محمد في الكتاب المقدس. ترجمة فهمي شما الطبعة الأولى

1985م.

26ـ الشهرستاني. الملل والنحل. دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية 1975م.

27ـ يوسف نصر الله. الكنز المرصود في قواعد التلمود. دار القلم دمشق الطبعة الأولى 1987م.

28ـ محمد عزة دروزة. بنو إسرائيل في أسفارهم الجزء الأول دو نتاريخ.

29ـ محمد كمال جعفر. الإنسان والأديان قطر الطبعة الأولى 1985 وجامعة القاهرة.

30ـ محمد علي علوبة. فلسطين والضمير الإنساني كتاب الهلال 1965م.

31ـ أبو القاسم الحسيني الموسوي. تنزيه الأنبياء. دار الأضواء بيروت الطبعة الثانية 1989م.

32ـ د. أحمد شلبي. مقارنة الأديان: اليهودية. دار النهضة القاهرة. الطبعة الثامنة 1985م.

33ـ د. أحمد شلبي. مقارنة الأديان: أديان الهند الكبرى. دار النهضة القاهرة. الطبعة الثامنة 1985م.

34ـ غريس هالسل. النبوءة والسياسة. ترجمة محمد السمّاك. جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. طرابلس ليبيا الطبعة الأولى 1992م.

35ـ ليوتاكسل. التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير. ترجمة حسان اسحق. الجندي للطباعة والنشر. الطبعة الأولى 1994م.

36ـ سارلز مور الفكر الفلسفي الهندي. ترجمة ندرة اليازجي دون تاريخ، دون طبعة. دون دار للنشر.

37ـ جفري برندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ترجمة امام عبد الفتاح إمام. عالم المعرفة الكويتية الطبعة الأولى 1997م.

38ـ فراس السواح. مغامرة العقل الأولى. دار الكلمة بيروت. الطبعة الثانية

1981م.

39ـ شوقي عبد الحكيم. الفولكلور والأساطير العربية. دا رابن خلدون بيروت 1978م.

40ـ ديل ميدكو. اللآلئ. نصوص من الكنعانية. ترجمة مفيد عرنوق. دار النهار بيروت 1987م.

41ـ م ريجسكي. أنبياء التوراة والنبوءات التوراتية ترجمة آحو يوسف دار الينابيع دمشق الطبعة الأولى 1997م.

42ـ جرجي كنعان. الوثيقة الصهيونية في العهد القديم. بيروت الطبعة الثانية 1982م.

43ـ موسوعة أعلام الفلاسفة. اعداد روني إيلي إلفا و د. جورج نخل. ج1 دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 992م.

44ـ فلسفة هيغل. المجلد الثاني فلسفة الروح. ولتر ستيس. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام دار التنوير بيروت الطبعة الثالثة 1983م.

45ـ إسرائيل شاحاك الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود. ترجمة حسن خضر الطبعة الأولى 1994 إفرنجي دار سيناء للنشر القاهرة.

46ـ محمد ندى. جنايات بني إسرائيل على الدين والمجتمع. دار اللواء السعودية ـ الرياض. الطبعة الأولى 1984م.

47ـ التلمود البابلي. ترجمة وتقديم نبيل فياض. دار الغدير دمشق الطبعة الأولى 1991م.

48ـ ثروت أنيس الأسيوطي. نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين. دار الكاتب العربي القاهرة دون تاريخ، دون طبعة.

49ـ مارلين ستون. عندما كان الرب أنثى. ترجمة حنا عبود دار الأهالي دمشق الطبعة الأولى ١٩٩٨،

50ـ جرجي كنعان. سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية دار النهار بيروت الطبعة الأولى 1980م.

51ـ جعفر هادي حسن. اليهود القراؤون صحيفة الحياة كانون 2 1997 م.

52ـ جعفر هادي حسن. المرأة العاغوناة معلقة لا هي متزوجة ولا هي مطلقة. جريدة الحياة 1993/5/31.

53ـ صحيفة يدوعوت أحرونوت الصهيونية تاريخ 1977/7/15 م.

54ـ صحيفة هآرتس الصهيونية تاريخ 1997/7/1 م.

55ـ موريس بوكاي. التوراة والإنجيل والقرآن والعلم. منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. طبعة خاصّة 1990م.

56ـ حسن الباش. الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي. دار الجليل الطبعة الأولى 1986م.

57ـ الثعلبي النيسابوري. قصص الأنبياء دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1985م.

58ـ نديم الجسر. قصة الإيمان. الطبعة الأولى 1961م. دون دار نشر.

59ـ ابن الأثير. الكامل في التاريخ. دار صادر بيروت الطبعة الأولى 1982م.

60ـ عبد الرحمن غنيم. مذكرة البحث عن آدم. دار الجليل دمشق الطبعة الأولى 1992م.

61ـ عبد الرحمن غنيم. سر الأسرار دار الجليل دمشق الطبعة الأولى 1990م.

62جرجي كنعان العنصرية اليهودية. دار النهار بيروت الطبعة الأولى 1986م.

صدر للمؤلِّف

- مجموعة شعرية. من الجرح يبتدئ البرق. اتحاد الكتاب العرب 1977 .
- الأغنية الشعبية الفلسطينية. دراسة دار الجليل دمشق ط أولى1978 - ط ثانية 1986.
- الفكرة الصهيونية والأدب العنصري دراسة. دار الإمام البخاري. دمشق 1979 .
- مسافر و زادي معي. مجموعة شعرية. اتحاد الكتاب العرب 1983 دمشق.
- أغاني و ألعاب الأطفال في التراث الشعبي. دراسة دار الجليل 1985 دمشق.
- الميثولوجيا الكنعانية و الاغتصاب التوراتي. دراسة دار الجليل دمشق 1986.
- المعتقدات الشعبية في التراث العربي. دراسة بالاشتراك مع محمد السهلي. دار الجليل دمشق 1987.
- بروتوكولات صهيون من التنظير الى التدمير. دار قتيبة. دمشق. 1989.
- التربية الصهيونية من عنصرية التوراة الى دموية الاحتلال دار قتيبة دمشق 10ـ 1989.
- العقائد الوثنية في الديانة اليهودية. دار قتيبة دمشق 1990.
- منهج الجهاد القرآني. جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا 1991.
- الإنسان في ميزان القرآن. جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا1991.
- العرس الفلسطيني. دراسة في التراث الشعبي. دار المبتدأ. بيروت 1994.

- البيت الشعبي الفلسطيني دراسة في التراث الشعبي. دار الوسيم دمشق 1995.
- عز الدين القسّام شيخ المجاهدين دراسة دار الوسيم 1995.
- مولد محمد : مفتاح التاريخ الإسلامي. فادي برس 1995.
- الأماكن الإسلامية المقدسة حق المسلمين الضائع. مؤسسة ذي قار 1995.
- زحف العنصرية و مواجهة الإسلام. دار قتيبة. دمشق 1995 دراسة.
- موقف الإسلام من السحر و الخرافة. دراسة. دار حطين 1994.
- القرآن وحوار العقل. دراسة. جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا 1997.
- القدس بين رؤيتين. دار قتيبة دمشق 1997.
- حقوق الإنسان بين الفلسفة و الأديان. جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا 1997 ط1.

فهرس موضوعات

الجزء الثاني

مقدمة الجزء الثاني وتتضمن: 5

علم مقارنة الأديان، تطور المفهوم عبر التاريخ، دور الفرق الكلامية في تشعب مفهوم العقيدة، هل اليهودية عقيدة؟، مقارنة الأديان ، منهج مقارنة النص بالنص، إدخال الأساطير في العقيدة اليهودية.

القسم الأول: في العقيدة والمعتقد 31

الفصل الأول: العقائد في التاريخ ويتضمن: 33

مفاهيم الألوهية عند الفراعنة والآشوريين والبابليين والكنعانيين والفارسية والزرادشتية والمانوية والمجوسية، الهندوسية (البراهمية)، البوذية، الجانتية، الكونفوشيوسية، عقائد الهنود الحمر في أمرييكا، عقائد الشعوب الأفريقية والأسترالية القديمة. بين عقائد الشعوب والرسالات

الفصل الثاني: العقيدة اليهودية ورحلة التصور اليهودي للإله 63

ويتضمن:

العقيدة اليهودية وعنصرية الدين، اليهودية؛ النشأة والبيئة، الشعب المختار واللإله القبلي المختار، اللإله التوراتي نفي الثبات، ضياع الهوية، اللإله التوراتي؛ مسيرة التجسيم والتجسيد، إله الذهب اليهودي، يهوه اللإله المحارب، التوراتيون والإشراك بالله، تطور مفهوم اللإله عند بني إسرائيل، تطور مفهوم اللإله عند فلاسفة اليهود.

الفصل الثالث: معالم النبوة ومفهومها بين التوراة والقرآن الكريم 127

ويتضمن:

الإيمان بالأنبياء جزء من العقيدة، معنى النبوة والرسالة، حاجة الناس الى الأنبياء، إختيار النبي والرسول من قبل الله سبحانه، معالم النبوة بين التوراة والقرآن الكريم، أنبياء في القرآن الكريم لاوجود لذكرهم صراحة في التوراة، أنبياء في

التوراة لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم، منهج الدعوة عند الأنبياء في التوراة والقرآن الكريم، نظرة إجمالية في منهج الدعوة عند الأنبياء، نبوة محمد صلّى الله عليه وسلّم في التوراة والقرآن الكريم.

الفصل الرابع: عالم المخلوقات الخفية بين التوراة والقرآن الكريم 197

ويتضمن:

الملائكة، الجن، إبليس، الشيطان، عالم الملائكة، الملائكة والوحي، عالم الجن بين التوراة والقرآن الكريم، كيف تحدث القرآن الكريم عن الجن، إبليس في التوراة والقرآن.

الفصل الخامس: الموت والبعث واليوم الآخر والنعيم والجحيم في التوراة والقرآن الكريم ويتضمن: 231

مفهوم الموت في التوراة والقرآن الكريم،

الفصل السادس: تطور العقيدة اليهودية على يد الأحبار والفلاسفة، من التحريف إلى الإلحاد ويتضمن: 257

تطور العقيدة اليهودية على يد الأحبار والفلاسفة، التوراة وتعدد نسخها المختلفة، الفرق والمذاهب اليهودية والرؤية المختلفة في العقيدة، الفلاسفة ودورهم في تطور العقيدة اليهودية، بعض الوظائف اليهودية المعاصرة ودورها في تشعب العقيدة اليهودية، الحركات الانحرافية في العالم تفريخ يهودي مستمر.

ملحق: الرسالة السبيعية بإبطال الديانة اليهودية 289

للحبر الأعظم: إسرائيل بن شمؤيل الأورشليمي.

القسم الثاني: العبادات والمعاملات 301

الفصل الأول: مدخل تاريخي في العبادات والمعاملات لدى شعوب المنطقة ويتضمن: 303

المصريون القدامى، الكنعانيون، بلاد ما بين النهرين.

الفصل الثاني: المعبد والعبادة اليهودية في التوراة والقرآن الكريم 321

ويتضمن:

عبادة بني إسرائيل في الجذور قبل الخروج من مصر، عبادة بني إسرائيل في سيناء، عبادة بني إسرائيل بدءاً من التسرّب إلى أرض فلسطين حتى قيام مملكة داوود، عبادة بني إسرائيل زمن داوود وسليمان عليهما السلام، عبادة بني إسرائيل بعد انقسام مملكة سليمان عليه السلام، عبادة اليهود أيام السبي البابلي، عبادة اليهود منذ السبي البابلي حتى بعثة السيد المسيح عليه السلام.

الفصل الثالث: طقوس العبادات، الصلاة، الأعياد، القرابين 367

ويتضمن:

ماذا يقال في الصلوات اليهودية؟، القرابين في التشريع اليهودي، أنواع القرابين، تطور معنى القرابين في التوراة، أعياد اليهود ومواسمهم التعبدية.

الفصل الرابع: في التشريع اليهودي الشخصي ويتضمن: 387

1ـ الطهارة والنجاسة، أ ـ الطهارة والنجاسة للإنسان، ب ـ طهارة المرأة ونجاستها، جـ المرأة اليهودية والطهارة، 2ـ الزواج في التشريع اليهودي، للأشقاء اليهود حق التوارث حتى في الزوجة، 3ـ التشريع اليهودي والطلاق.

الفصل الخامس: العقوبات بين التشريع التوراتي والتشريع القرآني ويتضمن: 425

عقوبة القتل، عقوبة الزنا والاغتصاب، عقوبة القذف، عقوبة السرقة والنهب، عقوق الوالدين، حكم قتل الساحر والساحرة.

الفصل السادس: اليهودي من الداخل ويتضمن: 449

تعاليم التوراة في النهي والأمر، حقوق الانسان في التشريع اليهودي، شريعة القتل في الواقع التوراتي، 1ـ القتل

الجماعي، 2ـ القتل اغتيالاً بحق الأنبياء، 3ـ القتل اغتيالاً بحق القادة وبعض الشخصيات، 4ـ قتل النساء، 5ـ القتل حرقاً، الرق والاسترقاق في الشريعة اليهودية، حقوق المرأة في التشريع اليهودي، التشريع اليهودي والجرائم الجنسية، صورة من الشذوذ الجنسي والجرائم الجنسية في التجمع اليهودي، التشريع اليهودي والأطفال غير الشرعيين، تشريعات يهودية جانبية.

الفصل السابع: اليهودي من الخارج ويتضمن: 509

اليهودية ومواقفها من غير اليهود، من هو غير اليهودي؟، قوانين الحرب في الشريعة اليهودية، قوانين الإبادة حسب شريعة التلمود، قوانين سرقة غير اليهود، قوانين الربا والفائدة والدَّين، قوانين وتعاليم يهودية، مغالاة التلمود في التعامل مع غير اليهود.

المصادر والمراجع 537

فهرس المحتويات 545

حقوق الطبع محفوظة

دار قتيبة

دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - ص.ب: ١٤/٦٣٦٤ دمشق - ص.ب: ١٢٤١٤

كلمة الناشر

إذا كانت الدراسات المتخصصة بمقارنة الأديان قد اعتمدت الحديث عن كل عقيدة في كتاب مستقل فإن أكثر الأساليب جدية وفائدة تعتمد مقارنة النص بالنص بحيث تصبح الدراسة في ميزان التمييز المنطقي العلمي وليس في ميزان الهوى وعدم الموضوعية.

والكتاب الذي بين أيدينا يعتمد أول دراسة من نوعها في مقارنة الأديان. فهي تتسلح بالنصوص وبصدم هذه النصوص حتى يتبين ما هو موافق لعلم التاريخ وما هو مخالف ومناقض له. وما هو متوافق مع التحليل العلمي وما هو مخالف له. وبالمحصلة ما هو موافق لطبيعة العقيدة الصحيحة وما هو منحرف عنها ؟

القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان محصلة اعتكاف على دراسة العقيدة الإسلامية والعقيدة اليهودية والتي استغرقت سنوات وأكلت من الجهد والبصر والأعصاب فوق التحمل، لكن توفيق الله كان دوماً يتجلى مع كل دعاء، فكان مولد الكتاب.

وكان مولد هذه الدراسة بأسلوبها الجديد والجاد .

وبعد.. يسر دار قتيبة التي تعتز وتفتخر بهذا الجهد العظيم أن تقدم الحقيقة والمنطق للقارئ أينما كان موطنه و أياً كانت عقيدته. يسرها أن تقدم هذه الدراسة الموسعة وهي تأمل أن تصل حقائق القرآن وهي تدحض تحريف التوراة وتزييفه إلى العقول المنفتحة والواعية وغايتنا القصوى أن تصل المعلومة ناضجة مستوفية لكل معالمها ومضمونها دون أي هوى ذاتي أو انفعالية عصبية .

تصميم الغلاف: د. محمد نعيم الجابي